المواهب

في الرد على من قال بإسلام أبي طالب

تأليف
أبي عبدالله قاسم بن أحمد بن سيف اليماني

راجعه وقدم له
فضيلة الشيخ أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي الوادعي

دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع

المواهب

في الرد على من قال بإسلام أبي طالب

الطبعـة الأولى
١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م

الناشــر

دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع

النشر والتوزيع : ٧٢ شارع مصـر والسودان - حدائق القبة - القاهرة - هاتف وفاكس : ٤٨٢٠٣٩٢
المطابع : منشية السد العالي - ش مسجد الوطنية - تقاطع ١١٢ - هاتف وفاكس : ٢٩٧٩٧٣٥

المواهب

في الرد على من قال بإسلام أبي طالب

تأليف
أبي عبدالله قاسم بن أحمد بن سيف اليماني

راجعه وقدم له
فضيلة الشيخ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي

الناشر
دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون .

القائل : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ .

والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل : « **وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمرى** » وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فقد اطلعت على ما كتبه الأخ أبو عبد الله قاسم فى كتابه القيم (المواهب) فى رده على الزائغ الضليل المبتدع أحمد زينى دحلان ، فوجدته – حفظه الله – قد نصر السنة وقمع البدعة . وصدق الله إذ يقول : ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** ﴾ .

ويقول : ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن**

ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ .

وهكذا تلكم الأفكار الصادرة عن أصحاب الهوس من صوفية وشيعة هي إلى زوال ، وإنْ راجت على بعض الجهال ، فإنه يأتى الحق ويدحضها ويكشف عوارها حتى تصبح عاراً على أصحابها والحمد لله .

وأحمد زينى دحلان جمع بين التصوف والتشيع المبتدعين ، وقد قال أبو محمد بن حزم - رحمه الله -: إنَّ الله ابتلى الإسلام بالصوفية والشيعة . والأمر كما يقول أبو محمد - رحمه الله - فإنَّ هاتين الطائفتين باب فتنة فهما آلة لكل مناوىء للإسلام ، وقد شهدناهم - قاتلهم الله - يرحبون بالشيوعية ، ينضمون إلى صفوفها من أجل ضرب أهل السنة ، فخيبهم الله ، فلا سلم لهم دينهم ، ولم يستطع الشيوعيون أنْ يحققوا لهم ما وعدوهم به من ضرب أهل السنة ، ولقد صدق أبو محمد بن حزم - رحمه الله - حيث يقول : ما نصر الله الإسلام بمبتدع ، وصدق أبو محمد بن حزم فلو رأيت المخذولين من أهل صعدة يوزعون نسيخة الضليل المبتدع أحمد زينى دحلان (فتنة الوهابية)، بل لقد جمعوا كتب الطاعنين فى السنة حتى ولو كان المؤلف نصرانياً ، أو علمانياً ، المهم أن يكون فيها طعن على أهل السنة وعلى السنة فخيبهم الله ، وانتشرت السنة ومات التشيع المبتدع وهو إلى الزوال من اليمن إن شاء الله .

أما الأخ أبو عبد الله قاسم - حفظه الله - فلقد أطال النفس فى تفنيد شبهات الزايغ دحلان ، فأفاد وأجاد وهو الآن - حفظه الله - يرد على كتاب مجرم أثيم بل شيطان رجيم ذيّاك الكتاب الزائغ هو كتاب (تأملات فى الصحيحين) الذى يشكك فى أصول ديننا أوحاه الشيطان إلى مؤلفه الرافضى ، ولسنا نستغرب من ذلك الرافضى ، فله سلف فى الطعن فى الإسلام والتشكيك فى أصوله كما هو معروف من التاريخ .

ولكن بحمد الله أهل السنة بالمرصاد لبيان ضلال تلكم الكتب الزائغة وصدق الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يقول : « **لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك** » .

وأخيراً فإننا ندعو أخانا قاسماً – حفظه الله – وغيره من أهل السنة إلى اليقظة التامة والاستعداد التام لدفع أباطيل الرافضة ، الذين هم آلة لكل طاعن فى الإسلام .

نسأل الله أن يردهم إلى السنة رداً جميلاً ، أو أن يكفى أهل السنة بهم ، إنَّه على كل شىء قدير .

أبو عبد الرحمن : مقبل بن هادى الوادعى

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إلـه إلَّا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلَّا وأنتم مسلمون ﴾ .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً ﴾ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ .

أما بعد : فإن خير الكلام كلام الله – عز وجل – وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

ثم أما بعد : فيقول الله تبارك وتعالى : **﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً**

قليلاً فبئس ما يشترون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنَّ الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلَّا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾ .

ويقول سبحانه مخاطباً نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إنَّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً واستغفر الله إنَّ الله كان غفوراً رحيماً . ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إنَّ الله لا يحب من كان خوَّاناً أثيماً ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يُبَيِّتُون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطاً، ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذُكِّروا به** ﴾ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تُعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلاً** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **وإياى فاتقون** ﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات البينات اللاتى ينهى الله – سبحانه وتعالى – العلماء والدعاة إليه أن يكتموا شيئاً مما علمهم ، وينهاهم أن يخافوا الناس أو يخشوهم

فى ذلك ، ونهاهم أيضاً عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ، ونهاهم عن تحريف الكلم ، ويدخل فى ذلك وضع الأدلة فى غير موضعها وتحريفها ، ونهاهم أن يلووا ألسنتهم بالكتاب ، أو يلبسوا الحق بغيره ، وأن يعتاضوا به شيئاً من حطام الدنيا ، وأن يركنوا مع ذلك إلى مغفرة الله بقولهم : ﴿ **سيغفر لنا** ﴾ فقال الله - تبارك وتعالى : ﴿ **ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه** ﴾ أمن قول الحق أن تُحرَّف الأدلة الصحيحة ؟ وتضعف وترد ؟ وتقوى الشبه والأحاديث الضعيفة والموضوعة ؟.

وأمرهم بأن يقولوا الحق وأن يبينوه ولا يكتموه ولا يلبسوا به على الناس ، ولا يجادلوا عن المبطلين ، وإن جادلوا عنهم فى هذه الحياة فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً ، أم أنهم يكونون فى ذلك اليوم كما قال الله تعالى : ﴿ **لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ .

وقال : ﴿ **يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون ، إلا من رحم الله** ﴾ .

وقال أيضاً : ﴿ **يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئاً** ﴾ .

وقال : ﴿ **واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً** ﴾ إلى غير ذلك .

وأمر - سبحانه وتعالى - أيضاً بقول الحق ولو كان على القائل نفسه فقال - جلَّ ذكره : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾ .

إلى غير ذلك من الآيات اللاتى ينهى الله تعالى فيها عباده عن المداهنة والمجاملة ، ويأمرهم بقول الحق ولو على أنفسهم ، فلا شك أن من عوّد نفسه قول الحق على نفسه أنه سيقوله فى غيرها من ذوى القربى سواء كان غنياً أو فقيراً ، ضعيفاً أو ذا جاه ، لا تأخذه فى ذلك لومة لائم ، فإذا كان كذلك فمن باب أولى أنه لا تؤثر فيه العوارض المادية ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وقبل الشروع فى المراد أقدم هذه الكلمة بين يدى الرسالة لتكون كالمترجم أو المعرف بين يديها .

فقد جاءت الرسالة مرتبة كما يلى :

وذلك أنى جعلتها أثلاثاً مبوبة ، فالباب الأول وفيه أربعة فصول وقبل ذلك : تمهيد ، ويشتمل على مقدمة تفصيلية وكلمة شكر .

○ الفصل الأول : فى التحذير من اتباع الهوى .

○ الفصل الثانى : فى وجوب الانقياد لشرع الله وحكمه وتحريم التقليد .

○ الفصل الثالث : فى تعريف الإيمان الذى هو أساس هذه المسألة نفياً وإثباتاً .

○ الفصل الرابع : فى ترجمة أبى طالب ، وتحقيق اسمه وبيان أن أشعاره لو صحت إليه لا تدل على إيمانه ، على أن العلامة الألوسى قد ذكر أن أسانيدها منقطعة .

○ الباب الثانى :

وفيه توطئة ، وأنبه هنا على أنى رتبت أحاديث المسألة على حسب دلائلها ومعانيها فكانت على النحو التالى :

✵ الحديث الأول والثانى : لما فيهما من معان متقاربة . وكذلك الحديث

الثالث والرابع ، وكذلك أيضاً الحديث الخامس والسادس ثم أفردت بقيتها ، ثم عقبتها بأحاديث ضعيفة فيها معانى ما تقدم من الأحاديث الصحيحة ، ولم أذكرها للاحتجاج بها فهى ضعيفة وقد أغنانا الله عنها بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة ، وإنما أذكرها فائدة للقارىء ، ولئلا يأتى شخص يقول :

وإنى وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لا تستطيع الأوائل

○ **وفيه سبعة فصول** :

○ الفصل الأول : شرح حديثى المسيب ، وأبى هريرة رضى الله عنهما.

○ الفصل الثانى : ذكر أقوال المفسرين فى آيتى التوبة والقصص .

○ الفصل الثالث : شرح حديثى العباس وأبى سعيد رضى الله عنهما .

○ الفصل الرابع : فى الشفاعة وأنواعها .

○ الفصل الخامس : فى شبه البرزنجى ودحلان حول الشفاعة .

○ الفصل السادس : شرح حديثى النعمان بن بشير وابن عباس رضى الله عنهم .

○ الفصل السابع : فى أحاديث مفردة .

○ **الباب الثالث** : وهو مناقشات ومؤاخذات لما فى أسنى المطالب ، وهى كذلك أيضاً لكل من قال بإسلام أبى طالب ، ويشتمل على سبع وعشرين مناقشة ومؤاخذة وليست بآخر شىء يحصر إذ يمكن إيصالها إلى أكثر من ذلك .

○ وفى خضم ذلك خمسة فصول :

○ الفصل الأول : فى بيان حجج القائلين بنجاة الأبوين والعم وأنها ضعيفة بمرة ، وأدلة القائلين بعدم نجاتهم أدلة قوية صحيحة وصريحة من الكتاب والسُّنَّة .

○ الفصل الثانى : فى بيان ضعف مروياتهم وما يحتجون به فى نجاة عبد المطلب .

○ الفصل الثالث : فى اختلاط أمر الشرك بالتوحيد عند المبتدعة .
○ الفصل الرابع : فى بدعة تقسيم الدين إلى فروع وأصول ولباب وقشور .
○ الفصل الخامس : فى أن بيان هذه المسألة وتوضيحها ليس من باب السب والأذية ، وفى آخره فهارس تفصيلية لمحتويات الكتاب .

○ **وهنا تنبيهات وهى :**

○ الأول : أنى ربما تناولت مسائل وقضايا معاصرة جمعاً بين المهم والأهم وحتى لا نشتغل بشىء عن شىء .
○ الثانى : أنى أكتب الصلاة على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم هكذا تامة بعطف آله عليه مع ذكر لفظة « على » خلافاً للحديث الضعيف فى النهى عن ذلك ، وعملاً بما صح أن الصحابة رضى الله عنهم قالوا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا : « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد** ... » الحديث .

وأيضاً خلافاً للذين يرمزون لها بـ (ص) أو بما هو أشنع وأبشع من ذلك وهى قولهم (صلعم) والذى جاء بها هم المستشرقون ، فهى دخيلة على الإسلام فلا ينبغى للمسلم أن يتابعهم على قولهم . ولم أتصرف فى قولهم عليه الصلاة والسلام إن كنت ناقلاً .
○ الثالث : أنى أناقش دحلان والبرزنجى فى بعض المواقف ، والقارىء يحتاج إلى معرفة شىء عنهما .
○ أما دحلان فهو : أحمد بن زينى دحلان .. له رسائل ومؤلفات وفقيه ومؤرخ و.. و.. إلخ .

ولكن كيف بك إذا قلت لك إنه كذاب ، فقد ذكر العلامة السهسوانى الهندى فى كتابه (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) أنه يكذب على المؤلفين .

أقول أيضاً : والعلماء العاملين ، انظر أمثلة على ذلك صفحة (٢٩٩) و ص (٣٠٦) و ص (٤٢٦) و ص (٤٢٧) و ص (٤٧٧) من (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) زد على هذا أنه عدو لدود لأهل السنة وقد جمع بين التشيع والتصوف وكل بلاء فيه .

○ وأما البرزنجى فهو : محمد بن رسول ... له كذلك مؤلفات ورسائل ووصفوه بأنه علامة المعقول والمنقول وإمام أهل الفروع والأصول ، والجامع للفنون العلمية المتضلع من أذواق الأسانيد النبوية ..و..و... إلخ .

وفيما ذكرته عنه فى ثنايا الكتاب كفاية فى بيان بعده عن الكتاب والسنة ، واقرأ معى هذه الشطحة التى نقلها عنه دحلان فى أسنى المطالب (ص ٦٦) قال : قال العلامة البرزنجى فى آخر الخاتمة التى هى آخر رسالته : لما أكملت تسويده ..... أرسلت به إلى بعض خدام الحرم الشريف ممن له قدم فى طريق الله تعالى ، وله أذكار وأوراد وله سلوك وهو متوسر بالصلاح ليدخله الحجرة الشريفة تحت أستار كسوة القبر المعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنه هديته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن وقع فى حيز القبول بَيَّضتُه ، وإلا ضَيَّعْته قبل أن تنتشر منه النسخ فأدخله تحت (الستار) واستمر فيه ليلتين ثم رده إلىّ وبشرنى بأنه وقع فى حيز القبول من حضرة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشفعه فى جميع الفروع . إلى آخره .

أقول : وهذا كله من التلبيس والتضليل والكذب المكشوف من أمثال وصية الشيخ أحمد خادم الحجرة النبوية وغيرها ، وادعاء القبول مردود بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » . وفى لفظ : « **من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » ، وهو قد جمع فى رسالته بين الخرافات والأحاديث الضعيفة والموضوعات ثم يعارض بها الصحيح من الروايات ، فلم تقع فى حيز القبول لا عقلاً ولا شرعاً .

○ **الرابع : من أسباب تأليف الرسالة :**

١ – وجود أدلة كثيرة من الكتاب والسنة صحيحة وصريحة فى بيان مصير الأبوين وأبى طالب ، ومع هذا أعرض عنها أناس وعارضها آخرون .

٢ – عدم وجود تأليف يذكر ما صح وينفى ما لم يصح فى هذه المسألة ، فإنى لم أسمع إلا برسالة فى ذلك للعلامة (ملا على القارى) ذكرها فى كتابه « تنزيه الشريعة » وذلك قبيل انتهائى من تأليف الرسالة ثم إنى لم أقف عليها حتى الآن .

٣ – ما وقع لبعض العلماء من الإحجام والتردد مع كثرة تلك الأدلة الصحيحة ووضوحها التى جاءتنا عن الله تبارك وتعالى بتبليغ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذلك لنا ، فبعضهم يحجم وبعضهم يتوقف ، وهذا له مبرر إذا لم يرد فى المسألة أدلة صحيحة وصريحة فكيف وقد وردت هذه الأدلة وقد تطاول عليها بعضهم فعارضها وضعف بعضها وأعرض عن بعض .

٤ – كثرة المؤلفات فى القول بنجاتهم مع كثرة الأدلة التى ترد عليهم وصحتها وصراحتها فى مقابل ضعف أدلتهم فى القول بالنجاة .

٥ – سد باب الذرائع لئلا يأتى شخص يدافع عن الكافرين والمشركين طاعناً ومعرضاً عن أدلة الكتاب والسنة بدعوى أن فيها سباً للأموات وأذيَّة للأحياء أو غير ذلك من الدعاوى .

❋ ❋ ❋

□ كلمة شكر □

وأخيراً : فامتثالاً وطمعاً فى قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ .

وعملاً بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** » .

فإنى أولاً : أحمد الله الذى لا إلـٰه إلا هو الذى هدانا وبصرنا ووفقنا ونسأله سبحانه أن يثبتنا وأن يتقبل منا . فله سبحانه وتعالى الحمد والشكر على كل نعمه التى أسبغها علينا ظاهرة وباطنة .

ثم أشكر شيخنا ومربينا فضيلة الشيخ (مقبل بن هادى الوادعى) - حفظه الله تعالى وبارك فيه - فإن الفضل لله تبارك وتعالى ثم له فى نشر السنة والدعوة إليها والاتجاه السليم الذى لا لبس فيه ولا تلبيس فى كثير من البلاد الإسلامية وفى بلادنا اليمنية خاصة ، وذلك بعد أن خيم الجهل فى ربوعها فى وسط تضليل وتجهيل تلك الطائفتين - الشيعة والصوفية - فإنهم جهّلوا الناس وحالوا بينهم وبين تعاليم دينهم الصحيحة . وكذلك أيضاً غيرهم ممن لم يسلكوا الطريق الجادة بل أخذوا بنيّاتها ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

وهو مع ذلك كما قال الأول :

لم يلحقوا شأو علم من خصائصه   عنا ورتبته فى أرفع الدرج

قد طالما كان يقرينا ويقرؤنا ... في حالتيه بوجه منه مبتهج
سقياً له وكساه الله نور سنا ... من سندس بيد الغفران منتسج

وأقول : معذرة حيث إنى لم أقل وإنما أنقل لأنى لست ممن تسعفه الأبيات وتنقاد له القوافى . ثم كذلك أشكر إخوانى وزملائى طلبة دار الحديث بدماج ، فإنهم – جزاهم الله خيراً – ما بين ناصح وموجه وداع لأخيه بالثبات والاستقامة بل بعضهم وإن لم يكن من أهل هذه الدرجات فوجوده يعتبر حافزاً لنا ومشجعاً على الاستفادة والاستمرار فى طلب العلم .

ثم أشكر كذلك أيضاً بقية إخوانى فى الله من أهل السنة وخاصة من كان سبباً فى هدايتى وإقبالى وتشجيعى على طلب العلم .

فإنى لا أجد ما أجازى به هؤلاء جميعاً إلا أن أقول : جزاهم الله عنى خير الجزاء على ما أسدوه إلىّ من معروف كما جاء فى الحديث : « **من صنع إليه معروف فقال لفاعله : جزاك الله خيراً ، فقد أبلغ فى الثناء** » .

* * *

□ الباب الأول □

وفيه أربعة فصول :

○ الفصل الأول : فى التحذير من اتباع الهوى .
○ الفصل الثانى : فى وجوب اتباع شرع الله وتحريم التقليد .
○ الفصل الثالث : فى تعريف الإيمان الذى هو أساس هذه المسألة نفياً وإثباتاً .
○ الفصل الرابع : فى ترجمة أبى طالب وتحقيق اسمه وبيان أنَّ أشعاره لو صحت إليه لا تدل على إيمانه .

* * *

□ الفصل الأول □

○ فى التحذير من اتباع الهوى ○

والرزية كل الرزية هى اتباع الهوى حتى إنه لشدة خطره قد يصير إلـٰهاً لمن أراده ورضى به وقدمه على أمر الله ونهيه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **أفرأيت من اتخذ إلـٰهه هواه وأضلَّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون** ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أى إنما يأتمر بهواه فمهما رآه حسناً فعله ومهما رآه قبيحاً تركه ، وهذا قد يستدل به على المعتزلة فى قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين ، وعن مالك فيما روى عنه من التفسير : لا يهوى شيئاً إلا عبده .

قلت : والآية عامة تشمل العبادات وغيرها من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة فلا يتخذ الإنسان إلـٰهه هواه فى الأقوال ، فيقول ما يهوى ويكتم ما يهوى وكذا الأعمال .

وقد حذر الله عز وجل من اتباع الهوى نبياً من أنبيائه ، فقال تعالى ذكره وجلَّت عظمته : ﴿ **يا داود إنَّا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فَيُضِلَّك عن سبيل الله إنَّ الذين يَضِلُّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب** ﴾ .

هذا النبى داود الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ **ولقد آتينا داود منا فضلاً**

يا جبالُ أوِّبى معه والطيرَ وألنا له الحديد ، أن اعمل سابغاتٍ وقدر فى السرد واعملوا صالحاً ... ﴾ الآية .

وقال سبحانه : ﴿ **واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب ، إنَّا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ، والطير محشورة كل له أواب ، وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود - عليه السلام - أنه كان ذا أيد ، والأيدى القوة فى العلم والعمل ، وأنه كان أوّاباً ، وهو الرَّجَّاعُ إلى الله عز وجل فى جميع أموره وشئونه ، وقوله : ﴿ **إنَّا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق** ﴾ أى : أنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار .... وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو سابح فى الهواء ، فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف فى الهواء ويسبح معه ، وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له ... ﴿ **والطير محشورة** ﴾ : أى محبوسة فى الهواء ﴿ **كل له أوّاب** ﴾ : أى مطيع ﴿ **وشددنا ملكه** ﴾ أى : جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك ﴿ **وآتيناه الحكمة** ﴾، قال مجاهد : يعنى الفهم والعقل وقال السّدى : النبوة ، وقيل غير ذلك، ﴿ **وفصل الخطاب** ﴾ قال مجاهد : هو الفصل فى الكلام وفى الحكم واختاره ابن جرير . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

فهذا النبى داود صلى الله عليه وسلم الذى أعطاه الله تبارك وتعالى من الملك والكرامات ما سمعت مع إنابته ورجوعه إلى الله وتسبيحه واستغفاره وقوته على طاعة ربه ومحبة ربه له وإكرامه إياه مع ذلك كله يقول له : ﴿ **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ ، فإذا كان الأمر كذلك فى حق هذا النبى فكيف بنا؟! نسأل الله أن يرحمنا برحمته .

ولأن الموضوع له تعلق باتباع الأهواء فسأذكر إن شاء الله تبارك وتعالى جملة من الأدلة الواردة فى ذلك بحول الله وقوته وحده لا شريك له ، قال الله جل ذكره : ﴿ **ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله** ﴾ .

وقال : ﴿ **فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا** ﴾ .

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** ﴾ .

ويقول : ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإنَّ كثيراً من الناس لفاسقون** ﴾ .

ويأمره فى آية آخرى بقوله : ﴿ **قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين** ﴾ .

وقال أيضاً : ﴿ **قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون** ﴾ .

ويقول سبحانه : ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً** ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ **إنَّ الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ، فلا يَصُدَّنَّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى** ﴾ .

ويقول أيضاً : ﴿ **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم لنا**

أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ .

وقال جل ذكره : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإنَّ الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى مبيناً لو أن الحق اتبع أهواء الناس لفسد الكون بمن فيه : ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن** ﴾ فليس الفساد مقتصراً على الناس فحسب ، بل يفسد الكون كله كما سمعت من الآية الكريمة .

وقال عز وجل : ﴿ **واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون . من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتى موسى أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون ، قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين ، فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إنَّ الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ .

وقال : ﴿ **بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من**

أضل الله وما لهم من ناصرين ﴾ .

وقال : ﴿ **أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾** .

وقال : ﴿ **ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾** .

فانظر يا أخى المسلم كيف يُتْبِع الله هذه الآيات بذكر الضلال والهوى ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن من أسباب الضلال اتباع الهوى .

وقال تعالى : ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ﴾** .

وقال سبحانه وتعالى مادحاً صنفاً من عباده اجتنبوا الهوى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى ﴾** .

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنبنا الهوى ، وأنْ يجعل لنا الجنة هى المأوى .

وأهل السنة والجماعة فى كل زمان ومكان يتحلون بصفة محمودة ، وهى أنهم يأخذون بالدليل والحجة من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على فهم الصحابة سلف هذه الأمة ، لأنهم شهدوا نزول الوحى والوقائع والأحداث ، وهذا القيد هو الذى امتاز به أهل السنة والجماعة لأن أصحاب البدع والأهواء يأخذون من الكتاب والسنة ما يوافق أهواءهم ويستدلون من الكتاب والسنة على ما يوافق أهواءهم ، ولكن كل على هواه وعلى ما يريد ، بل حتى الكفار من الشيوعيين الاشتراكيين قد يستدلون بالكتاب والسنة فيما يستطيعون التلبيس به على الناس . فالتقييد بقولنا على

فهم الصحابة يمنع كل من أراد العبث بأدلة الكتاب والسنة .

واسمع ما يقول الإمام مالك رحمه الله تعالى : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، أو كما قال رحمه الله .

ولا تسأل عن التلبيس والتعمية وقلب الحقائق وَلَيِّ أعناق الأدلة عن وجهتها إلى ما لا يوافق الهوى ، فيظهر أحدهم أن الحق باطل وأن السنة بدعة ، ومن التبيين لهذا التلبيس ما ستراه فى هذه المواهب فى الرد على من قال بإسلام أبى طالب ، وهيهات أن يدوم التلبيس والتعمية .

وحق لأهل السنة أن يتمثلوا بقول القائل :

إذا ذو الرأى خاصم عن قياس ... وجاء ببدعة فيه سخيفة
أتيناه بقول الله فيها ... وآيات مبرزة شريفة

ثم إنه قد يقول قائل : ما وجد هذا الأخ ما يكتب عنه غير هذا الموضوع وهناك مواضيع تحتاج إلى معالجة كالكلام على بعض القضايا ، والعقائد المعاصرة وما هى ثمرة الكلام فى هذا الأمر ؟ خاصة وقد قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تَسبُّوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا** » ، وقال : « **لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات** » ، أو كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فأقول : بلى هناك مواضيع تحتاج إلى تبيين للناس وأهمها أمر العقيدة وتزييف ما يضادها من عقائد منحرفة ، ولكن بحمد الله قد قيض الله لها نقادها ، فبينوا بنقدهم سليمها وسقيمها وهناك مؤلفات وتعليقات وتوجيهات لعلماء الإسلام وطلبة العلم الكرام ما هو معروف فى الساحة .

وأما ما هى ثمرة الكلام فى هذا الأمر فهى إن شاء الله إحقاق الحق ، وإبطال الباطل وتقوية الأحاديث الصحيحة ، وتوهية الأحاديث الضعيفة ،

لأنَّا لا نستجيز لأنفسنا ولا لأى فرد من أفراد المسلمَين أن يقول على الله تعالى ما لم يقل ، ولا على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كذلك ، ولا أن يفسر الآيات والأحاديث على غير مراد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإنه - والله - هو العمى وهو علامة الخذلان والردى أن يتقوَّل الإنسان على الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأن يفسر الآيات والأحاديث على غير مراد الله ورسوله منها .

وخذ أمثلة على ذلك أصحاب البدع والأهواء ، فإنك تجدهم يفسرون النصوص تفسيراً يوافق أهواءهم ويصححون أحاديث ضعيفة ، بل موضوعة ، بل ربما كانت بعض الأحاديث مما صنعته أيديهم واختلقته أهواؤهم وذلك كالمعتزلة والشيعة والصوفية .

فإن الإنسان قَل أن يقرأ موضوعاً فى كتبهم ويجد فيه العلم والإنصاف ، أو الصدق والإخلاص ، وبسط الكلام فى إيراد أمثلة على ذلك يطول بنا ، ولكن ليكن ما نحن فيه من الرد على من يقول بإسلام أبى طالب تنبيهاً على ذلك المسلك الذى تسلكه كثير من فرق الأهواء والبدع .

وهكذا غيره مما تصدى فيه العلماء علماء السنة وطلبة الحديث - بارك الله فيهم وفى علمهم - من الرد والتزييف لكثير من البدع والخرافات والضلالات ، فهناك يتضح جلياً ، كيف يتحمل أصحاب الأهواء ويتعصبون لبدعهم وأهوائهم وكيف يقابلهم أهل العلم من أهل السنة بالدليل والتسليم له ، ولو كان على أنفسهم أو الوالدين والأقربين غنياً كان أو فقيراً ، يقولون للمصيب أصبت ولو كان أبعد بعيد ، وللمخطىء أخطأت ولو كان أقرب قريب ، وإنى أذكر نفسى أولاً وكل كاتب ثانياً وخاصة الذين يكتبون باسم الدين إما لنصرة الحق أو لنصرة الهوى والبدع ، بل قد يكون لنصرة الكفر والإلحاد فأقول : تذكر أيها الكاتب أنك ستجد ما كتبت يداك يوم القيامة بين يدى الله

تبارك وتعالى، قال تعالى : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾.

وقال : ﴿ **ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً** ﴾ .

وقال : ﴿ **إن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ، يعلمون ما تفعلون** ﴾ .

وهذا ابن دقيق العيد الذى كان يلقب بمفتى المذهبين المالكى والشافعى – رحمه الله تعالى – كان يقول : ما تكلمت بكلمة ولا فعلت فعلاً إلا أعددت لذلك جواباً بين يدى الله تعالى ، فالأسلم للإنسان فى دينه ودنياه ألا يكتب إلا ما يسره أن يلقاه فى ذلك اليوم ولله در القائل :

وما من كاتب إلا سيبلى ... ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شىء ... يسرك فى القيامة أن تراه

ثم إننا بعد ذلك نناشد المبتدعة وأصحاب الأهواء أن يرجعوا إلى الكتاب والسنة ، وينبذوا التقليد والتعصب ، ويريحوا إخوانهم أهل السنة من الردود عليهم ، أما أن يبتدعوا بدعة ويضعفوا لأجلها الأحاديث الصحيحة ويقووا الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، زد على ذلك التلبيس على الناس والتعصب والتقليد واتباع الهوى ثم بعد هذا كله يقال : أما وجد شيئاً يكتب فيه غير هذا الموضوع ؟ .

ومن ثمرات الكلام فى هذا الموضوع كشف شىء من تعمية المبتدعة وتلبيساتهم ومعرفة موقفهم من الكتاب والسنة وسد باب الذرائع لئلا يأتى شخص ويظن أنه يستطيع العبث بأدلة الكتاب والسنة ويسيرها على ما يريد .

ونسأل الله أن يعصمنا من الزلل وأن يعيذنا من فتنة القول والعمل .

ونزولاً عند رغبة قائل هذا القول فأنا إن شاء الله أتعرض لذكر قضايا

وأحداث معاصرة حتى لا تشغلنا البدع المتقدمة عن الأهواء المتأخرة ، ونسأل الله على ذلك جزيل الثواب والمغفرة وستره فى الدنيا والآخرة .

* * *

□ الفصل الثانى □

(فى وجوب الانقياد والإذعان لشرع الله وحكمه والنهى عن مخالفته أو الإعراض عنه واتباع غيره)

وذلك يقتضى متابعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحده وتحريم اتباع غيره وهو ما يسمى بالتقليد :

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون** ﴾ .

وقال : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً** ﴾ .

وقال : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾ .

وقال : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم**

تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ .

فقضى سبحانه بأن الذى لا يحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يؤمن حتى يذعن وينقاد ، ولا يكفى هذا فحسب بل لابد من الرضى والتسليم كما قال : ﴿ **ويسلموا تسليماً** ﴾ وأمر فى الآية الثانية باتباع ما أنزل ليشمل ذلك الكتاب والسنة لأن الله تعالى قال : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ .

وقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه** » وقال فى حديث آخر مبيناً أن السنة وحى من عند الله كما فى الصحيح من حديث شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «**إن الله أوحى إلّى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد**».

ومعلوم أنه لم ينزل شىء من عند الله تبارك وتعالى من زمن البعثة المحمدية على غير النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فمن ذا الذى أنزل عليه شىء من السماء أو أوحى إليه شىء، بل قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى إلّى ولم يوح إليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾ .

إذن فلم ينزل شىء على غير النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو المتبوع بحق دون غيره ، ولذا قال : ﴿ **ولا تتبعوا من دونه أولياء** ﴾ . على أن الضمير يعود إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمتابعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم مأمونة العاقبة ، بل على متابعته تترتب النجاة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ .

وقال : ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ .

وقال : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم**

أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾.

وقال : ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون . قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إلـه إلّا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾ .

فطاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم واتباعه فيها السلامة والهدى والرحمة والفوز والفلاح بخلاف غيره ، ففى طاعة غيره صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومتابعته على مخالفة شرع الله الضلال والهلاك والشقاء والضنك والفضيحة فى ذلك اليوم ، فقد ذكر لنا الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم عبراً وعظات تبين مصير الذين يتبعون غير النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما يؤلون إليه من العداوة والسب واللعن بعد أن كانت مودة فى هذه الحياة الدنيا وبعد أن كان يثنى بعضهم على بعض ويمدح بعضهم بعضاً من أجل الدنيا ولم تكن من أجل الله ، فيتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضاً ، وكل إنسان

من الأتباع يرجع اللوم على المتبوع ، هذا المتبوع الذى اتبع بباطل ، وكل من اتبع من دون النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بغير حجة فقد اتبع بباطل ، يقول الله تبارك وتعالى مبيناً ذلك وأنه يكون يوم القيامة على مستوى الأفراد والجماعات بل والشعوب والأمم ، يقول سبحانه : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتُّبِعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب ، وقال الذين اتَّبَعُوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادَّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ، قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون ، وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء، قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ، وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى وكان الشيطان للإنسان خذولاً** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون ، قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم**

كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً ، خالدين فيها أبداً لا يجدون وليّاً ولا نصيراً ، يوم تُقَلَّبُ وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ، قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين ، وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً ، وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا . هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ، قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ، وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين ، فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون ، فأغويناكم إنا كنا غاوين ، فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون ، إنا كذلك نفعل بالمجرمين ، إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إلٰـه إلَّا الله يستكبرون ، ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ، بل جاء بالحق وصدق المرسلين ، إنكم لذائقوا العذاب الأليم ، وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ، إلا عباد الله المخلصين ، أولئك لهم رزق معلوم ، فواكه وهم مكرمون ، فى جنات النعيم ، على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين،

بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ، وعندهم قاصرات الطرف عين ، كأنهن بيض مكنون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : **﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ، قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار ، قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً فى النار ﴾** .

وقال الله عز وجل : **﴿ واذ يتحاجُّون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار ، قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴾** .

وقال سبحانه : **﴿ وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾** .

فهذه الآيات الكريمات تشمل التابع والمتبوع أيّاً كان جنسه وأيّاً كانت عقيدته سواء كان رجلاً أو امرأة مسلماً أو كافراً ، تشمل كل من أعرض عن اتباع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم سواء اتبع كافراً شيوعياً أو بعثياً أو ناصرياً أو نصيرياً أو يهودياً أو نصرانياً إلى غير ذلك من أصناف الكفر ، فهو وإن كثرت مسمياته ملة واحدة ، أو اتبع مسلماً مبتدعاً مخرفاً صوفياً أو شيعياً صاحب هوى، فيأتى فى ذلك اليوم يتندم ويتمنى أن لو أطاع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم واتبعه ولات ساعة مندم ولا ينفع فى ذلك اليوم : **﴿ ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ : ﴿ ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ﴾ : ﴿ ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ : ﴿ ياليتنى كنت تراباً ﴾** .

فانظر لنفسك أيها الإنسان متبوعاً سليم العاقبة والتبعة لا تخزى فى ذلك اليوم أو يسود وجهك وتعض أناملك أو تود أن تسوى بك الأرض أو تصير فى ذلك اليوم فى سباب وشتائم ومهاترات ، فإن كل شاة معلقة برجلها فيتبرأ الخليل من خليله ولا تدوم خلة ولا مودة إلا ما كانت متصلة بدين الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾** أعنى لا تغتر بما يقوله دعاة التقليد : خذها عن عالم واطلع سالم .

بل ولا دعاة الكفر فقد أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿ **وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ إنهم لكاذبون ، وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾ .

وقال سبحانه موضحاً ذلك : ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون** ﴾ .

فالتقليد حرام وهو من خصال الكفر والضلال ، قال تعالى : ﴿ **أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ .

والتقليد نقص وليس بكمال .

قال الله تعالى : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب** ﴾ .

وقال الشاعر :

ما الفرق بين مقلد فى دينه ... راض بقائده الجهول الحائر
وبهيمة عمياء قـاد زمامهـا ... أعمى على عوج الطريق الجائر

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

المقلد الذى لا يعرف حال من يقوده ولا يدرى أين أن يذهب بل كما يقال فى المثل للجاهل : أين تذهب . قال : معهم ، قيل : فإلى أين يذهبون ؟ قال : لا أدرى . ذكره عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **أو كظلمات فى بحر لجى** ﴾ من سورة النور .

فهذه آيات بينات وأحاديث صحاح جيدات فى هذه المسألة خاصة وفى غيرها عامة لا يجوز الإعراض عنها إلى غيرها من تلبيسات وآراء يقدمونها على

كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم يتمحل شخص للدفاع على ما ذهب إليه من الباطل فيحمله ذلك على تفسير الآيات على غير ما أراده الله ويصحح الأحاديث الواهيات ويضعف ما صحت به الروايات ، وما ذلك إلا لما أشربه قلبه من البدع والخرافات ثم يتبعه على ذلك متبعون دون تأنى أو روية ولله در هارون بن سعد الجلى – رحمه الله تعالى – وقد كان رافضياً ثم هداه الله فرجع إلى السنة وقال شعراً ومنه قوله :

إذا كف أهل الحق عن بدعة مضى   عليها وإن يمضوا على الحق قصراً

وذكر الشوكانى – رحمه الله تعالى – فى كتابه : « القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد » (ص ٧٩) :

أن أيوب بن أبى تميمة السختيانى – وكان يكره البدع والرأى – قيل له : مالك لا تنظر فى الرأى ، فقال : قيل للحمار : مالك لا تجتر ؟ قال : أكره مضغ الباطل . اهـ .

فأى شئ يعرض عنه المبتدع أو صاحب الهوى أو المقلد ؟ إنهم يعرضون عن كتاب الله تبارك وتعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التى قال الله فيها : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون** ﴾ .

وقال تعالى مُزكِّيا لأقواله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى** ﴾ .

ورحم الله الشعبى فقد كان يتمثل بقول الأول :

دين النبى محمد أخبار   نعم المطية للفتى آثار
لا ترغبن عن الحديث وأهله   فالرأى ليل والحديث نهار
فلربما ضل الفتى سبل الهدى   والشمس طالعة لها أنوار

وإذا أعرض المبتدع أو صاحب الهوى أو المقلد عن الكتاب والسنة فإلى ماذا

يلجأون ؟ إلى تلبيسات وإلى آراء الرجال وزبالة أفهامهم ، فبعضهم قد يكون مجتهداً ولكن لا يجوز أن يتابع على ما أداه اجتهاده ، وخاصة إذا كان هذا الاجتهاد يخالف كثيراً من أدلة الكتاب والسنة ، فإذا ناقشت المقلد قال : هكذا قال فلان ، ولا يشعر بأن فلاناً قد يصيب وقد يخطىء فالمعتبر هو الدليل من الكتاب والسنة على ضوء فهم السلف الصالح – رضى الله عنهم – وهذا منذر بن سعيد – رحمه الله تعالى – يتوجع مما كان يلقاه من قومه حين يدعوهم إلى الدليل والأخذ به دون غيره فيأبون عليه إلا التقليد ، قال رحمه الله :

عذيرى من قوم يقولون كلما ... طلبت دليلاً هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب ... وقد كان لا تخفى عليه المسالك
فإن زدت قالوا سحنون مثله ... ومن لم يَقُل ما قاله فهو آفك
فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا ... وقالوا جميعاً أنت قرن مماحك
وإن قلت قد قال الرسول فقولهم ... أتت مالكاً فى ترك ذاك المسالك

وقد جرى لنشوان الحميرى مثل ما جرى لمنذر بن سعيد وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقال متوجعاً مما يلقاه :

إذا جادلت بالقرآن خصمى ... أجاب مجادلاً بكلام يحيى
فقلت كلام ربك عنه وحى ... أتجعل قول يحيى عنه وحيا

والمراد بيحيى فى البيتين : الهادى المقبور فى مسجد الهادى بصعدة ، وقد صار وثناً يعبد بالتمسح والتبرك والدعاء من دون الله والخشوع والخضوع عنده إلى غير ذلك مما يغضب الله ولا يرضيه ، ويبعد الإنسان عن دينه ولا يدنيه ، أعنى أنه وسيلة إلى الشرك بالله تعالى .

وهكذا شأن المبتدعة والمقلدة تأتيه بالدليل من الكتاب والسنة فيقول : قد قال فلان كذا ، ففى هذه المسألة يقال لهم : قال الله كذا ، وقال رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كذا ، فيقول : قال السيوطى كذا ، وقال

القرطبى كذا ، وقال الشعرانى كذا ، وقال البرزنجى وزينى دحلان إلى غير ذلك كما قيل :

شكونا إليهم خراب العراق فعابوا علينا لحوم البقر
فصرنا كما قيل فيما مضى أريها السهى وترينى القمر

فداء ذلك الزمان هو داء هذا الزمان ودواؤه دواؤه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها .

والخلاصة أن الإنسان واجب عليه متابعة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحده وعدم تقليد الآخرين فإنك أيها الإنسان مسئول فى قبرك عن ربك ودينك ونبيك لن تسأل عن مذهبك ولا عن شيخك ولا عن حزبك ولا عمن قلدته فى دينك ، فإن لم تكن متبعاً له صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخشى عليك أن تقول إذا سئلت : هاها لا أدرى ، فيقال لك : لا دريت ولا تليت . أى : إن كنت لا تدرى فهلا تعلمت ، والمصيبة أن بعضهم لا يدرى أنه لا يدرى كما قيل :

إذا كنت لا تدرى ولم تك بالذى يسائل من يدرى فكيف إذاً تدرى
جهلت ولم تعلم بأنك جاهل فمن لى بأن تدرى بأنك لا تدرى
ومن أعجب الأشياء أنك لا تدرى وأنك لا تدرى بأنك لا تدرى

وكان من ضمنها بيت أعرضت عنه لأن الشاعر أقذع فيها وقال آخر يشكو نفس المرض :

وإن عناء أن تفهم جاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أفهم
وتشخص أبصار الرعاع تعجباً إليه وقالوا إنه منك أعلم

فقد وصل المسلمون إلى حد يرثى له من الجهل والبعد عن الدين الصحيح ، بعضهم عنده شركيات وبدع وخرافات وحروز وعزائم ، وإذا دعى إلى الله ونصح قال : أتيتم لنا بدين جديد ، هو مسكين ما عرف إلا ذلك الدين ،

دين التلبيس على الناس ، ودين الدجل والشعوذة والتنجيم والتحريز بل بعضهم ليس عنده دين أصلاً فيكون شيوعياً أو بعثياً ، فإذا دعى إلى الرجوع إلى الله وإلى التوبة ، قال : جاءونا بدين جديد ، ولعلكم تدركون جيداً قول فرعون حينما جاءه موسى يدعوه إلى الرجوع إلى الله فلم يسمعه إلا أن يقول : ﴿ **ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد** ﴾ .

سبحان الله ، فرعون الفاسد المفسد يدّعى الإصلاح ، وموسى الصالح المصلح يظهره فرعون أنه مفسد وأنه يريد أن يبدل دينهم ، أى دين عرفه فرعون وأى دين عرفه الملبسون من بعده من الكفرة والمبتدعين .

فهم يريدون ديناً لا يكفرهم ، ولا يقول للمبتدعين أنتم مبتدعون يريدون ديناً يلتوى معهم كيفما يهوون .

فنسأل الله السلامة من الخذلان ، ونعوذ به من الكفر والعصيان ، ولقد أحسن الشيخ قاسم الفتيحى البرعى حيث يقول :

ولا أحد فى القوم ينكر فعلهم ... ولا مسلم لله يرضى ويغضب
فوا أسفاً ضلوا سبيل محمد ... وفى سبل الشيطان شبوا وشيبوا

فقد صار المتمسك بدينه فى هذه الأزمان يسير طرفه فى الناس فلا يجد إلا أن يتمثل بقول الشاعر :

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم ... الله يعلم أنى لم أقل فندا
إنى لأفتح عينى حين أفتحها ... على كثير ولكن لا أرى أحداً

ويقول الآخر :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكـر
وبقيت فى خلف يزين بعضهم ... بعضاً ليدفع معور عن معور

وأخيراً: فيذكر عن عمر رضى الله عنه وأرضاه أنه قال: أينقض الدين وأنا حى.

فأهل السنة بالمرصاد لكل مخالف لهذا الدين من كافر زنديق أو مبتدع صاحب هوى يقارعونهم بالحجة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شعارهم دائما :

إذا ذو الرأى خاصم عن قياس   وجاء ببدعة فيه سخيفة
أتيناه بقول الله فيها   وآثار مبرزة شريفة

فهذا هو الفخر وهذا هو الفضل وهذه هى المنزلة الرفيعة والوظيفة الشريفة والمرتبة الحسنة ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** ﴾ .

وقال : ﴿ **ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً** ﴾ .

وجاء عن رسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة : « **إن رجلاً مر بغصن شوك على الطريق فرفعه فشكر الله له ذلك فغفر له** » .

فهنيئاً للعلماء العاملين وطلبة العلم المقتدين ، كم يغفر الله لهم بسبب دفع الشركيات والبدع والخرافات والضلالات والجهالات ، فذاك غفر الله له بسبب رفع غصن شوك عن طريق المسلمين ، فكيف بأولئك الذين يدفعون الشركيات والبدع والمعاصى عن طريق المسلمين ، فنقول للذين يلمزونهم بسبب تمسكهم بالسنة ودعوتهم إليها ما قال القائل :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم   من اللوم أو سدوا المكان الذى سدوا

ورحم الله الحافظ الصورى إذ يقول :

قل لمن عاند الحديث وأضحى   عائباً أهله ومن يدعيه
أبعلم تقول هذا أبن لى   أم بجهل فالجهل خلق السفيه

أيعاب الذين هم حفظوا الدين من التراهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه راجع كل عالم وفقيه

وقال آخر يشكو جهلة عصره :

أتانا أن سهلاً ذم جهلاً علوماً ليس يدريهن سهل
علوماً لو دراها ما قلاها ولكن الرضى بالجهل سهل

وكان الأولى بهم أن يتعلموا فإن لم يفعلوا فالسكوت أسلم لهم فى دينهم . وأيضاً لأن اللمز الموجه إلى هؤلاء المتمسكين ليس لأشخاصهم بل بسبب تمسكهم وهذه مصيبة فيبغضون السنن وينفرون عنها من خلال لمزهم لإخوانهم المتمسكين .

ولأن الموضوع له صلة بالمبتدعين وأتباعهم المقلدين وأخشى أن لا أحسن القول فيه فأرجو أن يكون كلام الإمام الشوكانى- رحمه الله تعالى- مؤدياً للمقصود .

قال- رحمه الله- فى فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير (ج٤/١٠٤) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ، قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون ، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** ﴾ ... قال إبراهيم منبهاً على فساد مذهبهم : ﴿ **هل يسمعونكم إذ تدعون** ﴾ قال الأخفش : فيه حذف ، والمعنى : هل يسمعون منكم أو هل يسمعون دعاءكم ، وقرأ قتادة : هل يسمعونكم ، بضم الياء ، أى : هل يسمعونكم أصواتهم وقت دعائكم لهم . ﴿ **أو ينفعونكم** ﴾ بوجه من وجوه النفع ﴿ **أو يضرون** ﴾ أى : يضرونكم إذا تركتم عبادتهم ، وهذا الاستفهام للتقرير ، فإنها إذا كانت لا تسمع ولا تنفع ولا تضر فلا وجه لعبادتها. فإذا قالوا : نعم هى كذلك أقروا بأن عبادتهم لها من باب اللعب والعبث وعند

ذلك تقوم الحجة عليهم ، فلما أورد عليهم الخليل هذه الحجة الباهرة لم يجدوا لها جواباً إلا رجوعهم إلى التقليد البحت وهو أنهم وجدوا آباءهم كذلك يفعلون ، أى : يفعلون هذه العبادة لهذه الأصنام مع كونها بهذه الصفة التى هى سلب السمع والنفع والضر عنها ، وهذا الجواب هو العصا التى يتوكأ عليها كل عاجز ويمشى بها كل أعرج ويغتر بها كل مغرور وينخدع لها كل مخدوع ، فإنك لو سألت الآن هذه المقلدة للرجال التى طبقت الأرض بطولها والعرض وقلت لهم : ما الحجة لهم على تقليد فرد من أفراد العلماء والأخذ بكل ما يقوله فى الدين ويبتدعه من الرأى المخالف للدليل لم يجدوا غير هذا الجواب ولا فاهوا بسواه ، وأخذوا يعددون عليك من سبقهم إلى تقليد هذا من سلفهم واقتدى بأقواله وأفعاله ، وهم قد ملأوا صدورهم هيبة وضاقت أذهانهم عن تصورهم وظنوا أنهم خير أهل الأرض وأعلمهم وأورعهم فلم يسمعوا لناصح نصحاً ، ولا لداع إلى الحق دعاء ، ولو فطنوا لوجدوا أنفسهم فى غرر عظيم وجهل شنيع وأنهم كالبهيمة العمياء ، وأولئك الأسلاف كالعمى الذين يقودون البهائم العمى كما قال الشاعر :

كبهيمة عمياء قاد زمامها … أعمى على عوج الطريق الجائر

فعليك أيها العامل بالكتاب والسنة المبرأ من التعصب والتعسف أن تورد عليهم حجج الله وتقيم عليهم براهينه فإنه ربما انقاد لك منهم من لم يستحكم داء التقليد فى قلبه ، وأما من قد استحكم فى قلبه هذا الداء فلو أوردت عليه كل حجة وأقمت عليه كل برهان لما أعارك إلا أُذناً صماء وعيناً عمياء ، ولكنك قد قمت بواجب البيان الذى أوجبه عليك القرآن والهداية بيد الخلاق العليم ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ .

وقال أيضاً – رحمه الله تعالى (ج٤ ، ص ٥٥١) عند تفسير قول الله – عز وجل : ﴿ **أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون ، بل قالوا إنا وجدنا**

آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ .

بَيَّن سبحانه أنه لا حجة بأيديهم ولا شبهة ولكنهم اتبعوا آباءهم فى الضلالة فقال : ﴿ **بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون** ﴾ فاعترفوا أنه لا مستند لهم سوى تقليد آبائهم ، ومعنى على أمة : على طريقة ومذهب ، قال أبو عبيد : هى الطريقة والدين ، وبه قال قتادة وغيره .

قال الجوهرى : والأمة : الطريقة والدين ، يقال : فلان لا أمة له : لا دين له ولا نحلة ، ومنه قول قيس بن الخطيم :

كنا على أمة آبائنا ونقتدى بالأول الأول

وقول الآخر :

وهل يستوى ذا أمة وكفور

إلى أن قال : ثم أخبر سبحانه أن غير هؤلاء من الكفار قد سبقهم إلى هذه المقالة وقال بها فقال : ﴿ **وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ مترفوها : أغنياؤها ورؤساؤها ، قال قتادة : مقتدون : متبعون ، ومعنى الاهتداء والاقتداء متقارب ، وخصص المترفين تنبيهاً على أن التنعم هو سبب إهمال النظر ، ثم أمر سبحانه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يرد عليهم فقال : ﴿ **قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم** ﴾ أى : أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم ، قال الزجاج : المعنى قل لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه ، قرأ الجمهور : ﴿**قل أولو جئتكم**﴾ وقرأ ابن عامر وحفص : ﴿**قال أو لو جئتكم**﴾ وهو حكاية

لما جرى بين المنذرين وقومهم : أى : قال كل منذر من أولئك المنذرين لأمته ، وقيل : إن كلا القراءتين حكاية لما جرى بين الأنبياء وقومهم كأنه قال لكل نبى « قل » بدليل قوله : ﴿ **قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون** ﴾ وهذا من أعظم الأدلة الدالة على بطلان التقليد وقبحه ، فإن هؤلاء المقلدة فى الإسلام إنما يعملون بقول أسلافهم ، ويتبعون آثارهم ، ويقتدون بهم ، فإذا رام الداعى إلى الحق أن يخرجهم من ضلالة أو يدفعهم عن بدعة قد تمسكوا بها وورثوها عن أسلافهم بغير دليل نَيِّرٍ ولا حجة واضحة بل لمجرد قال وقيل لشبهة داحضة وحجة زائفة ومقالة باطلة ، قالوا بما قاله المترفون من هذه الملل : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ أو بما يلاقى معناه معنى ذلك ، فإن قال لهم الداعى إلى الحق قد جمعتنا الملة الإسلامية ، وشملنا هذا الدين المحمدى ، ولم يتعبدنا الله ولا تعبدكم وتعبد آباءكم من قبلكم إلا بكتابه الذى أنزله على رسوله وبما صح عن رسوله فإنه المبين لكتاب الله الموضح لمعانيه الفارق بين محكمه ومتشابهه ، فتعالوا نرد ما تنازعنا فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله كما أمرنا الله بذلك فى كتابه بقوله : ﴿ **فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول** ﴾ .

فإن الرد إليهما أهدى لنا ولكم من الرد إلى ما قاله أسلافكم ودرج عليه آباؤكم نفروا نفور الوحوش ، ورموا الداعى لهم إلى ذلك بكل حجر ومدر ، كأنهم لم يسمعوا قول الله سبحانه : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا** ﴾ ولا قوله : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكِّمُوك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ .

فإن قال لهم القائل : هذا العالم الذى تقتدون به وتتبعون أقواله هو مثلكم فى كونه متعبداً بكتاب الله وسنة رسوله مطلوباً منه ما هو مطلوب منكم

وإذا عمل برأيه عند عدم وجدانه للدليل فذلك رخصة له لا يحل أن يتبعه غيره عليها ولا يجوز له العمل بها ، وقد وجدوا الدليل الذى لم يجده وها أنا أوجدكموه فى كتاب الله أو فيما صح من سنة رسوله ، وذلك أهدى لكم مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : لا نعمل بهذا ولا سمع لك ولا طاعة ، ووجدوا فى صدورهم أعظم الحرج من حكم الكتاب والسنة ، ولم يسلموا لذلك ولا أذعنوا له ، وقد وهب لهم الشيطان عصى يتوكئون عليها عند أن يسمعوا من يدعوهم إلى الكتاب والسنة وهى أنهم يقولون : إن إمامنا الذى قلدناه واقتدينا به أعلم منك بكتاب الله وسنة رسوله ، وذلك لأن أذهانهم قد تصورت من يقتدون به تصوراً عظيماً بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع ، وما علموا أن هذا منقوض عليهم مدفوع به فى وجوههم ، فإنه لو قيل لهم : إن فى التابعين من هو أعظم قدراً وأقدم عصراً من صاحبكم ، فإن كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية حتى يوجب الاقتداء فتعالوا حتى أريكم من هو أقدم عصراً وأجل قدراً فإن أبيتم ذلك ففى الصحابة رضى الله عنهم من هو أعظم قدراً من صاحبكم علماً وفضلاً وجلالة قدر ، فإن أبيتم ذلك فها أنا أدلكم على من هو أعظم قدراً وأجل خطراً وأكثر اتباعاً وأقدم عصراً وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبيكم ورسول الله إلينا وإليكم ، فتعالوا فهذه سنته موجودة فى دفاتر الإسلام ودواوينه التى تلقتها جميع هذه الأمة قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر ، وهذا كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل وموجد الكل بين أظهرنا موجود فى كل بيت وبيد كل مسلم ، لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقص ولا تحريف ولا تصحيف ، ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل معانيه فتعالوا لنأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه فهو أهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : لا سمع ولا طاعة ، إما بلسان المقال وإما بلسان الحال ، فتدبر هذا وتأمله إن بقى فيك بقية من إنصاف وشعبة من خير ومزعة من حياء وحصة من دين ، ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وقد أوضحت هذا غاية الإيضاح فى كتابى الذى سميته « أدب الطلب ومنتهى الأرب » فارجع إليه إن رمت أن تنجلى عنك ظلمات التعصب وتتقشع لك سحائب التقليد . اهـ .

***

○ بيان ما عليه المبتدعة من مخالفة لهذا الدين ○

وبما أن الصوفية أصحاب الكشف قد شاركوا الرافضة فى قولهم بنجاة أبى طالب بطريق الكشف وهؤلاء قد تولى الرد عليهم ابن الجوزى وابن تيمية وابن القيم رحمهم الله تعالى بل أفردت المؤلفات فى الرد عليهم ليس فى قولهم هذا خاصة بل فى بدعهم عامة ، والمبتدعة وإن اختلفت أصنافهم وصيغ بدعهم جوابهم لمن دعاهم إلى الرجوع إلى الحق وترك ما هم فيه من البدعة والتقليد هو جواب من سبقهم من أسلافهم إلا أن صيغته تختلف ، فأولئك تقول لهم : قال الله كذا ، وقال رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كذا ، فيقول قائلهم : قد قال فلان كذا ، يريد شيخه أو إمام مذهبه ، أو من قلده فى بدعته ، وهؤلاء تقول لهم : قال الله كذا وقال رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كذا . فيقول : قد كشف لى عن كذا ، ورأيت فى المنام كذا ، وحدثنى قلبى عن ربى ، وهم مع ذلك يشاركون غيرهم فى تقديس مشائخهم والغلو فيهم وقبول أقوالهم المخالفة للدين إلى غير ذلك .

وفى إغاثة اللهفان للحافظ ابن القيم أبيات تبين ما هم عليه من البدع وأنهم ليس عندهم استعداد للرجوع إلى الكتاب والسنة ولا إلى أقوال الصحابة ولا حتى الأئمة المتبوعين ، فالمبتدعة قلوبهم مجتمعة على تشويه جمال هذا الدين وعلى التعمية والتلبيس على الناس ، فليس عندهم نصح لله ولا لرسوله ولأئمة المسلمين ولا لعامتهم فنصحهم كله فى سبيل جمع الأموال وإشباع رغباتهم وشهواتهم غير مبالين بالإسلام فى أى واد هلك قال رحمه الله :

ذهب الرجال وحال دون مجالهم زمر من الأوباش والأنذال
زعموا بأنهم على آثارهم ساروا ولكن سيرة البطال
لبسوا الدلوق مرقعاً وتقشفوا كتقشف الأقطاب والأبدال
قطعوا طريق السالكين وغوروا سبل الهدى بجهالة وضلال
عمروا ظواهرهم بأثواب التقى وحشوا بواطنهم من الأدغال
إن قلت قال الله قال رسوله همزوك همز المنكر المتغالى
أو قلت قد قال الصحابة والأولى تبعوهم فى القول والأعمال
أو قلت قال الآل آل المصطفى صلى عليه الله أفضل آل
أو قلت قال الشافعى وأحمد وأبو حنيفة والإمام العالى
أو قلت قال صحابهم من بعدهم فالكل عندهم كشبه خيال
ويقول قلبى قال لى عن سره عن سر سرى عن صفا أحوالى
عن حضرتى عن فكرتى عن خلوتى عن شاهدى عن واردى عن حالى
عن صفو وقتى عن حقيقة مشهدى عن سر ذاتى عن صفات فعالى
دعوى إذا حققتها ألفيتها ألقاب زور لفقت بمحال
تركوا الحقائق والشرائع واقتدوا بظواهر الجهال والضلال
جعلوا المرا فتحاً وألفاظ الخنا شطحاً وصالوا صولة الأدلال
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم نبذ المسافر فضلة الأكال
جعلوا السماع مطية لهواهم وغلوا فقالوا فيه كل محال
هو طاعة هو قربة هو سنة صدقوا لذاك الشيخ ذى الإضلال
شيخ قديم صادهم بتحيل حتى أجابوا دعوة المحتال
هجروا له القرآن والأخبار والآثار إذ شهدت لهم بضلال
ورأوا سماع الشعر(١) أنفع للفتى من أوجه سبع لهم بتوال

(١) يعنى الغناء انظر كتاب أبو حامد الغزالى والتصوف ص / ٢٤٥ .

تالله ما ظفر العدو بمثلها من مثلهم واخيبة الآمال
نصب الحبال لهم فلم يقعوا بها فأتى بذا الشرك المحيط الغالى
فذا بهم وسط العرين ممزق الأثواب والأديان والأحوال
لا يسمعون سوى الذى يهوونه شغلاً به عن سائر الأشغال
ودعوا إلى ذات اليمين فأعرضوا عنها وسار القوم ذات شمال
خروا على القرآن عند سماعه صماً وعمياناً ذوى إهمال
وإذا تلا القارى عليهم سورة فأطالها عدوه فى الأثقال
ويقول قائلهم أطلت وليس ذا عشر فخفف أنت ذو إملال
هذا وكم لغوٍ وكم صخبٍ وكم ضحكٍ بلا أدب ولا إجمال
حتى إذا قام السماع لديهم خشعت له الأصوات بالإجلال
وامتدت الأعناق تسمع وحى ذا ك الشيخ من مترنم قوّال
وتحركت تلك الرؤوس وهزها طرب وأشواق لنيل وصال
فهنالك الأشواق والأشجان والأحوال لا أهلا بذى الأحوال
تالله لو كانوا صحاة أبصروا ماذا دهاهم من قبيح فعال
لكنما سكر السماع أشد من سكر المدام وذا بلا إشكال
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة نالت من الخسران كل منال
يا أمة لعبت بدين نبيها كتلاعب الصبيان فى الأوحال
أشمتموا أهل الكتاب بدينكم والله لن يرضوا بذى الأفعال
كم ذا نعير منهم بفريقكم سراً وجهراً عند كل جدال
إلى أن قال :
هذا ونسبة ذاك أجمعه إلى دين الرسول وذا من الأهوال
حاشا رسول الله يحكم بالهوى والجهل تلك حكومة الضلال
والله لو عرضت عليه كلها لاجتثها بالنقض والإبطال
إلى أن قال :

يا باغى الإحسان يطلب ربه — ليفوز منه بغاية الآمال
انظر إلى هدى الصحابة والذى — كانوا عليه فى الزمان الخالى
واسلك طريق القوم أين تيمموا — خذ يمنة ما الدرب ذات شمال
تالله ما اختاروا لأنفسهم سوى — سبل الهدى فى القول والأفعال
درجوا على نهج الرسول وهديه — وبه اقتدوا فى سائر الأحوال
نعم الرفيق لطالب يبغى الهدى — فمآله فى الحشر خير مآل
القانتين المخبتين لربهم — الناطقين بأصدق الأقوال
التاركين لكل فعل سيىء — والعاملين بأحسن الأعمال
أهواؤهم تبع لدين نبيهم — وسواهم بالضد فى ذا الحال
ما شابهم فى دينهم نقص ولا — فى قولهم شطح الجهول الغالى
عملوا بما علموا ولم يتكلفوا — فلذاك ما شابوا الهدى بضلال
وسواهم بالضد فى الأمرين قد — تركوا الهدى ودعوا إلى الإضلال

إلى آخر ما ذكر من الأبيات فى إغاثة اللهفان (١٩٩/١) ولولا أنى أخشى السآمة على القارىء لذكرتها برمتها لأنها تبين حيلهم فى جميع أمور الشريعة ، وأظننى قد أطلت فى هذا الباب وعسى أن أعذر لأن التقليد وعدم متابعة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو أساس الانحراف وعلامة الانجراف فلذلك أطلت إيقاظاً للهمة وتحذيراً للأمة وبراءة للذمة ، والله المستعان وعليه التكلان .

* * *

□ الفصل الثالث □

○ فى تعريف الإيمان الذى هو أساس هذه المسألة نفياً وإثباتاً ○

وقبل أن أشرع فى الكلام فى شأن أبى طالب أذكر تعريف القوم للإيمان ، فمن خلال معرفتنا لمذاهب القوم فيه نخلص إلى المسألة بفهم إن شاء الله :

فالإيمان عند أهل السنة والجماعة والأئمة الأربعة ، إلا أبا حنيفة هو : نطق باللسان واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان . انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٢٧٨ ط أحمد شاكر ، وفتح البارى (٤٦/١) (ط–س) ، والسنة لعبد الله بن أحمد .

والأدلة من الكتاب والسنة تدل على ذلك كقوله تبارك وتعالى : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ وقول إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **ولكن ليطمئن قلبى** ﴾ ، وذلك لما قال الله تبارك وتعالى له : ﴿ **أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئن قلبى** ﴾ .

وكقوله سبحانه : ﴿ **إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ .

وكقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من مات وهو يعلم أنه لا إلـه إلا الله دخل الجنة** » .

ومقتضى العلم العمل قال الله عز وجل : ﴿ **فاعلم أنه لا إلـه إلآ الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾ .

والإيمان مستلزم للعمل فكثير من الآيات يذكر فيها الإيمان ؛ ويذكر العمل

معه وفى بعضها يوصف بالصلاح ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **الٓمٓ . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ .

ويقول أيضاً : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً** ﴾ .

ويقول : ﴿ **فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن** ﴾ .

ويقول : ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن** ﴾ .

وقال أيضاً : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن** ﴾ .

إلى آيات كثيرة يطول ذكرها تدل على أن بين الإيمان والأعمال تلازماً ، فالإيمان مستلزم للأعمال، والأعمال مكملة للإيمان، لقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الإيمان بضع وستون شعبة فأعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** » . متفق عليه من حديث أبى هريرة .

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** » . متفق عليه من حديث أنس .

وأيضاً لما قال عمر رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : لأنت يارسول الله أحب إلىّ من كل شىء إلا من نفسى ، فقال : « **لا ، والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك** » .. فقال له عمر :

فإنك الآن أحب إلىّ من نفسى ، فقال : « **الآن يا عمر** » قال الحافظ : رواه المصنف فى الأيمان والنذور .

إلى غير ذلك من الأحاديث التى فيها ذكر بعض شعب الإيمان ولكثرة الأحاديث فى ذلك ألفت المؤلفات فأجل كتاب فى ذلك كتاب « شعب الإيمان » للبيهقى رحمه الله تعالى .

إذاً فالإيمان قول وعمل ، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (ج١ ص٤٦) من الفتح : وهو اللفظ الوارد عن السلف الذين أطلقوا ذلك ، إلى أن قال : فأما القول فالمراد به النطق بالشهادتين ، وأما العمل ، فالمراد به ما هو أعم من عمل القلب والجوارح ، ليدخل الاعتقاد والعبادات . انتهى المراد من كلامه . فعلم مما تقدم أنه لا بد من القول والعمل ، فالقول وحده لا ينفع ﴿ **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ . لكن يحكم بإسلام من كان كذلك وهو شأن المنافقين . فإن انضم إلى القول عمل القلب لم ينفع ذلك إلا في حالة واحدة وهي حالة من عجز عن العمل بالجوارح ، بمعنى أنه يعزم في قلبه ولا يستطيع ذلك بجوارحه ، ويدخل في هذا من حضرته الوفاة وهو كافر فأحس بالموت فقال الشهادتين واعتقد ذلك في قلبه فإن ذلك ينفعه عند الله إن شاء الله ، لحديث أنس أن غلامًا يهوديًّا كان يخدم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فمرض فجاء يعوده فعرض عليه الإسلام فأسلم فقال : « **الحمد لله الذي أنقذه بي من النار** » ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابًا أليمًا** ﴾ فإن توفر عمل الجوارح دون غيره لم ينفع كذلك ، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي لله عنها تسأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ابن جدعان ، فقالت : يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل

الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه ؟ قال : « **لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين** » رواه مسلم .

وإن توفر القول وعمل الأركان نفع من ناحية و لم ينفع من ناحية أخري ، فينفع من الناحية الدنيوية فيكون المتصف بذلك مسلماً ظاهراً وذلك كالمنافقين فإنهم تجرى عليهم أحكام المسلمين ، ولا ينفع من الناحية الأخروية فيكونون فى الدرك الأسفل من النار ، وذلك لما أظهروا من الإسلام وأبطنوا من الكفر ، فإنهم يصلون ويصومون ويحجون ويزكون وربما يجاهدون ولا يفعلون ذلك إلا وهم كارهون ، فنسأل الله السلامة .

فنعلم من هذا أن تعريف الإيمان بأنه : قول باللسان وعمل بالقلب والأركان ، تعريف صحيح ، لا يدخله ما يدخل على غيره من التعاريف ، فمثلاً : الإيمان عند المرجئة : الإقرار باللسان والتصديق بالجنان ، ومنهم من يقول : إن الإقرار باللسان ، ركن زائد ليس بأصلى ، ويشير بذلك إلى أنه يكفى التصديق بالقلب .

قال العلامة ابن أبى العز رحمه الله تعالى فى شرح العقيدة الطحاوية : وإلى هذا - يعنى القول الثانى - ذهب أبو منصور الماتردى رحمه الله ، ويروى عن أبى حنيفة رضى الله عنه.

قلت : فعلى تعريف الماتريدى يكون أبو طالب مؤمناً كامل الإيمان لأنه يعلم ذلك بقلبه ولا يلزم أن ينطق به لأنه ركن زائد ليس بأصلى كما زعم .

وقد استدل القائلون بنجاة أبى طالب بقوله :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

وله أيضاً :

ودعوتنى وعلمت أنك صادق ... ولقد صدقت وكنت قبل أمينا

والإيمان عند جهم بن صفوان ، وأبى الحسين الصالحى أحد رؤساء القدرية هو المعرفة بالقلب كما ذكره ابن أبى العز رحمه الله تعالى .

وعلى هذا يكون أبو طالب مؤمناً بل وجميع المشركين ، لأن الإيمان عندهم المعرفة بالقلب ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم** ﴾ ويقول : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ .

ويقول أيضاً : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون** ﴾ .

بل حتى فرعون يكون مؤمناً على تعريف جهم ، ومن سلك مسلكه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ، قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾ ويقول أيضاً : ﴿ **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ .

بل حتى إبليس يكون على تعريفهم مؤمناً لأن الله تبارك وتعالى أخبر فى كتابه أنه يقول : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين** ﴾ وقال : ﴿ **رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون** ﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى (ص ١٧٠) من كتاب الإيمان : فلفظ الإيمان إذا أطلق فى القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر ،

وبلفظ التقوى ، وبلفظ الدين كما تقدم ، فإن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين أن الإيمان : بضع وسبعون شعبة ، أفضلها قول : لا إلـه إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق .

فكان كل ما يحبه الله يدخل فى اسم الإيمان ، وكذلك البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى ، وكذلك الدين أو دين الإسلام .

إلى أن قال (ص١٧٨) : ومن هنا يظهر ، خطأ قول جهم بن صفوان ومن اتبعه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه ولم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمناً كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادي الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة .

قالوا : وهذه كلها معاص لا تنافى الإيمان الذى فى قلبه بل يفعل هذا وهو فى الباطن عند الله مؤمن .

قالوا : وإنما ثبت له فى الدنيا أحكام الكفار لأن هذه الأقوال أمارة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم بالإقرار والشهود وإن كان فى الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به وبخلاف ما شهد به الشهود ، فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر فى نفس الأمر معذب فى الآخرة قالوا : فهذا دليل انتفاء التصديق والعلم من قلبه ، فالكفر عندهم شىء واحد وهو الجهل[1] والإيمان شىء واحد وهو العلم أو تكذيب القلب

(١) قال ابن أبى العز فى شرح العقيدة الطحاوية : والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى ولا أحد أجهل منه بربه فإنه جعله الوجود المطلق وسلب عنه جميع صفاته ولا جهل أكبر من هذا فيكون كافراً بشهادته على نفسه .

وتصديقه فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو ؟ .

وهذا قول مع أنه أفسد قول قيل فى الإيمان ، فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام ومنهم المرجئة ، وقد كفر السلف - كوكيع بن الجراح ، وأحمد بن حنبل ، وأبى عبيدة وغيرهم - من يقول بهذا القول ، وقالوا : إبليس كافر بنص القرآن وإن كفره باستكباره وامتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كذب خبراً ، وكذلك فرعون وقومه ، قال تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ وقال موسى عليه السلام لفرعون ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر** ﴾ بعد قوله : ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم ، فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ، قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾.

فموسى وهو الصادق المصدوق يقول : ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر** ﴾ فدل على أن فرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغى الفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه قال تعالى : ﴿ **إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ .

وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ وكذلك من المشركين الذين قال الله فيهم ﴿ **فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون** ﴾ .

فهؤلاء غلطوا فى أصلين :

● أحدهما : ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية فى القلب ، وهذا من أعظم غلط المرجئة

مطلقاً ، فإن أعمال القلوب التى يسميها بعض الصوفية أحوالاً ومقامات أو منازل السائرين إلى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك ، كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب ، وفيها ما أحبه و لم يفرضه فهو من الإيمان المستحب ، فالأول لا بد لكل مؤمن منه ، ومن اقتصر عليه فهو من الأبرار أصحاب اليمين ومن فعله وفعل الثانى كان من المقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله ، بل أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، بل أن يكون الله ورسوله والجهاد فى سبيله أحب إليه من أهله وماله ، ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ، ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين ، والتوكل على الله وحده دون المخلوقين ، والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى : ﴿ **هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ . من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** ﴾ ومثل الحب فى الله والبغض فى الله والموالاة لله والمعاداة لله .

والثانى : ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد فى النار ، فإنما ذاك لأنه لم يكن فى قلبه شيء من العلم والتصديق ، وهذا أمر خالفوا به العقل والحس والشرع وما أجمع عليه طوائف بنى آدم السليمى الفطرة وجماهير النظار ، فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس ، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد كل ما يقول بكل طريق وهو فى قلبه يعلم أن الحق معه ، وعامة من كذّب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون ، لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذى كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصداقة أقوام وغير ذلك فيرون فى اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق ، ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدح فى

صدق الرسل ، وإنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح : ﴿ **أنؤمن لك واتبعك الأرذلون** ﴾ ومعلوم أن اتباع الأرذلين لا يقدح فى صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك ، كما طلب المشركون من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إبعاد الضعفاء كسعد بن أبى وقاص وابن مسعود وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر ، وبلال ونحوهم وكان ذلك بمكة قبل أن يكون فى الصحابة أهل صفة ، فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين . وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين** ﴾ ومثل قول فرعون ﴿ **أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون** ﴾ وقول فرعون ﴿ **ألم نربِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين . وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين** ﴾ ومثل قول مشركى العرب ﴿ **إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ، أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شىء رزقاً من لدنا** ﴾ ومثل قول قوم شعيب له ﴿ **أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى أموالنا ما نشاء** ﴾ ومثل قول عامة المشركين ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ .

وهذه الأمور وأمثالها ليست حججاً تقدح فى صدق الرسل بل تبين أنها تخالف إرادتهم وأهواءهم وعاداتهم فلذلك لم يتبعوهم ، وهؤلاء كلهم كفار بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له ، وكانوا يعلمون صدقه ولكن كانوا يعلمون أن فى متابعته فراق دين آبائهم وذم قريش لهم ، فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة واحتمال هذا الذم ، فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به بل لهوى النفس ، فكيف يقال : إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله .

إلى أن قال رحمه الله (ص١٨٣) : والمرجئة الذين قالوا : الإيمان تصديق

القلب ، وقول اللسان والأعمال ليست منه كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها و لم يكن قولهم مثل قول جهم ، فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمناً إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب فى الإيمان لزمهم قول جهم وإن أدخلوها فى الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضاً فإنها لازمة لها . ولكن هؤلاء لهم حجج شرعية بسببها اشتبه الأمر عليهم .

فإنهم رأوا أن الله قد فرق فى كتابه بين الإيمان والعمل ، فقال فى غير موضع : ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ .

ورأوا أن الله خاطب الإنسان بالإيمان قبل وجود الأعمال فقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق** ﴾ .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة** ﴾ .

وقالوا : لو أن رجلاً آمن بالله ورسوله ضحوة ومات قبل أن يجب عليه شىء من الأعمال مات مؤمناً وكان من أهل الجنة ، فدل على أن الأعمال ليست من الإيمان ، وقالوا : نحن نُسلِّم أن الإيمان يزيد بمعنى أنه كان كلما أنزل الله آية وجب التصديق بها فانضم هذا التصديق إلى التصديق الذى كان قبله لكن بعد كمال ما أنزل الله ما بقى الإيمان يتفاضل عندهم بل إيمان الناس كلهم سواء إيمان السابقين الأولين كأبى بكر وعمر وإيمان أفجر الناس كالحجاج وأبى مسلم الخراسانى .

والمرجئة المتكلمون منهم والفقهاء منهم يقولون : إن الأعمال قد تسمى إيمانا مجازاً لأن العمل ثمرة الإيمان ومقتضاه ولأنها دليل عليه ، ويقولون : قوله : « **الإيمان بضع وستون ، أو بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إلـٰه إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق** » مجاز .

والمرجئة ثلاثة أصناف : الذين يقولون : الإيمان مجرد ما فى القلب ، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة ، كما قد ذكر أبو الحسن الأشعرى أقوالهم فى كتابه وذكر فرقاً كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم ، ومنهم من لا يدخلها فى الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي ، وهذا الذى نصره هو وأكثر أصحابه .

والقول الثانى : من يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية[1] .

والثالث : تصديق القلب وقول اللسان ، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم – يعنى المرجئة – وهؤلاء غلطوا من وجوه :

○ أحدها : ظنهم أن الإيمان الذى فرضه الله على عباده متماثل فى حق العباد ، وأن الإيمان الذى يجب على شخص يجب مثله على كل شخص وليس الأمر كذلك فإن اتباع الأنبياء المتقدمين أوجب الله عليهم من الإيمان ما لم يوجبه على أمة محمد ، وأوجب على أمة محمد من الإيمان ما لم يوجبه على غيرهم ، والإيمان الذى كان يجب قبل نزول جميع القرآن ليس هو مثل الإيمان الذى يجب بعد نزول القرآن ، والإيمان الذى يجب على من عرف ما أخبر به الرسول مفصلاً ، ليس مثل الإيمان الذى يجب على من عرف ما أخبر به مجملاً فإنه لا بد فى الإيمان من تصديق الرسول فى كل ما أخبر لكن من صدق الرسول ومات عقب ذلك لم يجب عليه من الإيمان غير ذلك ، وأما من بلغه

---

(١) قال ابن أبى العز : فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملوا الإيمان ، لكن يقولون بأنهم يستحقون الوعيد الذى أوعدهم الله به وقولهم ظاهر الفساد .

وقال الذهبى فى الميزان عقب حكاية قوله : قلت : هذا منافق محض فى الدرك الأسفل من النار قطعاً فإيش ينفع ابن كرام أن يسميه مؤمناً .

القرآن والأحاديث وما فيهما من الأخبار والأوامر المفصلة فيجب عليه من التصديق المفصل بخبر خبر وأمر أمر ما لا يجب على من لم يجب عليه إلا الإيمان المجمل لموته قبل أن يبلغه شيء آخر .

وأيضاً لو قدر أنه عاش فلا يجب على كل واحد من العامة أن يعرف كل ما أمر به الرسول وكل ما نهى عنه وكل ما أخبر به ، بل إنما عليه أن يعرف ما يجب عليه هو وما يحرم عليه ، فمن لا مال له لا يجب عليه أن يعرف أمره المفصل فى الزكاة ومن لا استطاعة له على الحج ليس عليه أن يعرف أمره المفصل بالمناسك ، ومن لم يتزوج ليس عليه أن يعرف ما وجب للزوجة فصار يجب من الإيمان تصديقاً وعملاً على أشخاص ما لا يجب على آخرين .

وبهذا يظهر الجواب عن قولهم : خوطبوا بالإيمان قبل الأعمال فنقول : إن قلتم : إنهم خوطبوا به قبل أن تجب تلك الأعمال فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان وكانوا مؤمنين الإيمان الواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه ، فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ .

ولهذا لم يجيء ذكر الحج فى أكثر الأحاديث التى فيها ذكر الإسلام والإيمان ، كحديث وفد عبد القيس ، وحديث الرجل النجدى الذى يقال له : ضمام بن ثعلبة وغيرهما ، وإنما جاء ذكر الحج فى حديث ابن عمر وجبريل وذلك لأن الحج آخر ما فرض من الخمس ، فكان قبل فرضه لا يدخل فى الإيمان والإسلام ، فلما فرض أدخله النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الإيمان إذا أفرد وأدخله فى الإسلام إذا قرن بالإيمان وإذا أفرد .

قال : وكذلك قولهم : من آمن ومات قبل وجوب العمل عليه مات مؤمناً

فصحيح لأنه أتى بالإيمان الواجب عليه والعمل لم يكن وجب عليه بعد ، فهذا مما يجب أن يعرف فإنه تزول به شبه حصلت للطائفتين .

فإذا قيل الأعمال الواجبة من الإيمان ، فالإيمان الواجب متنوع ليس شيئاً ، واحداً فى حق جميع الناس ، وأهل السنة والحديث يقولون : جميع الأعمال الحسنة واجبها ومستحبها من الإيمان أى من الإيمان الكامل بالمستحبات ليس من الإيمان الواجب ، ويفرق بين الإيمان الواجب وبين الإيمان الكامل بالمستحبات كما يقول الفقهاء : العمل ينقسم إلى مجزىء وكامل ، فالمجزىء ما أتى فيه بالواجبات فقط ، والكامل ما أتى فيه بالمستحبات ، ولفظ الكمال قد يراد به الكمال الواجب وقد يراد به الكمال المستحب .

قلت : والمرجئة القائلون بأن الأعمال ليست من الإيمان يعتبرون مخالفين لأدلة الكتاب والسنة وجمهور العلماء ، فرد عليهم العلماء كأحمد والشافعى وأبى عبيد نقله عنهم ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فى كتابه الإيمان (ص ١٩٦ - ١٩٧) يقول الله - تبارك وتعالى-: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ قال أبو عبيد : وهوالقاسم بن سلام : فأخبر أنه أكمل الدين الآن فى آخر الإسلام فى حجة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وزعم هؤلاء أنه كان كاملاً قبل ذلك بعشرين سنة من أول ما نزل عليه الوحى بمكة حين دعا الناس إلى الإقرار حتى قال : لقد اضطر بعضهم حين أدخلت عليه هذه الحجة إلى أن قال : إن الإيمان ليس بجميع الدين ولكن الدين ثلاثة أجزاء : الإيمان جزء ، والفرائض جزء ، والنوافل جزء .

قال ابن تيمية : قلت : وهذا الذى قاله هذا هو مذهب القوم ، قال أبو عبيد : وهذا غير ما نطق به الكتاب ، ألا تسمع إلى قوله : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾ وقال : ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾ وقال : ﴿ **ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ فأخبر أن الإسلام هو الدين برمته

وزعم هؤلاء أنه ثلث الدين .

وعن الشافعى قال : ما يحتج عليهم بآية أحج من قوله : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ ذكره ابن تيمية عن ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى .

قال أعنى – ابن تيمية رحمه الله – (ص ١٩٧) : وقال الشافعى رضى الله عنه فى كتاب (الأم) فى باب النية فى الصلاة : يحتج بأن لا تجزىء صلاة إلا بنية ، بحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **إنما الأعمال بالنيات** » ثم قال : وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركناهم يقولون : الإيمان قول وعمل ونية لا يجزىء واحد من الثلاث إلا بالآخر .

وقال – رحمه الله – (ص ٢٨٠) من كتاب الإيمان : وقال معمر عن الزهرى كنا نقول : الإسلام بالإقرار والإيمان بالعمل ، والإيمان قول وعمل قرينان لا ينفع أحدهما إلا بالآخر ، وما من أحد إلا يوزن قوله وعمله ، فإن كان عمله أوزن من قوله صعد إلى الله ، وإن كان كلامه أوزن من عمله لم يصعد إلى الله . ورواه أبو عمر الطلمنكى بإسناده المعروف .

وقال معاوية بن عمرو عن أبى إسحاق الفزارى عن الأوزاعى قال : لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل ، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنيّة موافقة للسنة . وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل . العمل من الإيمان والإيمان من العمل ، وإنما الإيمان اسم يجمع كما يجمع هذه الأديان اسمها ويصدقه العمل ، فمن آمن بلسانه وعرف بقلبه وصدق بعمله فتلك العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، ومن قال بلسانه ولم يعرف بقلبه ولم يصدق بعمله كان فى الآخرة من الخاسرين ، وهذا معروف عن غير واحد من السلف والخلف أنهم يجعلون العمل مصدقاً للقول .

وقال ص (١٢٢) : وكل إيمان مطلق فى القرآن فقد بين فيه أنه لا يكون الرجل مؤمناً إلا بالعمل مع التصديق ، فقد بين فى القرآن أن الإيمان لا بد فيه من عمل مع التصديق كما ذكر مثل ذلك فى اسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ، إلى أن قال : بل القرآن والسنة مملوآن بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق ، وهذا فى القرآن أكثر بكثير من معنى الصلاة والزكاة ، فإن تلك إنما فسرتها السنة ، والإيمان بيّن معناه الكتاب والسنة وإجماع السلف .

وقال (ص١٣٥) : وأما من صدق بقلبه و لم يتكلم بلسانه فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ولا يدخل فى خطاب الله لعباده بقوله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا** ﴾ .

وقال – رحمه الله تعالى – (ص ٣٦٢) : قال محمد بن نصر : فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل ليس منه ، فقد خالف الكتاب والسنة ، وهذا صحيح فإن النصوص كلها تدل على أن الأعمال من الإسلام .

قال : ولا فرق بينه وبين المرجئة إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً– رحمه الله تعالى– (ص ٣٧٠) من كتابه الإيمان : قال أبو ثور فى رده على المرجئة كما روى ذلك أبو القاسم الطبرى اللالكائى وغيره عن إدريس بن عبد الكريم قال : سأل رجل من أهل خراسان أبا ثور عن الإيمان وما هو أيزيد وينقص ؟ وقول هو ؟ أو قول وعمل ؟ أو تصديق وعمل ؟ فأجابه أبو ثور بهذا : فقال : سألت– رحمك الله وعفا عنا وعنك– عن الإيمان ما هو يزيد وينقص وقول هو أو قول وعمل أو تصديق وعمل ؟ فأخبرك بقول الطوائف واختلافهم .

اعلم– يرحمنا الله وإياك : أن الإيمان تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل

بالجوارح وذلك أنه ليس بين أهل العلم خلاف فى رجل لو قال : أشهد أن الله عز وجل واحد وأن ما جاءت به الرسل حق ، وأقر بجميع الشرائع ثم قال : ما عقد قلبى على شىء من هذا ولا أصدق به ، أنه ليس بمسلم ولو قال : المسيح هو الله وجحد أمر الإسلام ثم قال : لم يعقد قلبى على شىء من ذلك أنه كافر بإظهار ذلك وليس بمؤمن ، فلما لم يكن بالإقرار إذا لم يكن معه التصديق مؤمناً ولا بالتصديق إذا لم يكن معه الإقرار مؤمناً حتى يكون مصدقاً بقلبه مقراً بلسانه ، فإذا كان تصديقاً بالقلب وإقراراً باللسان كان عندهم مؤمناً وعند بعضهم لا يكون مؤمناً حتى يكون مع التصديق عمل ، فيكون بهذه الأشياء إذا اجتمعت مؤمناً ، فلما نفوا أن يكون الإيمان بشىء واحد وقالوا يكون بشيئين فى قول بعضهم وثلاثة أشياء فى قول غيرهم لم يكن مؤمناً إلا بما أجمعوا عليه من هذه الثلاثة الأشياء ، وذلك أنه إذا جاء بهذه الثلاثة الأشياء فكلهم يشهد أنه مؤمن ، فقلنا بما أجمعوا عليه من التصديق بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالجوارح .

فأما الطائفة التى ذهبت إلى أن العمل ليس من الإيمان فيقال لهم : ماذا أراد الله من العباد إذ قال لهم : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، الإقرار بذلك أو الإقرار والعمل ؟ فإن قالت : إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل فقد كفرت .

وعند أهل العلم من قال : إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة كافر .

وإن قالت : أراد منهم الإقرار والعمل ، قيل : فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً لم زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر وقد أرادهما جميعاً؟ أرأيتم لو أن رجلاً قال : أعمل جميع ما أمر به الله ولا أقر به أيكون مؤمناً ؟ فإن قالوا : لا ، قيل لهم : فإن قال : أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل به أيكون

مؤمناً ؟ فإن قالوا : نعم ، قيل : ما الفرق ، فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعاً فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر جاز أن يكون بالآخر إذا عمل به و لم يقر مؤمناً لا فرق بين ذلك ، فإن احتج فقال : لو أن رجلاً أسلم فأقر بجميع ما جاء به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أيكون مؤمناً بهذا الإقرار قبل أن يجىء وقت عمل ؟ قيل له : إنما يطلق له الاسم بتصديقه أن العمل بقوله أن يعمله فى وقته إذا جاء وليس عليه فى هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمناً ، ولو قال : أقر ولا أعمل ، لم يطلق عليه اسم الإيمان .

ثم قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : قلت -: يعنى الإمام أبو ثور رحمه الله-: أنه لا يكون مؤمناً إلا إذا التزم بالعمل مع الإقرار وإلا فلو أقر و لم يلتزم العمل لم يكن مؤمناً ، وهذا الاحتجاج الذى ذكره أبو ثور هو دليل على وجوب الأمرين : الإقرار والعمل ، وهو يدل على أن كلاً منهما من الدين ، وأنه لا يكون مطيعاً لله ولا مستحقاً للثواب ولا ممدوحاً عند الله ورسوله إلا بالأمرين جميعاً وهو حجة على من يجعل الأعمال خارجة عن الدين والإيمان جميعاً . انتهى المراد من كلامه مختصراً .

أقول : ألا يستحى بعد هذا كله من يقول : إن أبا طالب مات مؤمناً ممتلىء قلبه إيماناً ، قال فى أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب (ص ٦٥) : قال بعض العارفين : إنه ثبت عند أهل الكشف إيمان أبى طالب ثبوتاً لا شك فيه .

أقول : سبحان الله كيف كشف لكم عن هذا الأمر و لم يكشف للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ بل كيف لم يكشف لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه فهما أولى بأبى طالب منكم ، أم أنتم أفضل عند الله منهما؟ نعوذ بالله من الخذلان ومن غضبه والعصيان ، ومن أعظم البلايا التى ابتلى بها الإسلام

من قديم الزمان الشيعة وأهل الكشف – الصوفية – أصحاب : حدثنى قلبى عن ربى .

ولا تكاد أخى القارىء أن تجد بدعة أو خرافة أو شيئاً يقدح فى الدين إلا وجدت صوفياً أو شيعياً يذب عنها ويروج لها . فإلى الله المشتكى من مخالفى هذا الدين فهم خدوش فى وجه الإسلام البهى وردوا على حياضه فكدروها ومعالمه فطمسوها ، ضلوا فى أنفسهم وأضلوا كثيراً ممن اتبعهم ، فلا عجب أن يقول فلان الرافضى باطلاً فينصره فلان الصوفى لا لشىء، فقط لأنه يخالف أهل السنة بدون نظر ولا روية ، هل هو حق أم باطل سنة أم بدعة؟ زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ، ولقد أحسن من قال :

وفى السماء طيور اسمها البجع   إن الطيور على أشكالها تقع

وقد أصبحت هاتان الطائفتان فى هذا الزمن آلة للشيوعية وغيرها من أعداء الإسلام .

وقال الإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل – رحمهما الله – فى كتاب السنة (ج ١ ص ٣٤٧) :

حدثنى محمد بن على بن الحسن نا إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل – يعنى ابن عياض – يقول : الإيمان : المعرفة بالقلب والإقرار باللسان والتفضيل بالعمل .

وقال سمعت الفضيل يقول : أهل الإرجاء يقولون : الإيمان قول بلا عمل ، وتقول الجهمية : الإيمان : المعرفة بلا قول ولا عمل .

ويقول أهل السنة : الإيمان : المعرفة والقول والعمل .

وقال : حدثنا سويد بن سعيد الهروى قال : سألنا سفيان بن عيينة عن الإرجاء ؟ فقال : يقولون : الإيمان قول ، ونحن نقول : الإيمان قول وعمل .

والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إلٰه إلا الله مصراً بقلبه على ترك الفرائض ، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة المحارم ، وليس سواء لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر ، وبيان ذلك فى أمر آدم صلوات الله عليه وإبليس وعلماء اليهود ، أما آدم فنهاه الله عز وجل عن أكل الشجرة وحرمها عليه فأكل منها متعمداً ليكون ملكاً أو يكون من الخالدين فسمى عاصياً من غير كفر . وأما إبليس لعنه الله فإنه فرض عليه سجدة واحدة فجحدها متعمداً فسمى كافراً ، وأما علماء اليهود فعرفوا نعت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأنه نبى رسول كما يعرفون أبناءهم وأقروا ولم يتبعوا شريعته فسماهم الله عز وجل كفاراً فركوب المحارم مثل ذنب آدم – عليه السلام – وغيره من الأنبياء ، وأما ترك الفرائض جحوداً فهو كفر مثل كفر إبليس لعنه الله وتركهم على معرفة من غير جحود فهو كفر مثل كفر علماء اليهود . والله أعلم .

وقال أيضاً (ص ٣٧٤) : وجدت فى كتاب أبى – رحمه الله –، قال : أخبرت أن فضيل بن عياض قرأ أول الأنفال حتى بلغ : ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ ثم قال حين فرغ : إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل ، وأن المؤمن إذا كان مؤمناً حقاً فهو من أهل الجنة ، فمن لم يشهد أن المؤمن حقاً من أهل الجنة فهو شاك فى كتاب الله عز وجل مكذب به أو جاهل لا يعلم ، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقاً مستكمل الإيمان ، ولا يستكمل الإيمان إلا بالعمل ولن يستكمل عبد الإيمان ولا يكون مؤمناً حقاً حتى يؤثر دينه على شهوته ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه .

يا سفيه ما أجهلك لا ترضى أن تقول أنا مؤمن حقاً مستكمل الإيمان والله لا تكون مؤمناً حقاً مستكمل الإيمان حتى تؤدى ما افترض الله عز وجل

عليك ، وتجتنب ما حرم الله عليك ، وترضى بما قسم الله لك ، ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل الله عز وجل منك .

ووصف فضيل الإيمان بأنه قول وعمل ، وقرأ : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ ، فقد سمى الله – عز وجل – ديناً قيمة بالقول والعمل ، فالقول : الإقرار بالتوحيد والشهادة للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالبلاغ – والعمل أداء الفرائض واجتناب المحارم ، وقرأ : ﴿ **واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً** ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** ﴾ .

فالدين : التصديق بالعمل كما وصف الله عز وجل وكما أمر أنبياءه ورسله بإقامته .

والتفرق فيه ترك العمل والتفريق بين القول والعمل قال الله عز وجل : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ .

فالتوبة من الشرك جعلها الله عز وجل قولاً وعملاً بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وقال أصحاب الرأى : ليس الصلاة ولا الزكاة ولا شىء من الفرائض من الإيمان افتراء على الله عز وجل وخلافاً لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر رضى الله عنه أهل الردة .

وقال فضيل – رحمه الله – : يقول أهل البدع : الإيمان الإقرار بلا عمل

والإيمان واحد وإنما يتفاضل الناس بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان .

ومن قال ذلك فقد خالف الأثر ورد على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قوله لأن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : «**الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها : لا إلـه إلا الله ، وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان** » .

وتفسير من يقول : الإيمان لا يتفاضل يقول : إن الفرائض ليست من الإيمان فميز أهل البدع العمل من الإيمان ، وقالوا : إن فرائض الله ليست من الإيمان ، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية ، أخاف أن يكون جاحداً للفرائض راداً على الله عز وجل أمره .

ويقول أهل السنة : إن الله عز وجل قرن العمل بالإيمان وإن فرائض الله عز وجل من الإيمان قالوا : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فهذا موصل العمل بالإيمان .

ويقول أهل الإرجاء : إنه مقطوع غير موصول .

وقال أهل السنة : ﴿ **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن** ﴾ فهذا موصول وكل شيء فى القرآن من أشباه ذلك ، فأهل السنة يقولون : هو موصول مجتمع .

وأهل الإرجاء يقولون : هو مقطوع متفرق ولو كان الأمر كما يقولون لكان من عصى وارتكب المعاصى والمحارم لم يكن عليه سبيل وكان إقراره يكفيه من العمل ، فما أسوأ هذا من قول وأقبحه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقال فضيل : أصل الإيمان عندنا وفرعه بعد الشهادة والتوحيد وبعد الشهادة للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالبلاغ ، وبعد أداء الفرائض صدق الحديث وحفظ الأمانة وترك الخيانة والوفاء بالعهد وصلة الرحم

والنصيحة لجميع المسلمين والرحمة للناس عامة .

قيل له – يعنى فضيلاً – هذا من رأيك تقوله أو سمعته ؟ قال : بل سمعناه وتعلمناه ولو لم آخذه من أهل الفقه .والفضل لم أتكلم به .

وقال فضيل : يقول أهل الإرجاء : الإيمان : قول بلا عمل ، ويقول الجهمية : الإيمان : المعرفة بلا قول ولا عمل ، ويقول أهل السنة : الإيمان : المعرفة والقول والعمل ، فمن قال : الإيمان قول وعمل ، فقد أخذ بالوثيقة ، ومن قال : الإيمان قول بلا عمل فقد خاطر لأنه لا يدرى أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه .
وقال : – يعنى فضيلاً – قد بينت لك الا أن تكون أعمى .

فهذا بعض ما قال أهل العلم من أهل السنة حول تعريف الإيمان وبعض ردودهم على المخالفين من المبتدعين وأصحاب الأهواء والمقلدين .

فإذا علمت هذا وتدبرته ظهر لك ما وقع للبرزنجى ودحلان من التخبط والتناقض ، تارة يتشبثون بقول الأحناف المرجئة وتارة بقول الجهمية وتارة بقول الأشاعرة كلما رأوا قولاً فيه لهم شبهة أو تأييد لما يهوون فإنهم يصرخون به إن استطاعوا وإلا حاموا حوله ، وقد ذكرنا هذا عند مناقشة أقوالهم وتبيين ما فيها من تلبيس وبعد عن العلم الصحيح .

❋ ❋ ❋

□ الفصل الرابع □

○ فى ترجمة أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ○

ثم إنه لا بد لنا هنا من الوقوف على شيء من ترجمة أبى طالب وتحقيق اسمه وذكر شيء من أشعاره وبيان أنها لا تدل على إسلامه ، وتعقيبه بشيء من شبه القائلين بإسلامه ، وبيان فساد تلك الشبه بياناً شافياً مؤيداً بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة وأقوال علماء هذه الأمة المتجردين من الأهواء والبدع والتقليد الذين عرف بعدهم عن الخرافات والبدع والمداهنات والتلبيسات كمالك والشافعى وأحمد ، وابن تيمية ، وابن القيم ، وابن كثير ، وابن أبى العز ، وابن حجر العسقلانى ، وغيرهم ممن يربطون الخلق بخالقهم سبحانه وحده لا شريك له ولا يدعون الناس إلى تقليدهم بل يأمرونهم بالأخذ بالدليل من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

بخلاف أولئك الذين يربطونهم بمذهب أو شيخ أو طريقة أو حزبية ، أو غير ذلك مما يخالف الكتاب والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة .

أبو طالب اسمه : عبد مناف ، قال الحافظ فى الإصابة : واسمه : عبد مناف على المشهور ، وقيل : عمران ، وقال – أعنى ابن حجر – فى الفتح (١٩٣/٧) : واسمه عند الجميع عبد مناف ، وشذ من قال عمران بل هو قول باطل.

قلت : وهو كذلك عند ابن عساكر فى ترجمة على بن أبى طالب أن اسم أبى طالب : عبد مناف ، بل أكثر من تكرار قوله : واسمه عبد مناف ، وذلك عند تكرر لفظ أبى طالب وكأنه يريد بذلك الرد على من سماه عمران ، وهذا الذى شذ وسماه عمران له من وراء ذلك مآرب وهو تأييد ما ذهب إليه وشذ به وهو قوله : بإسلام أبى طالب ، فيفسر الآية على ما يهوى ، ويرد من الحديث ما يريد .

وذكر الحافظ ابن حجر – رحمه الله – أن ابن تيمية نقل فى كتاب « الرد على الرافضى – يعنى منهاج السنة –» وقد نقلناه بحروفه كما سيأتى : أن بعض الروافض زعم أن قوله تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران** ﴾ أن آل عمران هم آل أبى طالب ، وأن اسم أبى طالب : عمران واشتهر بكنيته .

أقول وبالله التوفيق : لو أن هذا المستدل بالآية المفسر لها هذا التفسير تلا الآية والآيات بعدها لخجل أن يقول مثل هذا الكلام ، فإن الله عز وجل قال : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً فتقبل منى إنك أنت السميع العليم ، فلما وضعتها قالت رب إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإنى سميتها مريم وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ .

وقد استجاب الله تبارك وتعالى دعاء امرأة عمران ، فقال البخارى– رحمه الله تعالى– (ج٨/٢١٢) : حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **ما من مولود يولد إلا والشيطان**

يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه ، إلا مريم وابنها » . ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم : ﴿ **وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم** ﴾ انتهى .

وأنا على يقين أنه لو قدر الله لامرأة عمران فوضعت ذكراً لذكر هذا المستدل الآية بتمامها ولذكر الآيات بعدها وقال: هو– أى المولود– على بن أبى طالب ، ولجحد هذا المستدل هو وأتباعه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فهاهم يقولون : إن جبريل خان الأمانة ، ويزعمون أن الرسالة لعلى بن أبى طالب ، ولكن جبريل خان وأعطاها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً** ﴾ .

ولكن الله تبارك وتعالى إذ خلقهم أعلم بما هم قائلون ، فله الحمد سبحانه إذ لم يترك الأمر هملاً ولم يدع لمبطل شيئاً يتعلق به .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – فى منهاج السنة فى الرد على الرافضة (٣٤٩/٤) : ثم من جهل الرافضة أنهم يعظمون أنساب الأنبياء ، آباءهم وأبناءهم ويقدحون فى أزواجهم كل ذلك عصبية واتباع هوى حتى يعظمون فاطمة والحسن والحسين ويقدحون فى عائشة أم المؤمنين فيقولون أو يقول منهم : إن آزر أبا إبراهيم كان مؤمناً ، وإن أبوى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانا مؤمنين ، حتى لا يقولون : إن النبى يكون أبوه كافراً ، فإذا كان أبوه كافراً أمكن أن يكون ابنه كافراً فلا يكون فى مجرد النسب فضيلة ، وهذا مما يدفعون به أن ابن نوح كان كافراً لكونه ابن نبى فلا يجعلونه كافراً مع كونه ابنه ، ويقولون أيضاً : إن أبا طالب كان مؤمناً ، ومنهم من يقول كان اسمه عمران ، وهو المذكور فى قوله تعالى : ﴿ **إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين** ﴾ .

وهذا الذى فعلوه مع ما فيه من الافتراء والبهتان ففيه من التناقض وعدم

حصول مقصودهم ما لا يخفى وذلك أن كون الرجل أبوه أو ابنه كافر لا ينقصه ذلك عند الله شيئاً ، فإن الله يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن المعلوم أن الصحابة أفضل من آبائهم وكان آباؤهم كفاراً بخلاف من كونه زوج بغى قحبة ، فإن هذا من أعظم ما يذم به ويعاب لأن مضرة ذلك تدخل عليه بخلاف كفر أبيه أو ابنه .

وأيضاً لو كان المؤمن لا يلد إلا مؤمناً لكان بنو آدم كلهم مؤمنين ، وقد قال تعالى : ﴿ **واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾ إلى آخر القصة .

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل** » .

وأيضاً فهم يقدحون فى العباس عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذى تواتر إيمانه ويمدحون أبا طالب الذى مات كافراً باتفاق أهل العلم كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة .

ففى الصحيحين عن المسيب بن حزن قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يا عم قل : لا إله إلّا الله كلمة أشهد لك بها عند الله** » ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعرضها عليه ويعود له ، وفى رواية : ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إلـٰه إلا الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم : « **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ .

وأنزل فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ ، وأخرجه مسلم من حديث أبى هريرة أيضاً وقال فيه : قال أبو طالب لولا أن تعيرنى قريش يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ .

وفى الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشىء فإنه كان يحوطك وينصرك ويغضب لك ؟ فقال : « **نعم ، هو فى ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار** » .

وفى حديث أبى سعيد لما ذكر عنده قال : « **لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منهما دماغه** » ، أخرجاه فى الصحيحين .

وأيضاً فإن الله لم يثن على أحد بمجرد نسبه ، بل انما يثنى عليه بإيمانه وتقواه كما قال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

وإن كان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا كما ثبت ذلك فى الحديث الصحيح .

فالمعدن هو مظنة حصول المطلوب ، فإن لم يحصل وإلا كان المعدن الناقص الذى يحصل منه المطلوب خيراً منه . انتهى المراد من كلامه – رحمه الله تعالى – .

فأبو طالب وإن كان هو القائل :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتنى وعلمت أنك صادق ولقد صدقت وكنت ثم أميناً
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتنى سمحاً بذاك مبيناً[1]

وعنه أيضاً أنه قال :

ألم تعلموا أن وجدنا محمداً نبياً كموسى صح ذلك فى الكتب

وهى أيضاً من طريقه كما فى المغازى والسير لابن إسحاق (ص١٥٧) .

وله أيضاً من قصيدة طويلة رنانة لا تعاب بشىء من جهة الأوزان الشعرية أما من جهة الأوزان الشرعية ففيها استعاذة بالمخلوقات وحلف بهم وهذا لا يجوز صرفه إلا لله وحده لا شريك له لأن الحلف والاستعاذة تقتضى تعظيم المستعاذ والمقسم به[2] ، ومن جملة تلك القصيدة الطويلة قوله :

---

(١) ذكرها الذهبى فى السيرة النبوية عند ذكر محاورة قريش لأبى طالب فى شأن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفيها أنه قال له : يابن أخى امض لأمرك وافعل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبداً ، قال ابن إسحاق فيما روى عنه يونس ثم قال أبو طالب فى ذلك شعراً ونقله ابن كثير ، (٣/٤٠) بداية ، عن البيهقى وهو من طريق أحمد بن عبد الجبار العطاردى الراوى عن يونس بن بكير وهو ضعيف ، قال مطين : كان يكذب ، وقال ابن عدى : رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه ، وكان ابن عقدة : لا يحدث عنه ، وذكر أن عنده قمطراً على أنه لا يتورع أن يحدث عن كل أحد قال ابن عدى : ولا يعرف له حديث منكر ، وإنما ضعفوه لأنه لم يلق من يحدث عنهم ، وقال الدارقطنى : لا بأس به ، ووثقه ابن أخى هناد بن السرى ، وبعضهم تأول تكذيب مطين له ، فالله أعلم . والخلاصة أنه لو صحت فليس فيها دليل على إيمانه ، والحمد لله رب العالمين .

(٢) قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – فى البداية (ج٣/٥٥) عقب ذكره =

لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش يوالى إلـٰهاً ليس عنه بغافل
كريم المساعى ماجد وابن ماجد له إرث مجد ثابت غير ناصل
وأيده رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير زائل
فوالله لولا أن أجىء بسبة تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا تبعناه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازل(1)

وكل هذا وغيره مما ذكر عنه لا يدل على إيمانه وأنه مات على الإسلام بل الدلالة فيها على خلاف ذلك ألا تسمع قوله : فوالله لولا أن أجىء بسبة ... إلى آخره ، ولكن المبتدعة يعرفون كيف يتصرفون فى نقل النصوص وتأويلها على ما يهوون ، وعلى كل فالثناء على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يدل على الإيمان فهذا أعشى بن قيس يمدح النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قصيدة له ومنها قوله :

= لهذه القصيدة : قال ابن هشام : هذا ما صح لى من هذه القصيدة وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

قلت : هذه قصيدة عظيمة بليغة جداً لا يستطيع أن يقولها إلا من نسبت إليه وهى أفحل من المعلقات السبع ، وأبلغ فى تأدية المعنى فيها جميعاً ، وقد أوردها الأموى فى مغازيه مطولة بزيادات أخرى ، والله أعلم . انتهى كلامه — رحمه الله تعالى —.

أقول : والقول فيها كالقول فى سابقتها نفياً وإثباتاً كما تقدم ، والله أعلم .

(١) تنبيه ذكر صاحب أسنى المطالب (ص٩١) : شيئاً من هذه الأبيات إلى قوله : يوالى إلـٰهاً ليس عنه بغافل ... ولم يذكر ما بعدها وخاصة قوله : فوالله لولا أن أجىء بسبة إلى آخره ، وهذا من التلبيس والتعمية وعدم الأمانة فى النقل حيث ينقل ما يوافق الهوى ويدع ما يخالفه ، ولو كان حقاً . فالله المستعان .

وآليت لا آوى لها من كلالة ... ولا من حفى حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم ... تراحى وتلقى من فواضله ندى
نبى يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
له صدقات ما تغب ونائل ... فليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد ... نبى الإلٰه حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله ... فترصد للأمر الذى كان أرصدا
فإياك والميتات لا تقربنها ... ولا تأخذن سهماً حديداً لتقصدا
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ... ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا

أليس فى هذا الكلام ثناء على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ بلى وفيه أيضاً أمر بعبادة الله واجتناب الأصنام والأنصاب والأزلام فهى من هذه الحيثية أحسن من تلك التى فيها استعاذة وحلف بالمخلوقات دون الخالق سبحانه وتعالى ، فهل كلامه ذلك يدل على إسلامه وأنه مات على الإسلام ، بل لو صح لكان أولى لأنه كما ذكروا عنه أنه لما أراد القدوم على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عرض له بعض الناس فقال له : يا أبا بصير إنه يحرم الزنا ، فقال الأعشى : والله إن ذلك لأمر ما لى فيه من أرب فقال : يا أبا بصير : إنه يحرم الخمر ؟ فقال الأعشى : أما هذه فوالله إن فى نفسى منها العلالات ولكنى منصرف فأتروى منها عامى هذا ثم آته فأسلم ، فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فأيهما أقرب إلى الإسلام ، هذا الذى قال : سيرجع يرتوى من الخمر ثم يأتى فيسلم فقصمه الموت قبل أن يأتى فيسلم ، أو ذاك الذى قال عند الاحتضار وقد قال له النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلفظ حنون : « **يا عم قل : لا إلٰه إلا الله ، كلمة أشفع لك بها عند الله** » ، فلم يزل يكررها عليه

حتى قال آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب .

وهذا أبو عزة عمرو بن عبد الله بن عثمان كان يتجسس للمشركين على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فلما ظفر به ، قال : يا رسول الله لقد عرفت ما لى من مال ، وإنى لذو حاجة وذو عيال فامنن علىّ ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحداً فقال أبو عزة يمدح رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ذلك :

من مبلغ عنى الرسول محمدا بأنك حق والمليك حميد
وأنت امرؤ تدعو إلى الحق والهدى عليك من الله العظيم شهيد
وأنت امرؤ بوئت فينا مباءة لها درجات سهلة وصعود
فإنك من حاربته لمحارب شقى ومن سالمته لسعيد
ولكن إذا ذكرت بدرا وأهله تأوب ما بى حسرة وقعود

ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية (٣/٣١٣) وقال : قلت : ثم إن أبا عزة هذا نقض ما كان عاهد الرسول عليه ولعب المشركون بعقله فرجع إليهم فلما كان يوم أحد أسر أيضاً فسأل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يمن عليه أيضاً ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا أدعك تمسح عارضيك وتقول : خدعت محمداً مرتين** » ، ثم أمر به فضربت عنقه . انتهى المراد من قوله رحمه الله .

فهل ثناؤه على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدل على إيمانه وإسلامه وغير هذا كثير مما يذكرون به النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بصفاته المحمودة ، وأيضاً لأنه حق واضح كالشمس ليس دونها سحاب ، فلا يسعهم أن يقولوا فيه غير ما اختصه الله تبارك وتعالى به .

ففى كتب التاريخ والسير من هذا الشىء الكثير فمن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير فى البداية (٣/٥٩) بسند صحيح إلا أن بعضهم رواه

مرسلاً[1] : أن الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ، قال : لم ؟ قال : ليعطوكه فإنك قد أتيت محمداً قال : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له ، قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيدة منى ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذى يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يعلى وإنه ليحطم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : قف عنى حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت : ﴿ **ذرنى ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالاً ممدوداً ، وبنين شهوداً** ﴾ الآيات ، إلى غير ذلك من الأخبار التى فيها مدح وثناء على النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلا يسع الآخرين إلا نشرها والإذعان لها لأنها حق لا يعتريها تزييف ولا تلبيس ، وذكر أبى طالب لمثل هذه الأشياء إن قلنا بصحتها فهى من حسن نصرته له وعلى هذا فإن أبا طالب ذكر شيئاً مهما وهو قوله :

لعمرى لقد كلفت وجداً بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل

---

(١) قال البيهقى فى دلائل النبوة (٢/١٩٨ - ١٩٩) عقب ذكره الحديث الموصول : هكذا حدثناه موصلاً ، وفى حديث حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة قال : جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ... إلى أن قال : وكذلك رواه معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة مرسلاً ، ورواه أيضاً معتمر بن سليمان عن أبيه فذكره أتم من ذلك مرسلاً ، وكل ذلك يؤكد بعضه بعضاً .

فذكر ما معناه أن الله الذى يقول للشيء كن فيكون كلفه حب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومناصرته ومؤازرته ، يريد أنه قد صار مفطوراً ومجبولاً ومطبوعاً على ذلك فلا يد له فى التخلى عن مؤازرته والنكول عن نصرته والسكوت عن فضائله مع مخالفته له فى دينه ولله تبارك وتعالى فى ذلك الحكم البالغة .

قال الحافظ ابن كثير– رحمه الله تعالى– (١٢٣/٣) من كتابه القيم «البداية» : وقد قدمنا ما كان يتعاطاه أبو طالب من المحاماة والمحاجة والممانعة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والدفاع عنه وعن أصحابه وما قاله فيه من المدادح والثناء ، وما أظهره له ولأصحابه من المودة والمحبة والشفقة فى أشعاره التى أسلفناها ، وما تضمنته من العيب والتنقيص لمن خالفه وكذبه بتلك العبارة الفصيحة البليغة الهاشمية المطلبية التى لا تدانى ولا تسامى ولا يمكن عربياً مقاربتها ولا معارضتها ، وهو فى ذلك كله يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صادق بارٌّ راشد ، ولكن مع هذا لم يؤمن قلبه . وفرق بين علم القلب وتصديقه كما قررنا ذلك فى شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى ، وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون** ﴾ وقال تعالى فى قوم فرعون : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم** ﴾ .

وقال موسى لفرعون : ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾ .

وقول بعض السلف فى قوله تعالى : ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ أنها نزلت فى أبى طالب من حيث كان ينهى الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وينأى هو عما جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الهدى ودين الحق .

فقد روى عن ابن عباس والقاسم بن مخيمرة وحبيب بن أبى ثابت وعطاء بن دينار ومحمد بن كعب وغيرهم ففيه نظر والله أعلم ، والأظهر – والله أعلم – الرواية الأخرى عن ابن عباس وهم ينهون الناس عن محمد أن يؤمنوا به ، وبهذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد – وهو اختيار ابن جرير – وتوجيهه أن هذا الكلام سيق لتمام ذم المشركين حيث كانوا يصدون الناس عن اتباعه ولا ينتفعون هم أيضاً به ، ولهذا قال : ﴿ **ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ .

وهذا اللفظ وهو قوله : ﴿ **وهم** ﴾ يدل على أن المراد بهذا جماعة وهم المذكورون فى سياق الكلام وقوله : ﴿ **وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ يدل على تمام الذم . وأبو طالب لم يكن بهذه المثابة بل كان يصد الناس عن أذية رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه بكل ما يقدر عليه من فعال ومقال ونفس ومال ، ولكن مع هذا لم يقدر الله له الإيمان لما له تعالى فى ذلك من الحكمة العظيمة والحجة القاطعة البالغة الدامغة التى يجب الإيمان بها والتسليم لها ، ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبى طالب وترحمنا عليه .

وقال ابن كثير – رحمه الله تعالى – أيضاً (ص ١٢٠) : وفاة أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثم من بعده خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ورضى الله عنها ، وقيل بل هى توفيت قبله والمشهور الأول ، وهذان المشفقان ، هذا فى الظاهر وهذه فى الباطن ، هذاك كافر ، وهذه مؤمنة صديقة رضى الله عنها وأرضاها.

وقال الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر – رحمه الله تعالى – فى كتابه الإصابة فى تمييز الصحابة (١١٢/٧) « القسم الرابع » :

أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى القرشى الهاشمى عم رسول الله شقيق أبيه أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية اشتهر بكنيته واسمه عبد مناف على المشهور ، وقيل : عمران ، وقال الحاكم : أكثر المتقدمين على أن اسمه كنيته ، ولد قبل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخمس وثلاثين سنة ، ولما مات عبد المطلب أوصى بمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أبى طالب فكفله وأحسن تربيته وسافر به صحبته إلى الشام وهو شاب ولما بعث قام فى نصرته .

وذب عنه من عاداه ومدحه عدة مدائح منها قوله لما استسقى أهل مكة فسقوا :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ومنها قوله من قصيدة :

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

قال ابن عيينة عن على بن زيد : ما سمعت أحسن من هذا البيت .

وأخرج أحمد من طريق حبة العرنى[1] قال : رأيت علياً يضحك على المنبر حتى بدت نواجذه ، ثم تذكر قول أبى طالب وقد ظهر علينا وأنا أصلى مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ببطن نخلة فقال : ماذا يصنعان ؟، فدعاه إلى الإسلام ، فقال : ما بالذى تقول من بأس ولكن والله لا يعلونى استى أبداً .

وأخرج البخارى فى التاريخ من طريق طلحة بن يحيى عن موسى بن طلحة

---

(١) قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – فى البداية والنهاية (٣٤٦/٧) : وحبة لا يساوى حبة .

عن عقيل بن أبى طالب قال : قالت قريش لأبى طالب : إن ابن أخيك هذا قد آذانا فذكر القصة فقال : يا عقيل ائتنى بمحمد ، فجئت به فى الظهيرة ، فقال : إن بنى عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم فانته عن أذاهم فقال : « **أترون هذه الشمس فما أنا بأقدر على أن أدع ذلك** » فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخى قط[1] .

وقال عبد الرزاق : حدثنا سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عمن سمع ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **وهم ينهون عنه وينأون عنه** ﴾ قال : نزلت فى أبى طالب كان ينهى عن أذى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وينأى[2] عما جاء به .

وأخرج ابن عدى من طريق الهيثم البكاء عن ثابت عن أنس قال : مرض أبو طالب فعاده النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يابن أخى ادع ربك الذى بعثك يعافينى ؟ فقال : « **اللهم اشف عمى فقام كأنما نشط من عقال** » ، فقال : يابن أخى إن ربك ليطيعك ؟ فقال : «**وأنت يا عماه لو أطعته ليطيعنك**»[3] .

---

(١) رواه البخارى فى الكبير (٧/٥١) من طريق محمد بن العلاء عن يونس بن بكير عن طلحة بن يحيى عن موسى بن طلحة عن عقيل ، وهو سند حسن إن سلم الانقطاع بين موسى وعقيل بن أبى طالب ، فإن رجاله كلهم ثقات إلا طلحة بن يحيى فانه صدوق يخطىء.

قال الحافظ فى التهذيب : قال ابن سعد : قالوا مات فى خلافة معاوية بعدما عمى .

قلت : فى تاريخ البخارى الأصغر بسند صحيح أنه مات فى أول خلافة يزيد بن معاوية قبل وقعة الحرة .

(٢) رواه ابن جرير الطبرى (١١/٣١٣) من تفسيره وهو ضعيف إلى ابن عباس لأن فيه مبهماً .

(٣) الهيثم البكاء ضعيف وقد تكلمنا على هذا الحديث فى غير هذا الموضع .

وفى زيادات يونس بن بكير من المغازى عن يونس بن عمرو عن أبى السفر قال : بعث أبو طالب إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : أطعمنى من عنب جنتك ؟ فقال أبو بكر : إن الله حرمها على الكافرين[1].

وذكر جمع من الرافضة أنه مات مسلما وتمسكوا بما نسب إليه من قوله :

ودعوتنى وعلمت أنك صادق ولقد صدقت فكنت قبل أميناً
ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

قال ابن عساكر فى صدر ترجمته : قيل إنه أسلم ، ولا يصح إسلامه ، ولقد وقفت على تصنيف لبعض الشيعة أثبت فيه إسلام أبى طالب ، منها ما أخرجه من طريق يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن العباس بن عبد الله بن سعيد بن عباس عن بعض أهله عن ابن عباس قال : لما أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبا طالب فى مرضه قال له : « **يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة** » قال : يابن أخى والله لولا أن تكون مشقة على وعلى أهلى من بعدى يرون أنى قلتها جزعاً عند الموت لقلتها ، لا أقولها إلا لأسرك بها فلما ثقل أبو طالب رؤى يحرك شفتيه فأصغى إليه العباس فسمع قوله ، فرفع رأسه عنه فقال : قد قال والله الكلمة التى سأله عنها، ومن طريق إسحاق بن عيسى الهاشمى عن أبيه

(١) يونس بن عمرو هو ابن أبى إسحاق السبيعى ثقة ، وأبو السفر هو سعيد بن يحمد ثقة إلا أنه لم يدرك زمن النبوة فضلاً عن أن يدرك زمن أبى طالب فيكون الحديث ضعيف لإرساله ، ورواه ابن أبى حاتم عن أبى صالح من رواية الأعمش عنه ، نقله عنه ابن كثير– رحمه الله تعالى– فى تفسيره (ج٢ / ٢١٩) وسنده صحيح إليه إلا أن علته علة ما قبله وهى الإرسال ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور=

سمعت المهاجر مولى بنى نفيل يقول : سمعت أبا رافع يقول : سمعت أبا طالب يقول : سمعت ابن أخى محمد بن عبد الله يقول : إن ربه بعثه بصلة الأرحام وأن يعبد الله وحده لا يعبد معه غيره ومحمد الصدوق الأمين .

ومن طريق ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن أبى عامر الهوزنى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خرج معارضاً جنازة أبى طالب وهو يقول « **وصلتك رحم** » .

ومن طريق عبد الله بن ضمره عن أبيه عن علىّ أنه لما أسلم قال له أبو طالب : الزم ابن عمك .

ومن طريق أبى عبيدة معمر بن المثنى عن رؤبة بن العجاج عن أبيه عن عمران بن حصين أن أبا طالب قال لجعفر بن أبى طالب لما أسلم : قَبِّلْ جناح ابن عمك ، فصلى جعفر مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

ومن طريق محمد بن زكرياء العلائى عن العباس بن بكار عن أبى بكر الهذلى عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : جاء أبو بكر بأبى قحافة وهو شيخ قد عمى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **ألا تركت الشيخ حتى آتيه** » قال : أردت أن يأجره الله والذى بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبى طالب منى بإسلام أبى ألتمس بذلك قرة عينك .

وأسانيد هذه الأحاديث واهية وليس المراد بقوله فى الحديث الأخير إثبات إسلام أبى طالب فقد أخرج عمر بن شبة فى كتاب مكة ، وأبو يعلى وأبو بشر وسمويه فى فوائده كلهم من طريق محمد بن سلمة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أنس فى قصة إسلام أبى قحافة قال : فلما مد يده

= (٣ / ٩٠) لابن أبى شيبة وابن أبى حاتم .

يبايعه بكى أبو بكر ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **ما يبكيك** » قال : لأن تكون يد عمك مكان يده ويسلم ويقر الله عينك أحب إلىّ من أن يكون . وسنده صحيح .

وأخرجه الحاكم من هذا الوجه وقال : صحيح على شرط الشيخين .

وعلى تقدير ثبوتها – يعنى جميع الروايات التى فيها تلميحات أو تصريحات بأن أبا طالب أسلم ومات على الإسلام – فقد عارضها ما هو أصح منها .

● أما الأول : ففى الصحيحين من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية ، فقال : « **يا عم ، قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله** » فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ، فلم يزال به حتى قال آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب . فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » فنزلت ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ الآية ، ونزلت ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ .

فهذا هو الصحيح يرد الرواية التى ذكرها ابن إسحاق إذ لو كان قال كلمة التوحيد ما نهى الله تعالى نبيه عن الاستغفار له ، وهذا الجواب أولى من قول من أجاب بأن العباس ما أدى هذه الشهادة وهو مسلم وإنما ذكرها قبل أن يسلم فلا يعتد بها .

قلت : ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٣ / ١٢٣) عن السهيلى ثم قال : وعندى أن الخبر بذلك ما صح لضعف سنده كما تقدم، ومما يدل على ذلك أنه يعنى العباس سأل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد ذلك عن أبى طالب فذكر له أنه فى ضحضاح من نار .

وقال (ص ١٢١) من الجزء نفسه : وقد استدل بعض من ذهب من الشيعة وغيرهم من الغلاة إلى أن أبا طالب مات مسلماً بقول العباس فى هذا الحديث : يابن أخى لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها يعنى : لا إله إلا الله ، والجواب عن هذا من وجوه ، أحدها : أن فى السند مبهماً لا يعرف حاله وهو قوله عن بعض أهله ، وهذا إبهام فى الاسم والحال ، ومثله يتوقف فيه لو انفرد ثم ذكر أنه جاء من وجوه أخر وليس فيه قول العباس .

قلت : والقصة المذكورة لم تصح ، انتهى المراد من البداية والنهاية .

ثم قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله- : وقد أجاب الرافضى المذكور عن قوله : هو على ملة عبد المطلب بأن عبد المطلب مات على الإسلام ، واستدل بأثر مقطوع عن جعفر الصادق سأذكره بعد ، ولا حجة فيه لانقطاعه وضعف رجاله .

قلت : إن كان على ملة عبد المطلب وهو مسلم فلماذا ينهى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الاستغفار له ، ويبقى الحكم ولم ينسخ حتى بعد أن انتشر الدين وظهر وانتصر ؟

● قال الحافظ : وأما الثانى : وفيه شهادة أبى طالب بتصديق النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فالجواب عنه وعما ورد من شعر أبى طالب فى ذلك أنه نظير ما حكى الله تعالى عن كفار قريش ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً** ﴾ فكان كفرهم عناداً ومنشؤه الأَنَفَةُ والكِبْرُ ، وإلى ذلك أشار أبو طالب بقوله : لولا أن تُعيِّرَنِى قريش .

● وأما الثالث : وهو أثر الهوزنى فهو مرسل ، ومع ذلك فليس فى قوله : « **وصلتك رحم** » ما يدل على عدمه وهو معارضته لجنازته إذ لو كان أسلم لمشى معه وصلى عليه ، وقد ورد ما هو أصح منه وهو ما أخرجه أبو داود والنسائى ، وصححه ابن خزيمة من طريق ناجية بن كعب عن علىّ قال : لما مات أبو طالب أتيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقلت : إن عمك الضال قد مات ؟ فقال لى: «**اذهب فواره ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينى**» ففعلت ثم جئت فدعا لى بدعوات.

وقد أخرجه الرافضي المذكور من وجه آخر عن ناجية بن كعب عن عليّ بدون قوله : الضال .

قلت : وهذا من قلة أمانة المبتدعة وأصحاب الأهواء في النقل .

● قال الحافظ : وأما الرابع والخامس : وهو أمر أبي طالب ولديه باتباعه ، فتركه ذلك هو من جملة العناد ، وهو أيضاً من حسن نصرته له وذبِّه عنه ومعاداته قومه بسببه .

وأما قول أبي بكر فمراده : لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب مني بإسلام أبي ، أي : لو أسلم ، ويبين ذلك ما أخرجه أبو قرة موسى بن طارق عن موسى بن عبيدة[1] عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : جاء أبو بكر بأبي قحافة يقوده يوم فتح مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ألا تركت الشيخ حتى نأتيه ؟** » قال أبو بكر : أردت أن يأجره الله ، والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشد فرحاً بإسلام أبي طالب لو كان أسلم مني بأبي .

وذكر ابن إسحاق أن عمر لما عارض العباس في أبي سفيان لما أقبل به ليلة الفتح فقال له العباس : لو كان من بني عدي ما أحببت أن يقتل ، فقال عمر : أنا بإسلامك إذا أسلمت أفرح مني بإسلام الخطاب . يعني لو كان أسلم[2] .

ثم ذكر الرافضي من طريق راشد الحماني قال : سئل أبو عبد الله يعني جعفر بن محمد الصادق عن أهل الجنة ؟ فقال : الأنبياء في الجنة ، والصالحون في الجنة ، والأسباط في الجنة ، وأجمل العالمين مجداً محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقدم آدم فمن بعده من آبائه ، وهذه الأصناف يحدقون به ، ويحشر

---

(١) موسى بن عبيدة هو الربذي . ضعيف .

(٢) لم أقف على سنده .

عبد المطلب به نور الأنبياء وجمال الملوك ، ويحشر أبو طالب فى زمرته ، فإذا ساروا بحضرة الحساب ، وتبوأ أهل الجنة منازلهم ، ودخر أهل النار ارتفع شهاب عظيم لا يشك من رآه أنه غيم من النار ، فيحضر كل من عرف ربه من جميع الملل و لم يعرف نبيه والشيخ الفانى والطفل فيقال لهم : إن الجبار تبارك وتعالى يأمركم أن تدخلوا هذه النار ، فكل من اقتحمها خلص إلى أعلى الجنان ، ومن كع عنها غشيته.

أخرجه عن أبى بشر أحمد بن إبراهيم بن يعلى بن أسد عن أبى صالح الحمادى عن أبيه عن جده سمعت راشداً الحمانى فذكره ، وهذه سلسلة شيعة غلاة فى رفضهم ، والحديث الأخير ورد من عدة طرق فى حق الشيخ الهرم ، ومن مات فى الفترة ومن ولد أكمه أعمى أصم ، ومن ولد مجنوناً أو طرأ عليه الجنون قبل أن يبلغ ونحو ذلك ، وأن كلاً منهم يدلى بحجة ويقول : لو عقلت أو ذكرت لآمنت فترفع لهم نار ، ويقال لهم ادخلوها ، فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن امتنع أدخلها كرهاً ، هذا معنى ما ورد من ذلك ، وقد جمعت طرقه فى جزء مفرد ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآل بيته فى جملة من يدخلها طائعاً فينجو ، لكن ورد فى أبى طالب ما يدفع ذلك وهو ما تقدم من آية براءة ، وما ورد فى الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ما أغنيت عن عمك أبى طالب فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ فقال : « **هو فى ضحضاح من النار ، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل** » .

فهذا شأن من مات على الكفر فلو كان مات على التوحيد لنجا من النار أصلاً ، والأحاديث الصحيحة والأخبار المتكاثرة طافحة بذلك ، وقد فخر المنصور على محمد بن عبد الله بن الحسن لما خرج بالمدينة وكاتبه المكاتبات المشهورة ومنها فى كتاب المنصور : وقد بعث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وله أربعة أعمام فآمن به اثنان أحدهما أبى ، وكفر به اثنان أحدهما أبوك[1]

---

(١) قال الحافظ– رحمه الله– فى الفتح (٧ / ١٩٦) تكملة من عجائب الاتفاق أن=

ومن شعر عبد الله بن المعتز يخاطب الفاطميين :

وأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

وأخرج الرافضى أيضاً فى تصنيفه قصة وفاة أبى طالب من طريق علىّ بن محمد بن متيم ، سمعت أبى يقول : سمعت جدى يقول : سمعت علىّ بن أبى طالب يقول : تبع أبو طالب عبد المطلب فى كل أحواله حتى خرج من الدنيا وهو على ملته ، وأوصانى أن أدفنه فى قبره ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « **اذهب فواره** » وأتيته لما أنزل به فغسّلته وكفّنته وحملته إلى الحجون فنبشت عن قبر عبد المطلب فوجدته متوجهاً إلى القبلة فدفنته معه .

قال متيم : ما عبد علىّ ولا أحد من آبائه إلا الله إلى أن ماتوا – أخرجه عن أبى بشر المتقدم ذكره عن أبى بردة السلمى عن الحسن بن ما شاء الله عن أبيه عن علىّ بن محمد بن متيم ، وهذه سلسلة شيعة من الغلاة فى الرفض ، فلا يفرح به ، وقد عارضه ما هو أصح منه مما تقدم ، فهو المعتمد ثم استدل الرافضى بقول الله تعالى : ﴿ **فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون** ﴾ .

قال : وقد عزره أبو طالب بما اشتهر وعلم ونابذ قريشاً وعاداهم بسببه مما لا يدفعه أحد من نقلة الأخبار فيكون من المفلحين . انتهى .

وهذا مبلغهم من العلم وإنّا نسلم أنه نصره وبالغ فى ذلك لكنه لم يتبع

= الذين أدركهم الإسلام من أعمام النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أربعة لم يسلم منهم اثنان وأسلم اثنان ، وكان اسم من لم يسلم ينافى أسامى المسلمين وهما أبو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس .

النور الذى أنزل معه وهو الكتاب العزيز الداعى إلى التوحيد ، ولا يحصل الفلاح إلا بحصول ما رتب عليه من الصفات كلها .

قال المرزبانى : مات أبو طالب فى السنة العاشرة من المبعث ، وكان له يوم مات بضع وثمانون سنة .

وذكر ابن سعد عن الواقدى أنه مات فى نصف شوال منها ، وقد وقعت لنا رواية أبى طالب عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما أخرجه الخطيب فى كتابه رواية الآباء عن الأبناء من طريق أحمد بن الحسن المعروف بدبيس حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم العلوى أبى الحسين بن محمد عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه عن علىّ بن الحسين عن الحسين بن علىّ ، قال سمعت أبا طالب يقول : حدثنى محمد بن أخى وكان والله صدوقاً قال : قلت له: بما بعثت يا محمد ؟ قال : « **بصلة الأرحام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** » ، قال الخطيب : لم أكتبه بهذا الإسناد إلا عن هذا الشيخ .

ودبيس المقرىء صاحب غرائب ، وكثير الرواية للمناكير ، وقال الخطيب أيضاً : أخبرنا أبو نعيم حدثنا محمد بن فارس بن حمدان حدثنا علىّ بن السراج البرقعيدى حدثنا جعفر بن عبد الواحد العاصى قال : قال محمد بن عباد عن إسحاق بن عيسى عن مهاجر مولى بنى نوفل ، سمعت أبا رافع أنه سمع أبا طالب يقول : حدثنى محمد أن الله أمره بصلة الأرحام ، وأن يعبد الله وحده ولا يعبد معه أحداً ، ومحمد عندى الصدوق الأمين .

قال الخطيب : لا يثبت هذا الحديث أهل العلم بالنقل وفى إسناده غير واحد من المجهولين ، وجعفر ذاهب الحديث .

وقال ابن سعد فى الطبقات : أخبرنا إسحاق الأزرق حدثنا عبد الله بن عون عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى المجاز مع ابن أخى فأدركنى العطش فشكوت إليه ولا أرى عنده شيئاً . قال : فثنى وركه ثم نزل فأهوى بعصاه

إلى الأرض فإذا بالماء . فقال : « **اشرب يا عم** » فشربت .

ومما لم يذكره الرافضى من الأحاديث الواردة فى هذا الباب ما أخرجه تمام الرازى فى فوائده من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن عمر رفعه أنه إذا كان يوم القيامة شفعت لأبى وعمى وأبى طالب وأخ لى كان فى الجاهلية .

وقال تمام : الوليد منكر الحديث ، قال ابن عساكر : والصحيح ما أخرجه مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر عنده أبو طالب فقال : « **ينفعه**[1] **شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه** » انتهى ذكر ترجمة أبى طالب من الإصابة للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى .

وكنت أفكر فى نفسى فى أخذ نبذة منه لغرض الاختصار ولكن كان ما أراده الله وهو الأنفع إن شاء الله لأن كلام العلماء العاملين من المتقدمين خاصة وقليل من المتأخرين له قبول فى نفوس الناس أكثر من غيرهم ، فلهذا آثرت نقل ترجمته برمتها من أولها إلى آخرها .

○ (**توطئة**) ○

وهذه عدة أحاديث تدل دلالة قطعية على أن أبا طالب مات على غير الإسلام ولو لم يأتنا إلا حديث واحد لكان كافياً فى ثبوت الحكم ، ولكن هذه حكمة العزيز الحكيم فإنه يعلم سبحانه وتع إلى أنه سيجىء قوم صم بكم عمى فهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، فبين هذه المسألة بياناً شافياً لمن أراد

---

(١) صوابه : لعله تنفعه شفاعتى ... الحديث .

الحق ، ومن أراد غير ذلك فماذا بعد الحق إلا الضلال .

وكذلك كثير من المسائل فإنه كلما كان الناس بحاجة إلى زيادة تبيين وتوضيح تكاثرت الأدلة الواضحة فى تبيين ذلك الحكم أو تلك المسألة .

وجميع هذه الأحاديث تدل على أن أبا طالب مات كافراً على غير الإسلام ، ولو لم يأت إلا حديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حيث قال للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن عمك الشيخ الضال ... الحديث ، وأيضاً لم يقل : الشيخ الضال ، فإن هذا من السب والشتم وذلك من الكبائر ، فلو كان مسلماً لقال : إن أبى ، وأيضاً لو كان مسلماً لحضر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم جنازته ولصلى عليه . فقد ثبت أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلى على عبد الله بن أبى بن سلول فأخذ عمر بثوبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال : تصلى عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم .

ولكنه قال لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى ذلك الموقف « **اذهب فوار أباك ولا تحدثن حدثاً** » وقال لعمر « **إن الله خيرنى فاخترت** » يعنى : الاستغفار .

ولو لم يأت أيضاً إلا حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه** » فما يسعنا إلا أن نسلم ولكن المعاند لا يقدر أحد على إقناعه كما قال الله عز وجل: ﴿ **ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سُكِّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾.

فالشيعة الرافضة قوم لا يعقلون ، فهم ينظرون إلى أى شىء يخالفهم فيه أهل السنة بغض النظر: هل هو حق أم باطل ؟ فسرعان ما يبادرون إلى مخالفتهم، ولذلك

أمثلة كثيرة يطول ذكرها ، فمثلاً أهل السنة يترضون عن أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقول الله عز وجل : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾ .

والرافضة الشيعة يسبونهم ، ويتجلد أحدهم أى تجلد فى نصرة مذهبه ورأيه وهو مخالف للكتاب والسنة ، وأهل السنة لا يدعونهم لأن يكونوا أتباعاً لهم بل يدعونهم لاتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإن كان همهم اتباع الحق فهذا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأيضاً فهم يزعمون أنهم من شيعة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وشتان بينهم وبينه فعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى واد والشيعة الرافضة فى واد آخر .

وإليك أمثلة على ذلك ، ففى صحيح البخارى أن علياً رضى الله عنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ، والشيعة تسبهما رضى الله عنهما بل منهم من يكفرهما ويتبرأ منهما[1] .

---

(١) وفى صحيح مسلم عن علىّ رضى الله عنه أنه قال لأبى الهياج الأسدى : ألا أبعثك على ما بعثى عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ألَّا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا صورة إلا طمستها . وتشييد القبور والبناء عليها شائع ذائع عندهم ويزعمون أنهم علويون أو أنهم من شيعته .

وفى الصحيح أيضاً عن علىّ رضى الله عنه قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ذبح لغير الله.. الحديث، وهم يذبحون لغير الله باسم نذر لفلان أو استسقاء بفلان ويذبحون عند قبره أو باسم هجر وعقيرة إلى غير ذلك ، وهذا موجود عند الصوفية العلويين والشيعة ثم يزعمون أنهم من أتباعه ومن أشياعه ومحبيه .

وعنه رضى الله عنه وأرضاه أنه قال : ماكنت لأدع سنة رسول الله =

وفى الحديث الثامن من هذه المواهب يقول علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه مات مشركاً – يعنى أبا طالب – والشيعة الرافضة ومن تبعهم من المُقَلِّدة يقولون : إنه مات على الإسلام ، فأهل مكة أدرى بشعابها ، وصاحب الدار أعلم بما فيه .

***

= صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وهؤلاء – أعنى الشيعة والصوفية العلوية – يحاربون سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وهو القائل : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه .

وهم رأييون فى عقيدتهم وعبادتهم وجميع أمورهم ثم بعد ذلك يزعمون بأنهم .... وأنهم ... تلك أقوالهم وهذى أفعالهم فصاروا كما قيل .

سارت مشرِّقة وسرت مغرِّباً شتان بين مشرِّق ومغرِّب

□ الباب الثانى □

وفيه توطئة وسبعة فصول :

○ الفصل الأول : وفيه : ذكر الحديثين الأول والثانى وترجمة رجال الإسنادين وشرح كلا الحديثين .

○ الفصل الثانى : فى ذكر أقوال المفسرين فى آيتى التوبة والقصص .

○ الفصل الثالث : فى ذكر حديثى العباس وأبى سعيد وسنديهما وشرحهما .

○ الفصل الرابع : فى الشفاعة وأنواعها .

○ الفصل الخامس : فى شبه البرزنجى ودحلان حول الشفاعة .

○ الفصل السادس : فى ذكر حديثى النعمان بن بشير وابن عباس رضى الله عنهم وذكر سنديهما وشرحهما .

○ الفصل السابع : فى أحاديث مفردة .

* * *

□ الفصل الأول □

○ ويشتمل على ذكر الحديثين الأول والثانى ○
وترجمة رجال الإسناد وشرح كلا الحديثين

□ **الحديث الأول** : عن المسيب بن حزن .

عند البخارى (ج ٣ / ٢٢٢) ومسلم (ج١ / ٢١٣) بشرح النووى : واللفظ لمسلم قال :

حدثنا حرملة بن يحيى التجيبى أخبرنا عبد الله بن وهب قال : أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال : أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يا عم قل : لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله** » ؟ فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال : آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » فأنزل الله عز وجل ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُوْلِى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ .

وأنزل الله تعالى فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾.**

وبوّب البخارى لهذا الحديث فقال : باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله .

ورواه النسائى فى الجنائز (ج ٤ / ٩٠ - ٩١) وفى التفسير برقم (٢٥٠) .

وأحمد فى المسند (ج ٥ / ٤٣٣) .

وأبو عوانة فى مسنده (ج ١ / ١٤) .

والبيهقى فى دلائل النبوة (ج ٢ / ٣٤٢ / ٣٤٣) .

والطبرى (ج ١٤/ ٥١٠) من التفسير .

○ **إسناد الحديث :**

١ - حرملة بن يحيى : هو ابن حرملة بن عمران أبو حفص التجيبى المصرى صاحب الشافعى ، صدوق من رجال مسلم والنسائى وابن ماجة .

وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به ، وقال ابن معين : كان أعلم الناس بابن وهب ، وقال ابن عدى : سألت عبد الله بن محمد الفرهاذانى[1] أن يملى علىّ شيئاً عن حرملة ؟ فقال : هو ضعيف .

وقال العقيلى : كان أعلم الناس بابن وهب ، وهو ثقة إن شاء الله ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

وقال ابن عدى : قد تبحرت حديث حرملة وفتشته الكثير فلم أجد فى حديثه ما يجب أن يُضعَّف من أجله .

قال الذهبى عقبه : يكفيه أن ابن معين قد أثنى عليه ، وهو أصغر من ابن معين . انتهى ملخصاً من الميزان ، والتقريب والتهذيب . والخلاصة .

ثم إنه ثقة فى ابن وهب صدوق فى غيره أى يكون حديثه صحيحاً عن ابن

---

(١) فى التعليق على التهذيب : ضبطه صاحب لب اللباب : بالفتح والسكون ، نسبة إلى فرهاذان قرية من قرى نسا بخراسان . اهـ . أبو الحسن .

وهب حسناً عن غيره ، وقد عقبه مسلم بقوله : وحدثنا حسن الحلوانى وعبد بن حميد قالا : حدثنا يعقوب وهو ابن إبراهيم بن سعد قال : حدثنى أبى عن صالح كلاهما عن الزهرى .

ورواه البخارى عن إسحاق بن إبراهيم عن يعقوب بن إبراهيم به ، ورواه أيضاً عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى به ، والحمد لله رب العالمين .

٢ – عبد الله بن وهب بن مسلم : أبو محمد المصرى ، أحد الأثبات والأئمة الأعلام ، قال أحمد بن صالح : صنف ابن وهب مائة ألف وعشرين ألف حديث ، وحديثه كله عند حرملة سوى حديثين .

قال الذهبى : قلت : مع هذه الكثرة فابن عدى يقول : لا أعلم له حديثاً منكراً حدث به عنه ثقة .

وقال يونس بن عبد الأعلى : عرض على ابن وهب القضاء فحبس نفسه ولزم بيته ، وقال الحافظ ابن حجر فى التقريب : الفقيه ثقة ، حافظ ، عابد .

٣ – يونس هو ابن يزيد بن أبى النجاد الأيلى : أبو يزيد صاحب الزهرى .

قال الذهبى : ثقة حجة ، شذ ابن سعد فى قوله : ليس بحجة .

وقال الحافظ ابن حجر : ثقة إلا أن فى روايته عن الزهرى وهماً قليلاً . وفى غير الزهرى خطأ .

قلت : وفى شرح علل الترمذى عن أحمد أنه قال : وأكثرهم رواية عنه يعنى الزهرى يونس وعقيل ومعمر . وقال : يونس وعقيل يؤديان الألفاظ .

وعن ابن معين : وقد كان يونس وعقيل عالمين به ، يعنى بالزهرى .

وفى مقدمة الفتح عن أحمد بن صالح المصرى أنه قال : نحن لا نقدم على يونس فى الزهرى أحداً . وقال أبو حاتم : مجهول . ا هـ تهذيب .

٤ - ابن شهاب : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله القرشى الزهرى أبو بكر الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه .

وقال الذهبى فيه : الحافظ الحجة كان يدلس فى النادر .

وفى شرح علل الترمذى : أن الزهرى قال : أنا أعلم بعروة من هشام . يعنى أنه أعلم بحديث عروة بن الزبير من ابنه هشام بن عروة ، وقول الحافظ ابن حجر فيه : متفق على جلالته وإتقانه ، يشير إلى الذين يطعنون فى الزهرى لأنه كان يدخل على أمراء بنى أمية وهو- رحمه الله- كان يدخل عليهم دخول الناصح الأمين ، فهؤلاء لا يطعنون فيه لأنه كان يخالط بنى أمية فحسب بل لأنه حامل لواء السنة ، وهو أول من جمعها ودونها مع أبى بكر بن عمرو بن حزم بأمر عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم وألحقنا بهم إنه على ذلك قدير .

٥ - سعيد بن المسيب : أبو محمد القرشى المخزومى أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار ، قال ابن المدينى : لا أعلم فى التابعين أوسع علماً منه . كان يتجر فى الزيت ويقول : والله ما بى للمال ولكن أريد أن أكف عرضى عن الناس .

٦ - عن أبيه : هو المسيب بن حزن ، بفتح المهملة وسكون الزاى ضد السهل بن أبى وهب أبو سعيد . له ولأبيه حزن بن أبى وهب صحبة .

فيقال لهؤلاء المخذولين فى أى راو من هؤلاء تطعنون .

□ **الحديث الثانى** : عن أبى هريرة .

أخرجه مسلم (ج ١ / ٢١٦) فقال رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم الأشجعى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه : « **قل : لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة** » قال : لولا أن تعيرنى

قريش يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، فأنزل الله : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ .

ورواه أيضاً من طريق محمد بن عباد وابن أبى عمر قالا : حدثنا مروان عن يزيد بن كيسان به .

والنسائى (ج ٤ / ٩٠) .

وابن ماجة (١/١٠٥) من طريق محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان به .

ورواه أحمد (ج٢/٤٣٤ - ٤٤١) .

ورواه الترمذى فى التفسير (ج٥/٣٤١) عن بندار عن يحيى بن سعيد وهو القطان عن يزيد بن كيسان .

وأبو عوانة فى مسنده (ج١/١٥) .

وابن مندة من كتاب الإيمان (ج١/١٨١ - ١٨٢) .

والبيهقى فى الدلائل (ج٢/٣٤٤ - ٣٤٥) .

فهذه متابعات جيدة لمحمد بن حاتم والحمد لله .

قال الحافظ فى الفتح (٧/١٩٥) : وأخرج ابن إسحاق من حديث ابن عباس نحوه . اهـ .

○ **سند الحديث :**

١ - محمد بن حاتم بن ميمون البغدادى السمين صدوق ربما وهم ، وكان فاضلاً . قاله فى التقريب وفى التهذيب ، قال ابن عدى والدارقطنى : ثقة ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

أقول : ولا يضره تكذيب من كذبه لأنه قد توبع كما تقدم .

٢ - يحيى بن سعيد هو القطان البصرى ، ثقة ، متقن ، حافظ ، إمام قدوة ، قاله فى التقريب .

٣ – يزيد بن كيسان : هو اليشكرى أبو إسماعيل أو أبو منين بنون مصغراً صدوق يخطىء، قاله الحافظ فى التقريب وقال فى التهذيب : وقال ابن معين والنسائى : ثقة .

وقال ابن أبى حاتم عن أبيه : يكتب حديثه ، محله الصدق صالح الحديث .

قلت : يحتج بحديثه ؟ قال : بعض ما يأتى به صحيح وبعضه لا . قال أبى : يحول عن كتاب الضعفاء . وقال ابن حبان فى الثقات : يزيد بن كيسان الأسلمى كنيته أبو إسماعيل وهو الذى يقال له : أبو منين كان يخطىء ويخالف لم يفحش خطؤه فيترك ، خطؤه كغيره من الثقات . قال الحافظ : قلت : وقال الدارقطنى : كوفى ثقة ، وقال العقيلى : قال أحمد بن حنبل : ثقة ، وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالحافظ عندهم .

أقول : ولا يضره هذا ، وكذا لايضره قول علىّ بن المدينى : ليس هو ممن يعتمد على حديثه لما رأيت من توثيق الأئمة له والحمد لله .

فيتوسط فى أمره وَيُحَسَّن حديثه كما أشار إلى ذلك الحافظ فى التقريب .

٤ – أبو حازم الأشجعى : هو سلمان ، ثقة ، وقال فى التهذيب : قال أحمد وابن معين وأبو داود : ثقة .

وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال ابن سعد : كان ثقة وله أحاديث صالحة .

وقال العجلى : ثقة .

وقال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ثقة .

٥ – أبو هريرة : اختلفوا فى اسمه وهو مشهور بكنيته ، الصحابى الجليل أحد المكثرين عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمكثرون سبعة قال السيوطى رحمه الله تعالى :

المكثـرون فـى روايـة الأثـر أبـو هريـرة يليـه ابـن عمـر
وأنـس والحبـر كذا الخدرى وجابـــر وزوجـــة النبـــى

الحبر هو ابن عباس ، والخدرى هو : أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان . والمراد بزوجة النبى فى البيت : عائشة رضى الله عنها وأرضاها فهؤلاء هم المكثرون وأبو هريرة رضى الله عنه أحفظهم وأكثرهم . فهو أكثر المكثرين حديثاً وأبو هريرة تتكلم فيه بعض الطوائف المبتدعة وذلك بسبب كثرة أحاديثه التى تهدم بدعهم وترد أهواءهم ولا يرجع ضرر كلامهم إلا عليهم ولا يضروا أبا هريرة شيئاً فهو كالصخرة الشامخة لا يضرها نطح الأثوار ولا الأوعال وقد أحسن من قال :

كناطـح صخـرة يومـاً ليوهنهـا فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وقد ألفت الكتب فى الدفاع عن أبى هريرة رضى الله عنه فأحسن كتاب فى ذلك « دفاع عن أبى هريرة » فيغنينا ذلك عن الإطالة هنا والحمد لله رب العالمين .

فالحديث صحيح أخرجه مسلم وغيره كما رأيت وتقبله العلماء بالقبول ، وأما رد الأحاديث الصحيحة أو تحريفها فهو نهج لم يعرف إلا للمبتدعة وأصحاب الأهواء .

* * *

□ شرح حديثى المسيب بن حزن وأبى هريرة □

○ قول الراوى : لما حضرت أبا طالب الوفاة . قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى- : قال الكرمانى المراد حضرت علامات الوفاة فلو كان انتهى إلى المعاينة لم ينفعه الإيمان لو آمن ، ويدل على الأول ما وقع من المراجعة بينه وبينهم .

وقال أيضاً (١٩٥/٧) : أى قبل الغرغرة . وقال (٥٠٦/٨) : عقب ذكره قول الكرمانى : ويحتمل أن يكون انتهى الى تلك الحالة لكن رجا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه إذا أقر بالتوحيد ولو فى تلك الحالة أن ذلك ينفعه بخصوصه وتسوغ شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لمكانه منه ولهذا قال : أجادل لك بها وأشفع لك .

○ قوله : جاءه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية قال الحافظ : يحتمل أن يكون المسيب حضر هذه القصة فإن المذكورين من مخزوم وهو من بنى مخزوم أيضاً وكان الثلاثة يومئذ كفاراً فمات أبو جهل على كفره وأسلم الآخران . انتهى المراد .

وأما أبو جهل فهو : عمرو بن هشام .

وأما عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال الحافظ : وهو أخو أم سلمة التى تزوجها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال : وقد أسلم عبد الله هذا يوم الفتح واستشهد فى تلك السنة فى غزاة حنين .

○ قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يا عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله** » ، فيه رفق النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعمه حيث ناداه بقوله : « **ياعم** » فقد كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم حريصاً على هداية عمه أبى طالب ولكن الأمر كان كما قال الله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **لعلك بَاخِعٌ نفسك ألا يكونوا مؤمنين** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل وما لهم من ناصرين** ﴾ .

والإشفاق على الإنسان من أن يموت على الكفر من ملة إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فقد أخبرنا الله تبارك وتعالى عن محاورة إبراهيم مع أبيه آزر فقال تعالى : ﴿ **واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطاً سوياً يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً** ﴾ .

والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان خلقه القرآن وهذا من تخلقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالقرآن فأمر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عمه أبا طالب أمر تلطف بأن يقول : لا إله إلا الله لكى يشفع له بها عند الله وبما أنه لم يقلها فلا تنفعه الشفاعة إلا ما جاء من الأحاديث اللاتى فيها أنه يخفف عنه بسبب شفاعته له ، وقد ذكرنا أن هذه الشفاعة خاصة من وجهين . خاصة بنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم دون غيره من الأنبياء وهى أيضاً خاصة بأبى طالب دون غيره من المشركين . والحمد لله رب العالمين .

○ وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أشهد لك بها عند الله** » ، أى : إذا قلتها .

○ قوله : فقال أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ هذان من جلساء السوء الذين حذر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مجالستهم كما فى الصحيحين من حديث أبى موسى الأشعرى مرفوعا ... قال : « **وجليس السوء كنافخ الكير فإما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً منتنة** » .

فهذان الجليسان لم يحرقا ثياب أبى طالب بل كانا سبباً فى إحراقه بالنار وذلك أنه أخذ بقولهما له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : هو على ملة عبد المطلب .

وفى هذه الحادثة عبرة لمن يعتبر كيف حُرِمَ أبو طالب الإيمان بسبب مقالتهما تلك .

ومن باب الشىء بالشىء يذكر ، **أقول** : فأكثر جلساء زماننا جلساء سوء إلا من رحم الله وقليل ما هم ، فنكتفى بالإشارة صفحاً عن الإطالة ، فمن جلساء السوء بل أسوؤهم الذين يدعون جلساءهم إلى الكفر والانسلاخ من الدين بالتصريح إن استطاعوا أو بالتلميح إن لم يستطيعوا وذلك كالشيوعيين والبعثيين وغيرهم من دعاة الكفر والإلحاد .

ومن جلساء السوء أيضاً أولئك الذين يدعون جلساءهم إلى تفريق الأمة وإلى الولاءات الضيقة وإلى الحزبيات اللاتى يمقتها الله ولا يرضاها فالأمة الإسلامية هى أمة واحدة والتفرق والتحزب هى سيما الكافرين قال الله تعالى : ﴿ **ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ .

وهنا شىء ينبغى التنبه والتنبيه عليه وهو أن بعض هؤلاء يقول : نحن من

حزب الله نحن حزب الرحمن وأن الأحزاب الكافرة كلها حزب الشيطان وكل الأحزاب الإسلامية تَدَّعِي ذلك أى أنهم من حزب الرحمن :

وكل يدّعى وصلاً لليلى   وليلى لا تقر لهم بذلك

أقول : أنشدكم الله الذى لا إله غيره هل يرضى الله تبارك وتعالى لحزبه أن يتفرق أحزاباً؟ فإن قلتم : نعم ، فبيّنوا لنا بالدليل من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما قال الله تعالى : ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ .

وإن كان الجواب : لا ، أى أن الله لا يرضى لحزبه أن يتفرق شيعاً وأحزاباً وأن يحمل بعضهم على بعض بسبب تلك التفرقة والحزبية ، فاتقوا الله فى هذه الأمة الممزقة ، لموا شعثها وأجمعوا شتاتها ووحدوا كلمتها تنجوا بها إلى شاطىء الأمان وذلك لا يتأتى إلا بنبذ الحزبية والتبرؤ منها وإعلان الولاء والبراء لله ولرسوله وللمؤمنين القريب والبعيد الأسود والأحمر لا فرق بين عجمى ولا عربى ولا فضل إلا بالتقوى فها هنا تكمن قوة هذه الأمة ويكمن عزها لا فى الشعارات الزائفة والهراءات الفارغة كنا قبل أيام نتألم من بدعة التعصب المذهبى الذى زرع البغضاء والشحناء فى أوساط هذه الأمة وها نحن الآن نتألم من بدعة التحزب الدنيوى الذى شتت المسلمين وأضعفهم . اللهم هل بلغنا ؟ اللهم فاشهد .

فنرجع إلى ما كنا فى صدده وهو شأن أبى طالب ، ففى قولهما فى الحديث : أترغب عن ملة عبد المطلب ، رد على من زعم أن عبد المطلب كان موحداً كما زعمه البرزنجى ودحلان كما فى أسنى المطالب (ص ٥٤) قال : لتعلم علماً يقينياً أنه – يعنى عبد المطلب – كان على التوحيد . وفى (ص ٤٢) عن البرزنجى فى أول رسالته فى مبحث نجاة الأبوين نجاة جميع الآباء وأنهم كانوا على التوحيد ، وقد ذكرنا الرد على هذا عند مناقشة أقوالهم والحمد لله رب العالمين .

وقال (ص ٣٦) : فدل على أن قوله : هو على ملة عبد المطلب دليل على أنه على التوحيد لأن عبد المطلب كان على التوحيد كبقية آبائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم . وقد ذكرنا أنه يلزمهم إثبات الإيمان لأبى لهب لأنه عم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم والعم أب وأيضاً كيف خفى على القوم توحيد رئيسهم وإيمان سيدهم ؟ .

وقال (ص ٤٣) : وهذا الذى أشار إليه أبو طالب لما قال لكفار قريش : هو على ملة عبد المطلب فخاطبهم بكلام مجمل له محمل صحيح يخرجه عن الشرك ويدخله فى زمرة الموحدين لما استعمله من مناقب عبد المطلب الدالة على أنه كان موحداً .

أقول : وكل هذه تخرصات لا دليل لهم فيها بل الدليل على خلافها وذلك أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يعلم أنه على ملة الشرك فجاء يدعوه إلى التوحيد وإن كان على التوحيد كما زعمتم فقد ظفرتم بعلم لم يظفر به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فدعوته إياه إلى التوحيد وهو موحد عبث ولعب وهذا لا يليق بجناب النبوة .

ثم أيضاً إن كان الأمر كما تزعمون فلم رضى القوم بتلك المقالة بل إنهما لم يطلبا غيرها فقالا : أترغب عن ملة عبد المطلب لأنهما أعرف بملة عبد المطلب منكم وهل كانوا فى ذلك الزمن مغفلين بمرة حتى لشدة غفلتهم لا يتعقلون الكلام ولا يفهمون معانيه بل كانوا هم الفصحاء والخطباء والشعراء ولذلك نزل القرآن يتحدى تلك العقول وتلك الفصاحة .

ثم إن تهمتهم هذه للقوم بأنهم لم يفهموا مراد أبى طالب هى تتعدى إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كيف يخفى عليه توحيد أبى طالب وتوحيد آبائه وأجداده ولا يعلم بذلك وهو رسول الله وقد كان يطلعه الله من أمور الغيب على ما هو أقل شأنا من ذلك فكيف لم يطلعه الله على

توحيدهم بل نهاه عن الاستغفار للمشركين منهم ، الجواب هو : أن الله أطلع نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأن أبا طالب فى ضحضاح من نار وأنه منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه وأنه كان فى الدرك الأسفل من النار لولا شفاعته الخاصة به وبعمه كما تقدم ، وهى شفاعة تخفيف لا شفاعة نجاة .

فإن قال قائل : إن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد علم بإسلام أبى طالب ولكنه لم يخبر بذلك ولم يشهره لتبقى له حماية أبى طالب عند المشركين فيقال له : قد يكون هذا لو صح فى أول أمر الإسلام فما الذى يخشى بعد أن قتل الله صناديد قريش وظهر الإسلام وأعز الله أهله وخذل الشرك وحزبه وكيف يسكت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن هذا الأمر وهو من الخطورة بمكان وقد بين فى حجة الوداع أشياء كان إعلان إسلام أبى طالب أولى منها لو كان كما زعموا فقد قال فى ذلك الموقف على رؤوس الأشهاد: «**ألا كل شىء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمى ودماء الجاهلية موضوعة وربا الجاهلية موضوع** »، إلى غير ذلك مما يدل على عزة الإسلام وأنه لم يبق للمشركين شئ فيه مخالفة لشرع الله إلا أبطله ووضعه فلم لا يصرح بإسلام أبى طالب إن كان كما يزعمون .

ثم إن قولهم لتبقى حماية أبى طالب له عند مشركى قريش . منقوض بما ذكروه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول لما مات أبو طالب : نالت منى قريش ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب ، وقال : ما نالت قريش منى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشاً تَهَجَّمُوا على أذيته قال : « **ياعم ما أسرع ما وجدت بعدك** » .

أقول : العهدة عليه فى قوله بصحتها وسيأتى بيانها إن شاء الله لكن انظر إلى التناقض العجيب قبل، يقولون: إنما أخفى أبو طالب إيمانه لتبقى حمايته لمحمد وأصحابه فيهم وهنا يثبتون أن أبا طالب أخفر فى حمايته لأبن أخيه إذاً فما

فائدة إخفاء إسلامه وقد أخفر فى حمايته ، ثم أيضاً ما فائدة كتمان إسلام أبى طالب على ولده علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقد ثبت عنه فى السنن وغيرها من طريق ناجية بن كعب وأبى عبد الرحمن السلمى عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما توفى أبو طالب : إن عمك الشيخ الضال مات مشركاً ، ومعلوم أن تأخير البيان عن وقته لا يجوز بل قال له : « اذهب فواره ولاتحدثن شيئاً » .

وكذلك أيضاً تهمتهم هذه تصل إلى علىّ رضى الله عنه وأرضاه كيف يموت أبوه على التوحيد وهو لا يعلم بذلك بل يأتى ويقول قوله ذلك .

فالدلالة من قول أبى طالب : هو على ملة عبد المطلب لمن قال : إن عبد المطلب كان على الشرك أقوى بل وأصرح من الدلالة على ما قالوه فهى حجج عليهم وليست لهم ، ومن هنا يظهر لك جلياً مخالفة المبتدعة والمقلدة للكتاب والسنة ، ويظهر لك تمحلهم فى نصرة أهوائهم غير مبالين بكتاب ولا بسنة ولا بعلماء فهم كما يقال : حبك الشىء يعمى ويصم[1] ، فأعمتهم البدع وأصمتهم الأهواء .

○ وقوله : وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ، فيه دليل على أنه ترك لا إله إلا الله إيباء لها ، واعتذر عن هذا الإيباء بقوله كما فى حديث أبى هريرة : لولا أن تعيرنى قريش ، يقولون إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك .

وتقدم أنه كان يقول :

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

ويقول :

---

(١) يروى حديثاً عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا يصح لأنه من طريق أبى بكر بن أبى مريم وهو ضعيف .

فوالله لولا أن أجيء بسبة تجر على أشياخنا في المحافل
لكنا تبعناه على كل حالة من الدهر جداً غير قول التهازل

فتصريحه يغنينا عن تعبير غيره عنه .

○ وقوله : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ أي فلما نزلت هذه الآية انتهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الاستغفار لأنه كان قد قال : أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك .

فإذا كان مسلماً لماذا يعلق الاستغفار بقوله : ما لم أنه ، ولماذا ينهى عن الاستغفار له إن كان مسلماً أو موحداً كما زعموا ؟ فانتهاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الاستغفار عقب نزول الآية دليل على أن أبا طالب مات على غير الإسلام فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال في شأن المنافقين – لما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾ « **لو أعلم أني لو زدت على سبعين يغفر لهم لزدت** »[1] .

وقد ذكرنا أقوال المفسرين لهذه الآية باستفاضة كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) قال الشيخ الألباني حفظه الله في أحكام الجنائز عقب ذكر قول النووي في المجموع (٥/١٤٤ ، ٢٥٨) : الصلاة على الكافر والدعاء له بالمغفرة حرام بنص القرآن والإجماع، قال: قلت : ومن ذلك تعلم خطأ بعض المسلمين اليوم من الترحم والترضي على بعض الكفار ويكثر ذلك من بعض أصحاب الجرائد والمجلات ولقد سمعت أحد رؤساء العرب المعروفين يترحم على (ستالين) الشيوعي الذي هو ومذهبه من أشد وألد الأعداء على الدين وذلك في كلمة ألقاها الرئيس المشار إليه بمناسبة وفاة المذكور أذيعت بالراديو ، ولا عجب من هذا فقد يخفى عليه مثل هذا الحكم ولكن العجب من بعض الدعاة الإسلاميين أن يقع في مثل ذلك حيث قال في رسالة له : « رحم الله برنارد =

تعالى لتعلم بعد المبتدعة عن علم الكتاب والسنة وأيضاً ليعلم تحريفهم للأدلة وإعراضهم عن الصحيح منها وأخذهم بالضعيف من ذلك ، وهذا من شؤم البدع لكنا نذكر هنا ما أتوا به من شبه لِيَصْرِفُوا بها الآية عن وجهتها وبيان ما فى شبههم من ضعف وبيان أنها لو صحت لم يكن لهم فيها حجة ومن خلال ذلك يظهر لك شذوذ المبتدعة وبعدهم عن فهم الدين فهماً صحيحاً وذلك بسبب منهجهم العلمى الفاسد وليكن ما سنذكره تنبيهاً على فساد منهجهم العلمى .

○ **قال البرزنجى** كما فى أسنى المطالب (ص ٤٤ – ٤٥) : إنى تتبعت الأحاديث الواردة فى سبب نزولها فوجدتها منقسمة إلى ثلاثة أوجه .

الأول : أنها نزلت فى أبى طالب .

قلت : وهذا هو الصحيح كما ثبت ذلك فى الصحيحين وغيرهما من حديث المسيب بن حزن وإذا ذكر المفسرون الآية أو سبب نزولها قدموه وبدأوا به لصحته فهو أصح حديث ورد فى سبب نزول الآية ، لكنه لا يوافق أهواء القائلين بإسلام أبى طالب لذا لا يحظى بما تحظى به الأحاديث الضعيفة والموضوعة عند المبتدعة .

هكذا يذكر البرزنجى الوجه الأول أنها نزلت فى أبى طالب ولا يعقبه بذكر الحديث ولا حتى الإشارة إليه وكأنه لم يرد فى هذا الوجه حديث أصلاً وهكذا شأن المبتدعة فإنهم يتعامون عن الأشياء التى لا توافق أهواءهم .

○ **ثم قال** : والثانى : أنها نزلت فى والدة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم قال : فهو ضعيف جداً .

= شو ... » وأخبرنى بعض الثقات عن أحد المشايخ أنه كان يصلى على من مات من الإسماعيلية مع اعتقاده أنهم غير مسلمين لأنهم لا يرون الصلاة ولا الحج ويعبدون البشر ومع ذلك كان يصلى عليهم نفاقاً ومداهنة لهم فإلى الله المشتكى وهو المستعان .

قلت : وهو كما قال فقد رواه ابن أبى حاتم فى تفسيره كما نقله عنه ابن كثير (ج٣/٤٦١) ط دار الفكر من حديث عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوماً إلى المقابر فذكر الحديث وفيه : وإنى استأذنت ربى فى الدعاء لها فلم يأذن لى وأنزل علىّ : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى**﴾ .. الآية ، الحديث وكذا رواه البيهقى فى دلائل النبوة (ج١/١٨٩ - ١٩٠) وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (ج٣/٢٨٣) إلى ابن أبى حاتم وابن مردويه .

قلت : وهو حديث ضعيف لأنه من طريق ابن جريج وهو مدلس وقد عنعن عن أيوب بن هانىء قال فى التقريب : صدوق فيه لين ، وفى التهذيب قال حاتم : شيخ صالح ، وقال الدارقطنى : يعتبر به . وقال ابن معين : ضعيف ، وقال ابن عدى : لا أعرفه ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

وقال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - : حديث آخر فى معناه ، قال الطبرانى حدثنا محمد بن علىّ بن المروزى ، حدثنا أبو الدرداء عبد العزيز بن منيب ، حدثنا إسحاق بن عبد الله بن كيسان ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما أقبل من غزوة تبوك واعتمر فلما هبط من ثنية عسفان ... إلى قوله : « **ولكن نزلت على قبر أمى فسألت الله أن يأذن لى فى شفاعتها يوم القيامة فأبى الله أن يأذن لى فرحمتها وهى أمى** » فبكيت ثم جاءنى جبريل فقال : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه** ﴾ فتبرأ أنت من أمك . الحديث .

وقال الحافظ ابن كثير بعد ذكره الحديث : وهذا حديث غريب وسياق عجيب.

قلت : وذلك لضعف إسحاق بن عبد الله بن كيسان. قال الحافظ فى لسان

الميزان : شيخ لعبد العزيز بن المنيب . لينه أبو أحمد الحاكم . انتهى .

وقال البخارى فى ترجمة عبد الله بن كيسان : له ابن يسمى إسحاق منكر الحديث ، وفى التهذيب : فى ترجمة عبد الله بن كيسان قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، قال : وذكره ابن حبان فى الثقات .

وقال البخارى فى ترجمة عبد الله بن كيسان : قال أبو حاتم : ضعيف الحديث ، قال : وذكره ابن حبان فى الثقات .

قلت : وزاد يتقى حديثه من رواية ابنه عنه – انتهى المراد من التهذيب .

وعند الطبرى من حديث ابن عباس أيضاً (ج١١/٣١) ط دار المعرفة وفيه :. أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عن ذلك فقال : وإن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه ، فأنزل الله : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ وهو ضعيف لأنه من طريق العوفيين وهم ضعفاء .

وعنده أيضاً من طريق أحمد بن إسحاق عن أبى أحمد عن فضيل عن عطية قوله ، فهو مرسل وهو من قسم الضعيف .

ولا تظن أن البرزنجى قد وفق فى قوله: ضعيف جداً، فإنه لم يذكره نصحاً للأمة وإنما من أجل قوله بنجاة أبوى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ودليلنا على أنه لم يقله نصحاً للأمة ما تقدم من الحديث الصحيح الوارد فى شأن أبى طالب ، وأيضاً ما سيأتى فى الوجه الثالث من استدلاله بمراسيل ومقاطيع ومعاضيل إلى غير ذلك معرضاً عما ورد فى المسألة من أحاديث صحيحة ، فهو يخشى من إثبات سبب نزول الآية فى شأن والدته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيفوّت ذلك عليه القول بنجاتها ، ونحن نقول : نعم سبب

نزول الآية فى شأنها ضعيف[1] كما بيناه لكن النهى عن الاستغفار لها ثابت بدليل آخر وهو ما رواه مسلم (ج٧/٤٥ - ٤٦) بشرح النووى وغيره من حديث أبى هريرة قال : زار النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . فقال : « **استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى ، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فإنها تذكر الموت** » .

وعند أبى داود (ج١٦/٣٣ ، ٣٤) بذل المجهود .

والنسائى (ج٧/٢٣٤) .

وأحمد (ج٥/٣٥٥) من حديث بريدة بن الحصيب، قال: كنا مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزل بنا ونحن معه قريب من ألف راكب فصلى ركعتين، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان، فقام إليه عمر بن الخطاب ففداه بالأب والأم يقول: يا رسول الله مالك ؟ قال : « **إنى سألت ربى عز وجل فى الاستغفار لأمى فلم يأذن لى فدمعت عيناى رحمة لها من النار، وإنى كنت نهيتكم عن ثلاث : عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيراً ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحى بعد ثلاث فكلوا ما شئتم، ونهيتكم عن الأشربة فى الأوعية فاشربوا فى أى وعاء شئتم، ولا تشربوا مسكراً** » .

وهذا حديث صحيح، وقد ذكرناه عند مناقشة القائلين بإسلام أبى طالب .

فحكم النهى عن الاستغفار لوالدة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم صحيح ثابت فى السنة النبوية، لكن سبب نزول الآية فى هذا الشأن خاصة ضعيف كما تقدم، لكن يشملها النهى عن الاستغفار عموم قوله تبارك وتعالى :

---

(١) تنبيه : حديث بريدة ليس فيه ذكر سبب نزول الآية فى شىء من طرقه، وإنما فيه النهى عن الاستغفار للمشركين . وإنما ذلك فى حديث ابن مسعود وحديث ابن عباس والحمد لله .

﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى**﴾ الآية، فهى وإن نزلت فى أبى طالب تشمل غيره ممن مات على الشرك، فنسأل الله حسن الخاتمة بمنه وكرمه ، فإنه ولى ذلك والقادر عليه .

○ **قال** : والثالث: أنها نزلت فى آباء الناس الذين ماتوا فى الكفر كان أولادهم يستغفرون لهم .

ثم قال : فالصحيح أن سبب نزول الآية هو الوجه الثالث .

أقول : ليس بصحيح كما أن الصحيح هو الوجه الأول لثبوت الحديث بذلك فى الصحيحين وغيرهما، وأيضاً سيأتى إن شاء الله بيان ما استدل به وزعم أنه صحيح على الترتيب الآتى :

١ – حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت : أتستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه، فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ إلى آخر الآيتين . لفظ أبى يعلى (ج١/٢٨٠ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨) .

ورواه الترمذى (ج٥/٢٦٢ ، ٢٦٣) .

والنسائى (ج٤/٩١) .

وأحمد فى المسند (ج١/٩٩ ، ١٣٠ ، ١٣١) .

والحاكم فى المستدرك (ج٢/٣٣٥) .

وابن جرير (ج١١/٣٢) ط دار المعرفة .

والحديث مخرجه عندهم سفيان الثورى ، عن أبى إسحاق ، عن أبى الخليل الكوفى ، عن على .

وأبو إسحاق وإن كان ثقة فهو مدلس وقد عنعن، وأبو الخليل هو : عبد الله ابن الخليل أو ابن أبى الخليل، قال الحافظ فى التقريب: مقبول. يعنى إن توبع

وإلا فلين ولا متابع له هنا ولو صح فليس لهم فيه حجة لأن النهى عن الاستغفار للمشركين موجه إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل غيره وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ الآية ، والحمد لله .

٢ - **قال** (ص ٢٦) من أسنى المطالب : وقد وجدنا لها شاهداً برواية صحيحة من حديث ابن عباس رواها ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانوا يستغفرون لآبائهم حتى نزلت هذه الآية ، أمسكوا عن الاستغفار لأمواتهم إلى أن قال : وهذا شاهد صحيح .

قلت : الحديث عند ابن جرير (ج١١/٣١) من طريق المثنى وهو ابن إبراهيم الآملى لم نجد ترجمته فلا ندرى ما حاله عن عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو ضعيف قال : حدثنى معاوية وهو ابن صالح بن حدير ، صدوق له أوهام عن علىّ وهو ابن أبى طلحة ، ولم يسمع من ابن عباس فهو حديث ضعيف لضعف رواته وانقطاع إسناده لكنه وأمثاله عند المبتدعة وأصحاب الهوى صحيح ، والأحاديث الصحيحة التى لا توافق أهواءهم تعتبر عندهم ضعيفة . فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وأيضاً لو صح لم يكن لهم فيه حجة كما تقدم .

٣ - **قال** أيضاً ص (٤٧) : ما رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال : لما مرض أبو طالب أتاه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعرض عليه أن يقول : لا إله إلا الله ، فأبى أبو طالب ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » ، فقال المسلمون : هذا محمد يستغفر لعمه وقد استغفر إبراهيم لأبيه ، فاستغفروا لقراباتهم من المشركين فأنزل الله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا** ﴾ الآية ثم أنزل : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه** ﴾ الآية .

أقول : محمد بن كعب القرظى تابعى لم يدرك زمن وفاة أبى طالب ، ولم يذكر من حدثه بذلك فتكون هذه الرواية مرسلة والمرسل من قسم الضعيف ، ثم يبقى النظر فى السند من ابن أبى حاتم وأبى الشيخ إلى محمد بن كعب ، فإن صح تكون علته ما ذكرنا آنفاً ، وعلى التسليم بصحته فهو حجة عليهم وذلك أنهم كانوا يستغفرون لقراباتهم المشركين ثم نهوا بقوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى** ﴾ . الآية .

٤ – **قال** : وروى ابن جرير من طريق شبل عن عمرو بن دينار أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **استغفر إبراهيم لأبيه فلا أزال أستغفر لأبى طالب حتى ينهانى عنه ربى** » ، فقال أصحابه: لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه فأنزل الله : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ – إلى قوله – ﴿ **تبرأ منه** ﴾ .

أقول : نعم رواه ابن جرير (ج١١/٣١) من طريق المثنى وهو ابن إبراهيم الآملى المتقدم ذكره عن أبى حذيفة وهو موسى بن مسعود ، صدوق سيىء الحفظ وكان يصحف ، قاله فى التقريب عن شبل وهو ابن عباد المكى ثقة ، عن عمرو بن دينار فهو مرسل ، والحكم بصحته متوقف على معرفة حال شيخ ابن جرير وإن صح فهو كذلك حجة عليهم ، وذلك أنهم استغفروا ثم نهوا والحمد لله رب العالمين .

○ **ثم قال البرزنجى** كما فى أسنى المطالب (ص٤٧) : فظهر بهذه الأخبار أن الآية نزلت فى استغفار المسلمين لأقاربهم المشركين .

أقول : وهذا الذى ظهر له مركب من شيئين : الأول : صرف دلالة الآية عن وجهتها ليتسنى له بعد ذلك أن يصحح ما يهوى ، ويرد من الصحيح ما يريد ، فصحيحهم كما رأيت المراسيل والمقاطيع والضعاف والمعاضيل .

والثانى : الإعراض عن الحديث الصحيح بل والطعن فيه بأن الراوى اختصره وحذف منه ، وقوله هذا باطل ينبىء عن فساد منهجهم وسوء طويتهم . فإن الحديث صحيح لم يطعن فيه أحد من العلماء النقاد بل تلقوه بالقبول . فمن أنت حتى تتكلم فيه وتتهم راويه .

و لم يكتف المبتدعة بالسكوت عن الأدلة الصحيحة التى لا توافق أهواءهم بل مع ذلك يكشفون للناس عن حالهم ومبلغ علمهم ، فيعارضون الصحيح بالضعيف وما لا أصل له كما رأيت ، وسيأتى إن شاء الله شيء من هذا عند ذكر حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه .

فالمبتدعة فى كل زمان ومكان هذا هو ديدنهم . ذكر العلامة ابن أبى العز فى شرح العقيدة الطحاوية أن بعضهم طعن فى حديث : « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها : قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان**». بأن الراوى شك فيه . قال ابن أبى العز – رحمه الله – : على أن البخارى قد رواه من غير شك بلفظ : بضع وستون . بل هو إحدى روايات مسلم . قال : يقولون : ومخالفته للكتاب . قال ابن أبى العز : فأين فى الكتاب ما يدل على خلافه ، وإنما فيه ما يدل على وفاقه وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب.

قلت : فهذه هى بضاعتهم ، وتلك هى حجتهم . ذلك مبلغهم من. العلم ، فهم إذا تكلموا تكلموا بهوى . وإن دلوا دلوا على بدع ، فصار من صدقهم واقتدى بهم . كما قيل :

ومن جعل الغراب له دليلاً　　يمر به على جيف الكلاب

○ قوله : وأنزل الله تعالى فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ .

قال الحافظ فى الفتح (٥٠٦/٨) : لم يختلف النقلة فى أنها نزلت فى أبى طالب .

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى- (ج٥٠٨/٨) من فتح البارى : يشعر بأن الآية الأولى نزلت فى أبى طالب وغيره .

والثانية : نزلت فيه وحده .

قلت : وهو مأخوذ من ظاهر قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا** ﴾ فى الآية الأولى وظاهر قول الراوى فأنزل الله تعالى فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ فى الآية الثانية ، وإن صح سبب نزول آخر فى غير أبى طالب فيكون من باب تعدد الأسباب والنازل واحد كما فى سبب نزول قوله تعالى : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ الآية .

لكن هنا قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى- (ج٥٠٨/٨) : والأصل عدم تكرار النزول .

قلت : لضعف سبب نزولها فى غير أبى طالب . والله أعلم .

وقال- رحمه الله- : وفى الحديث أن من لم يعمل خيراً قط إذا ختم عمره بشهادة أن لا إله إلا الله حكم بإسلامه ، وأجريت عليه أحكام المسلمين فإن قارن نطق لسانه عقد قلبه نفعه ذلك عند الله تعالى بشرط أن لا يكون وصل إلى حد انقطاع الأمل من الحياة ، وعجز عن فهم الخطاب ورد الجواب وهو وقت المعاينة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن** ﴾ والله أعلم .

أقول : فأبو طالب لم يقر بلسانه ولا صدق بقلبه لأن كل إناء بما فيه ينضح ، فنضح قلبه بقوله : هو على ملة عبد المطلب ، فلو كان مصدقاً لنضح قلبه : بلا إله إلا الله .

وأما طعنهم فى هذا الحديث بأن المسيب بن حزن راويه تحمل الحديث فى حال كفره .

أقول : ولا يضر لأنه حدث به بعد إسلامه ، ذكر الحافظ ابن حجر- رحمه الله- (ج٨/٥٠٧) : أن المسيب بن حزن وعبد الله بن أبى أمية أسلما . قال : وكان الثلاثة يومئذ كفاراً ، فمات أبو جهل على كفره وأسلم الآخران كما تقدم . انتهى .

ومعلوم عند علماء الحديث وطلبته العارفين أن التحمل يصح من الكافر والصبى ولكن لا يقبل منهما الأداء إلا بعد إسلام الكافر وبلوغ الصبى ، وهذا مبسوط فى كتب المصطلح .

وفى قول أبى طالب فى حديث أبى هريرة : لولا أن تعيرنى قريش . يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع رد على من زعم أنه لم يقلها أمام قريش لتبقى حمايته فيهم فيقال لهم : أأنتم أعلم به من نفسه فقد ذكر عذره ولا حاجة إلى التكلف .

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى- فى فتح البارى (ج٧/١٩٥) : ويظهر أن المراد أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبى طالب بمدة ، وهى عامة فى حقه وفى حق غيره ، ويوضح ذلك ما سيأتى فى التفسير بلفظ : فأنزل الله بعد ذلك : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا** ﴾ الآية ، وأنزل فى أبى طالب : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ .

ولأحمد من طريق أبى حازم عن أبى هريرة فى قصة أبى طالب قال : فأنزل الله : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ وهذا كله ظاهر أنه مات على غير الإسلام ، ويضعف ما ذكره السهيلى أنه رأى فى بعض كتب المسعودى[1] :

(١) فى التعليق على الفتح قال : المسعودى المؤرخ شيعى قح من دعاتهم .

أنه أسلم لأن مثل ذلك لا يعارض ما فى الصحيح .

○ **تنبيه** : ما ذكروه من أذية قريش للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد وفاة أبى طالب ، رواه البيهقى فى دلائل النبوة (ج٢/٣٤٩) بسند فيه أحمد بن عبد الجبار العطاردى وهو ضعيف ، ثم إن عروة أرسله فهو ضعيف لإرساله وضعف راويه ، وجاء مسنداً من حديث عائشة بلفظ : ما زالت قريش كاعة عنى حتى توفى أبو طالب . رواه البيهقى كذلك ، وفى سنده عقبة بن المجدر شيخ لابن معين لم أقف له على ترجمة .

ورواه أيضاً (ج٢/٣٥٠) من حديث عبد الله بن جعفر وفيه أن سفيهاً من سفهاء قريش أتى فألقى عليه التراب . وفيه : من لم يسم . قال ابن إسحاق عمن حدثه فلا ندرى من حدثه وما حاله ، فالحديث ضعيف ويغنى عنه ما جاء فى الصحيح أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بينما هو ساجد عند البيت فقال المشركون بعضهم لبعض : من يذهب يأتى بسلا جزور بنى فلان فيضعه على ظهره ، فانبعث أشقى القوم ، وأيضاً ما جاء من أنهم تعاقدوا على قتله فأخبر بذلك فتوضأ وخرج عليهم فأخذ كفاً من حصى فحصبهم بها ، وقال : « **شاهت الوجوه** » قال الصحابى : فما أصابت رجلاً حصاة من ذلك الكف إلا قد رأيته قتل كافراً يوم بدر .

وأيضاً قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين أخرج من مكة : « **والله إنك أحب أرض الله إلّى ولولا أنهم أخرجونى منك ماخرجت** » .

وهذه كلها صحيحة فيها غنى عما ذكروه من تلك الأحاديث ، وهذا يؤيد ما قلناه قبل : إنهم يعرضون عن الصحيح ويأخذون بالضعيف .

* * *

□ الفصل الثانى □

○ فى ذكر أقوال المفسرين فى آيتى التوبة والقصص ○

ولأن المبتدعة يحومون ويدورون حول قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ ليصرفوا فحواها ومعناها عن أبى طالب :

فأذكر أقوال المفسرين فيها لتزول تعمية المبتدعة حولها ، وتلبيسهم على الناس فيها وفى سبب نزولها ، وأيضاً لتعلم بعدهم عن علم الكتاب والسنة وأقوال علماء الأمة إلا إذا كان فيه لهم شبهة أو أرادوا به التعمية على العامة ، فهم يميلون إليه ويأخذون به ، لذا إذا نظرت فى مذهبهم ومنهجهم رأيته مخالفاً لشرع الله ومعرضاً عن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم **فأقول** :

قال الإمام ابن جرير الطبرى– رحمه الله تعالى– فى تفسيره (ج١١/٣٠) ط دار المعرفة : القول فى تأويل قوله : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلمَّا تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ يقول تعالى ذكره : ما كان ينبغى للنبى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم والذين آمنوا به أن يستغفروا . يقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولى قربى ، ذوى قرابة لهم ، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، يقول من بعد

ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان ، وتبين لهم أنهم من أهل النار لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك ، فلا ينبغى لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله ، فإن قالوا : فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك ، فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعدها إياه ، فلما تبين له وعلم أنه لله عدو خلاه ، وترك الاستغفار له ، وآثر الله وأمره عليه فتبرأ منه حين تبين له أمره ، واختلف أهل التأويل فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم : نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك .

ذكر من قال ذلك : فذكر بسند صحيح إلى معمر أنه قال بنزولها فى شأن أبى طالب ، ثم ذكر حديث المسيب بن حزن الذى رواه البخارى ومسلم وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لأستغفرن لك مالم أنه عنك** » فأنزل الله : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ الآية ، الحديث .

ثم ذكر عن مجاهد وعمرو بن دينار وسعيد بن المسيب نحو ذلك .

قال : وقال آخرون : بل نزلت فى سبب أم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وذلك أنه أراد أن يستغفر لها فمنع من ذلك . ذكر من قال ذلك . ثم ذكر قول عطية بن الحارث وحديث سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتى قبراً فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبراً فقلت : يارسول الله إنا رأينا ما صنعت . قال : « **إنى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى** » فما رؤى باكياً أكثر من يومئذ .

أقول : وليس فى الحديث أنها نزلت كما ترى .

ثم ذكر من طريق العوفيين وهم ضعفاء إلى ابن عباس أن رسول الله

صلى الله عليه وعلى آله وسلم أراد أن يستغفر لأمه فنهاه الله عن ذلك فقال : «**إن إبراهيم خليل الله قد استغفر لأبيه** » فأنزل الله ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم** ﴾ – إلى – ﴿ **لأواه حليم** ﴾ .

قال : وقال آخرون : بل نزلت من أجل أن قوماً من أهل الإيمان كانوا يستغفرون لموتاهم من المشركين فنهوا عن ذلك . ذكر من قال ذلك : فذكر بسند فيه المثنى الآملى عن كاتب الليث عن معاوية عن علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ الآية فكانوا يستغفرون لهم حتى نزلت هذه الآية، فلما نزلت أمسكوا عن الاستغفار . الحديث ، وهذا فيه ضعف وانقطاع .

ثم ذكر بسند صحيح إلى قتادة قوله : ﴿ **ما كان للنبى** ﴾ الآية ، ذكر لنا أن رجالاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم سألوه عن الاستغفار لآبائهم وفيه ، فأنزل الله : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ الآية . وهو مرسل من مراسيل قتادة ، وهى شديدة الضعف .

إلى أن قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه** ﴾ اختلفوا فى السبب الذى أنزل فيه ؟ فقال بعضهم : أنزل من أجل أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه كانوا يستغفرون لموتاهم المشركين ظناً منهم أن إبراهيم خليل الرحمن قد فعل ذلك حين أنزل الله قوله خبراً عن إبراهيم : ﴿ **قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفياً** ﴾ إلى أن قال : حدثنا ابن بشار قال : ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن أبى إسحاق عن أبى الخليل عن علىّ قال : سمعت رجلاً يستغفر لوالديه وهما مشركان . فقلت : أيستغفر الرجل لوالديه وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه ؟ قال : فأتيت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فذكرت ذلك له فأنزل الله : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم** ﴾ – إلى – ﴿ **تبرأ منه** ﴾ .

وقد تقدم أن أبا الخليل ضعيف .

إلى أن قال : وقد تأول قوم قول الله : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى** ﴾ الآية ، أن النهى من الله عن الاستغفار للمشركين بعد مماتهم لقوله : ﴿ **من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ وقالوا : ذلك لا يتبينه أحد إلا بأن يموت على كفره .

إلى أن قال : وتأول آخرون الاستغفار فى هذا الموضع بمعنى الصلاة ، وذكر أنه قول عطاء بن أبى رباح .

قال : وتأوله آخرون بمعنى الاستغفار الذى هو دعاء ، وذكر قول أبى هريرة : رحم الله رجلاً يستغفر لأبى هريرة ولأمه . قلت : ولأبيه ؟ قال : لا إن أبى مات وهو مشرك .

قلت : هو من طريق عصمة بن زامل وقد سئل الدارقطنى عن سند من طريقه فقال : سند بدوى يخرج اعتباراً . **أقول** : عند ابن جرير فى هذه النسخة : عصمة بن راشد ، والصواب ما ذكرته .

قال أبو جعفر : وقد دللنا على أن معنى الاستغفار مسألة العبد ربه غفر الذنوب ، وإذا كان ذلك كذلك وكانت مسألة العبد ربه ذلك قد تكون فى الصلاة وفى غير الصلاة لم يكن أحد القولين اللذين ذكرنا فاسداً لأن الله عم النهى عن الاستغفار للمشرك بعدما تبين له أنه من أصحاب الجحيم ، ولم يخصص من ذلك حالاً أباح فيها الاستغفار له ، وأما قوله : ﴿ **من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ فإن معناه ما قد بينت من أنه من بعد ما يعلمون بموته كافراً أنه من أهل النار . انتهى . مختصراً من تفسير الطبرى .

وقال القرطبى . رحمه الله فى تفسيره (ج٨/٢٧٢) : قوله تعالى :

﴿ ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ .

○ فيه ثلاث مسائل :

فذكر حديث المسيب بن حزن ثم قال : فالآية على هذا ناسخة لاستغفار النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه ، فإنه استغفر له بعد موته على ما روى فى غير الصحيح .

وقال الحسين بن الفضل : وهذا بعيد لأن السورة من آخر ما نزل من القرآن ومات أبو طالب فى عنفوان الإسلام والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمكة .

الثانية : هذه الآية تضمنت قطع موالاة الكفار حيهم وميتهم ، فإن الله لم يجعل للمؤمنين أن يستغفروا للمشركين ، فطلب الغفران للمشرك مما لا يجوز.

إلى أن قال : وقد قال كثير من العلماء : لا بأس أن يدعو الرجل لأبويه الكافرين ويستغفر لهما ماداما حيين . فأما من مات فقد انقطع عنه الرجاء فلا يدعى له .

قال ابن عباس : كانوا يستغفرون لموتاهم فنزلت فأمسكوا عن الاستغفار ولم ينههم أن يستغفروا للأحياء حتى يموتوا .

إلى أن قال : قوله تعالى : **﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾** .

○ فيه ثلاث مسائل :

الأولى : فذكر حديث علىّ أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان وفيه نزلت : **﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ﴾** .

والمعنى : لا حجة لكم أيها المؤمنون فى استغفار إبراهيم الخليل عليه السلام

لأبيه فإن ذلك لم يكن إلا عن عدة ... فلما مات مشركاً تبرأ منه .

وقال : قال القاضى أبو بكر بن العربي : تعلق النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الاستغفار لأبى طالب بقوله تعالى : ﴿ **سأستغفر لك ربى** ﴾ فأخبره الله تعالى أن استغفار إبراهيم لأبيه كان وعداً قبل أن يتبين الكفر منه ، فلما تبين له الكفر منه تبرأ منه . فكيف تستغفر أنت لعمك يا محمد وقد شاهدت موته كافراً ؟

والثانية : ظاهر حالة المرء عند الموت يحكم عليه بها ، فإن مات على الإيمان حكم له به ، وإن مات على الكفر حكم له به ، وربك أعلم بباطن حاله ، بيد أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له العباس : يا رسول الله هل نفعت عمك بشىء ؟ قال : « **نعم** » وهذه شفاعة فى تخفيف العذاب لا فى الخروج من النار على ما بيناه فى كتاب التذكرة . انتهى مختصراً من تفسير القرطبى .

وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى فى تفسيره الكشاف (ج٢/٢١٧) بعد أن أشار الى ما ورد من سبب نزولها : ﴿ **ما كان للنبى** ﴾ ما صح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته ﴿ **من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ لأنهم ماتوا على الشرك .

إلى أن قال : معناه فلما تبين من جهة الوحى أنه لن يؤمن وأنه يموت كافراً وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره . انتهى . مختصراً من الكشاف .

وقال الشوكانى- رحمه الله تعالى- فى تفسيره فتح القدير (ج٢/٤١١) : وقد أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن سعيد بن المسيب عن أبيه لما حضرت الوفاة أبا طالب فذكره ثم ذكر وجوهاً أخرى فى سبب نزولها : حديث علىّ أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فذكره ، وفيه عنعنة أبى إسحاق وضعف أبى الخليل .

وحديث آخر فيه أن علياً أخبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بموت أبى طالب فبكى وقال : « **اذهب فغسِّلْهُ وكَفِّنْه وواره . غفر الله له ورحمه** » ففعلت وجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستغفر له أياماً حتى نزل عليه : ﴿ **ما كان للنبى** ﴾ الآية . **قلت** : وهو ضعيف لانقطاعه وضعف راويه ، فهو عند ابن سعد فى الطبقات (ج١/٧٨) من طريق الواقدى وهو متكلم فيه ، وفيه أيضاً معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده معاوية ، لم أقف على ترجمته وأبوه عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع ، مقبول ، لم يثبت سماعه من جده ، ذكره الحافظ فى التقريب .

إلى أن قال الشوكانى- رحمه الله- : وروى أنها نزلت بسبب زيارة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقبر أمه ، واستغفاره لها ، من طريق ابن عباس عند الطبرانى وابن مردويه .

قلت : وقد تقدم أنه من طريق إسحاق بن عبد الله بن كيسان عن أبيه وهما ضعيفان ، ومن طريق ابن مسعود عند ابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقى .

قلت : وقد تقدم أنه من طريق أيوب بن هانىء وهو ضعيف - وعن بريدة عند ابن مردويه .

قلت : وهو صحيح بدون ذكر سبب نزول الآية كما تقدم - قال : وما فى الصحيحين مقدم على ما لم يكن فيهما على فرض أنه صحيح ، فكيف وهو ضعيف غالبه ؟ انتهى . مختصراً .

أما الحافظ ابن كثير- رحمه الله تعالى- فذكر كعادته جملة من الأحاديث بدأها بحديث المسيب بن حزن المتقدم ذكره .

وحديث بريدة بن الحصيب فى النهى عن الاستغفار لأمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد تقدم أنه صحيح وأنه ليس فيه ذكر سبب النزول ،

ثم ذكر حديث ابن مسعود فى أن سبب نزول الآية طلب الشفاعة لها ، وقد تقدم أنه ضعيف ، وكذا حديث ابن عباس ، ثم قال : وهذا حديث غريب وسياق عجيب وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادى فى كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة فى حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فآمنت ثم عادت .

وكذلك ما رواه السهيلى فى الروض بسند فيه جماعة مجهولون : إن الله أحيا له أباه وأمه فآمنا به .

وقد قال الحافظ ابن دحية : هذا الحديث موضوع يرده القرآن والإجماع قال الله تعالى : ﴿ **ولا الذين يموتون وهم كفار** ﴾ .

وقال أبو عبد الله القرطبى : إن مقتضى هذا الحديث ، وردّ على ابن دحية فى هذا الاستدلال بما حاصله أن هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيوبتها فصلى على العصر .

قال الطحاوى : وهو حديث ثابت يعنى حديث الشمس .

قال القرطبى : فليس إحياؤها يمتنع عقلاً ولا شرعاً . قال : وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب فآمن به .

قال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى –: قلت : وهذا كله متوقف على صحة الحديث فإذا صح فلا مانع منه ، والله أعلم .

قلت : فالحديث لا يصح وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكره والكلام عليه فى بداية الباب الثالث . وأما حديث رجوع الشمس بعد غيبوبتها لعلىّ بن أبى طالب – رضى الله عنه – فلم يصح ، وإنما صح فى حق نبى من الأنبياء المتقدمين . انظر الموضوعات لابن الجوزى ورياض الجنة فى الرد على أعداء السنة لشيخنا – حفظه الله تعالى وبارك فيه .

وقال أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى– رحمه الله تعالى– فى كتابه

أحكام القرآن (ج٢ ص ١٠٢١) بتحقيق البجاوى : الآية الثانية والأربعون ، قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ فيها ست مسائل :

○ المسألة الأولى : فى سبب نزولها وفى ذلك خمس روايات :

○ الأولى : ثبت فى الصحيح عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضر أبا طالب الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية فقال : « **يا عم قل لا إلـه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله** » فقال له أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب . فلم يزالا يكلمانه حتى قال آخر شيء تكلم به : أنا على ملة عبد المطلب فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » فنزلت : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا** .... ﴾ الآية ونزلت : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ .

○ **الثانية** : روى عن عمرو بن دينار أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبى طالب حتى ينهانى عنه ربى** » فقال أصحابه : لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبى لعمه فأنزل الله : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا** .... ﴾ إلى ﴿ **تبرأ منه** ﴾ .

○ الثالثة : روى أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما أتى مكة أتى رضماً من حجارة أو رسماً أو قبراً فجلس إليه ثم قام مستعبراً فقال : « **إنى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى** » فما رئى باكياً أكثر من يومئذ .

وروى أنه وقف عند قبرها حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن

له فيستغفر لها حتى نزلت : ﴿ **ما كان للنبى** ... ﴾ إلى قوله : ﴿ **تبرأ منه** ﴾ .

● الرابعة : روى ابن عباس أن رجالاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالوا له : يا رسول الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام أفلا نستغفر لهم فأنزل الله : ﴿ **ما كان للنبى** ﴾ الآية .

● الخامسة : روى عن علىّ قال : سمعت رجلاً يستغفر لأبويه فقلت : تستغفر لهما وهما مشركان ؟ فقال : أولم يستغفر إبراهيم لأبيه ، فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت : ﴿ **ما كان للنبى** ... ﴾ الآية وهذه أضعف الروايات[1] .

○ المسألة الثانية : قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا** ﴾ دليل على أحد أمرين : إما أن تكون الرواية الثانية صحيحة ، فنهى الله النبى والمؤمنين .

وإما أن تكون الرواية الأولى هى الصحيحة ويخبر به عما فعل النبى ، وينهى المؤمنون أن يفعلوا مثله تأكيداً للخبر وسائر الروايات محتملات .

○ المسألة الثالثة : منع الله رسوله والمؤمنين من طلب المغفرة للمشركين لأنه قد قدر ألا تكون ، وأخبر عن ذلك ، وسؤال ما قدر أنه لا يفعله وأخبر عنه هنا .

فإن قيل : فقد قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين كسرت رباعيته وشجوا وجهه : « **اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون** » . فسأل المغفرة لهم .

قلنا : عنه أربعة أجوبة :

● الأول : يحتمل أن يكون ذلك قبل النهى وجاء النهى بعده .

---

(١) يعنى الأربع الروايات الأخرى لأنها ضعاف كما تقدم ، وأما الرواية الأولى ففى الصحيحين كما تقدم أيضاً .

● الثانى : أنه يحتمل أن يكون ذلك سؤالاً فى إسقاط حقه عندهم لا لسؤال إسقاط حقوق الله ، وللمرء أن يسقط حقه عند المسلم والكافر .

● الثالث : أنه يحتمل أن يطلب المغفرة لهم لأنهم أحياء مرجو إيمانهم يمكن تألفهم بالقول الجميل وترغيبهم فى الدين بالعفو عنهم فأما من مات فقد انقطع منه الرجاء .

● الرابع : أنه يحتمل أن يطلب لهم المغفرة فى الدنيا برفع العقوبة عنهم حتى إلى الآخرة كما قال الله : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ .

○ المسألة الرابعة : قوله : ﴿ **ولو كانوا أولى قربى** ﴾ : بيان أن القرابة الموجبة للشفقة جبلّة وللصلة مروءة تمنع من سؤال المغفرة بعد ما تبين لهم أنهم من أهل النار .

قال القاضى الإمام : هذا إن صح الخبر[1] وإلا فالصحيح فيه أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر نبياً قبله شجَّه قومه فجعل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخبر عنه بأنه قال : « **اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون** » . أخرجه البخارى وغيره .

○ المسألة الخامسة : قال الله تعالى مخبرا عن ابراهيم : ﴿ **سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفياً** ﴾ . فتعلق بذلك النبى فى الاستغفار لأبى طالب إما

---

(١) قد صح الخبر فقد ذكره شيخنا فى الصحيح المسند مما ليس فى الصحيحين (ج١/٣٤٣) عن ابن حبان فى صحيحه كما فى الإحسان (ج٣/٢٥٤) قال : أخبرنا الحسن بن سفيان حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب عن سهل بن سعد الساعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون** » . هذا حديث حسن .

اعتقاداً وإما نطقاً بذلك ، كما ورد فى الرواية الثانية فأخبره الله أن استغفار إبراهيم لأبيه كان عن وعد قبل تبين الكفر منه فلما تبين الكفر منه تبرأ منه ، فكيف تستغفر أنت يا محمد لعمك وقد شاهدت موته كافراً وهى :

○ المسألة السادسة : وظاهر حال المرء عند الموت يحكم عليه به فى الباطن فإن مات على الإيمان حكم له بالإيمان وإن مات على الكفر حكم له بالكفر ، وربك أعلم بباطن حاله بيد أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال له العباس : يارسول الله هل نفعت عمك بشىء فإنه كان يحوطك ويحميك قال : « **سألت ربى له فجعله فى ضحضاح من النار تغلى منه دماغه ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل** » .

وهذه شفاعة فى تخفيف العذاب وهى الشفاعة الثانية وهذا هو أحد القولين فى قوله : ﴿ **فلما تبين له أنه عدو لله** ﴾ يعنى بموته كافراً ﴿ **تبرأ منه** ﴾ .

وقيل : تبين له فى الآخرة ، والأول أظهر .

وقد قال عطاء : ما كنت لأمتنع عن الصلاة على أمة حبلى حبشية من الزنا فإنى رأيت الله لم يحجب الصلاة إلا عن المشركين فقال : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ وصدق عطاء لأنه تبين من ذلك أن المغفرة جائزة لكل مذنب ، فالصلاة عليهم والاستغفار لهم حسنة وفى هذا رد على القدرية لأنهم لا يرون الصلاة على العصاة ولا يجوز عندهم أن يغفر الله لهم فلم يصلّ عليهم ، وهذا ما لا جواب لهم عنه . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

وقال الفخر الرازى فى تفسيره (ج١٦/١٠٨) : قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة**

وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ .

اعلم أنه تعالى لما بين من أول هذه السورة إلى هذا الموضع وجوب إظهار البراءة عن الكفار والمنافقين من جميع الوجوه بين فى هذه الآية أنه تجب البراءة من أمواتهم وإن كانوا فى غاية القرب من الإنسان كالأب والأم كما أوجبت البراءة من أحيائهم ، والمقصود منه بيان وجوب مقاطعتهم على أقصى الغايات ، والمنع من مواصلتهم بسبب من الأسباب وفيه مسائل :

○ المسألة الأولى : ذكروا فى سبب نزول هذه الآية وجوها .

● الأول : قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما فتح الله تعالى مكة سأل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أى أبويه أحدث به عهداً ، قيل أمك ، فذهب إلى قبرها ووقف دونه ثم قعد عند رأسها وبكى فسأله عمر وقال : نهينا عن زيارة القبور والبكاء ثم زرت وبكيت فقال : « **قد أذن لى فيه فلما علمت ما هى فيه من عذاب الله وأنى لا أغنى عنها من الله شيئاً بكيت رحمة لها** » .

قلت : وقد تقدم أنه ضعيف .

● الثانى : روى سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة قال له الرسول عليه الصلاة والسلام : « **يا عم قل : لا إلـه إلا الله أحاج لك بها عند الله** » .

فذكر الحديث إلى أن قال : قال الواحدى وقد استبعده الحسين بن الفضل لأن هذه السورة من آخر القرآن نزولاً ، ووفاة أبى طالب كانت بمكة فى أول الإسلام .

وأقول : هذا الاستبعاد عندى مستبعد فأى بأس أن يقال : إن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقى يستغفر لأبى طالب من ذلك الوقت إلى وقت نزول هذه الآية فإن التشديد مع الكفار إنما ظهر فى هذه السورة فلعل

المؤمنين كان يجوز لهم أن يستغفروا لأبويهم من الكافرين ، وكان النبى عليه الصلاة والسلام أيضاً يفعل ، ثم عند نزول هذه السورة منعهم الله منه فهذا غير مستبعد فى الجملة .

● الثالث : يروى عن علىّ أنه سمع رجلاً يستغفر لأبويه المشركين ، قال : فقلت له : أتستغفر لأبويك وهما مشركان ؟ فقال : أليس قد استغفر إبراهيم لأبويه وهما مشركان . فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت هذه الآية .

قلت : وقد تقدم بيانه .

● الرابع : يروى أن رجلاً أتى الرسول - عليه الصلاة والسلام - وقال : كان أبى فى الجاهلية يصل الرحم ويقرى الضيف ويمنح من ماله . وأين أبى ؟ فقال : « **أمات مشركاً ؟** » قال : نعم ، قال : « **فى ضحضاح من النار** » . فولى الرجل يبكى فدعاه - عليه الصلاة والسلام - فقال : « **إن أبى وأباك وأبا إبراهيم فى النار ، إن أباك لم يقل يوماً : أعوذ بالله من النار** » .

قلت : والذى صح من هذا كله هو حديث المسيب بن حزن وهذا الأخير لعله رواه بالمعنى والذى فى الصحيح هو أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبى ؟ قال : « **فى النار** » ، فلما قفا دعاه فقال : « **إن أبى وأباك فى النار** » . وسيأتى إن شاء الله .

○ قال : المسألة الثانية : قوله : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ يحتمل أن يكون المعنى ما ينبغى لهم ذلك فيكون كالوصف ، وأن يكون معناه ليس لهم ذلك على معنى النهى .

فالأول : معناه أن النبوة والإيمان يمنع من الاستغفار للمشركين .

والثانى : معناه لا تستغفروا ، والأمران مقاربان .

وسبب هذا المنع ما ذكره الله تعالى فى قوله : ﴿ **من بعد ما تبين لهم أنهم**

أصحاب الجحيم ﴾ وأيضاً قال : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ والمعنى أنه تعالى لما أخبر عنهم أنه يدخلهم النار . فطلب الغفران لهم جار مجرى طلب أن يخلف الله وعده ووعيده وأنه لا يجوز .

أيضاً لما سبق قضاء الله تعالى بأنه يعذبهم فلو طلبوا غفرانه لصاروا مردودين وذلك يوجب نقصان درجة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحط مرتبته .

وأيضاً أنه قال : ﴿ **ادعونى أستجب لكم** ﴾ وقال عنهم أنهم أصحاب الجحيم . فهذا الاستغفار يوجب الخلف فى أحد هذين النصين وأنه لا يجوز .

○ إلى أن قال : المسألة الثالثة : أنه تعالى لما بين أن العلة المانعة من هذا الاستغفار هو تبين كونهم من أصحاب النار ، وهذه العلة لا تختلف بأن يكونوا من الأقارب والأباعد فلهذا السبب قال تعالى : ﴿ **ولو كانوا أولى قربى** ﴾ وكون سبب النزول ما حكينا يقوى هذا الذى قلناه .

وأما قوله تعالى : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه** ﴾ ففيه مسائل :

○ المسألة الأولى : فى تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه :

● الأول : أن المقصود منه ألا يتوهم إنسان أنه تعالى منع محمداً من بعض ما أذن لإبراهيم فيه .

● والثانى : أن يقال إنا ذكرنا فى سبب اتصال هذه الآية بما قبلها المبالغة فى إيجاب الانقطاع عن الكفار أحيائهم وأمواتهم ، ثم بين تعالى أن هذا الحكم غير مختص بدين محمد – عليه الصلاة والسلام – بل المبالغة فى تقرير وجوب الانقطاع كانت مشروعة أيضاً فى دين إبراهيم – عليه السلام – فتكون المبالغة فى تقرير وجوب المقاطعة والمباينة من الكفار أقوى .

● الثالث : أنه تعالى وصف إبراهيم – عليه السلام – فى هذه الآية بكونه حليماً ، أى قليل الغضب وبكونه أواهاً أى : كثير التوجع والتفجع عند نزول

المضار بالناس والمقصود أن من كان موصوفاً بهذه الصفات كان ميل قلبه إلى الاستغفار لأبيه شديداً فكأنه قيل : إن إبراهيم مع جلالة قدره ومع كونه موصوفاً بالأواهية والحليمية منعه الله تعالى من الاستغفار لأبيه الكافر ، فلأن يكون غيره ممنوعاً من هذا المعنى كان أولى .

○ والمسألة الثانية : دل القرآن على أن إبراهيم – عليه السلام – استغفر لأبيه . قال تعالى حكاية عنه : ﴿ **واغفر لأبى إنه كان من الضالين** ﴾ وأيضاً قال عنه : ﴿ **ربنا اغفر لى ولوالدى** ﴾ وقال تعالى حكاية عنه فى سورة مريم : ﴿ **قال سلام عليك سأستغفر لك ربى** ﴾ وقال أيضا : ﴿ **لأستغفرن لك** ﴾ وثبت أن الاستغفار للكافر لا يجوز .

فهذا يدل على صدور هذا الذنب من إبراهيم – عليه السلام – واعلم أنه تعالى أجاب عن هذا الإشكال بقوله : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه** ﴾ وفيه قولان :

● الأول : أن يكون الواعد أبا إبراهيم – عليه السلام – والمعنى : أن أباه وعده أن يؤمن فكان إبراهيم – عليه السلام – يستغفر له لأجل أن يحصل هذا المعنى فلما تبين له أنه لا يؤمن وأنه عدو لله تبرأ منه وترك ذلك الاستغفار .

● الثانى : أن يكون الواعد إبراهيم – عليه السلام – وذلك أنه وعد أباه أن يستغفر له رجاء إسلامه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه .

والدليل على صحة هذا التأويل قراءة الحسن : ﴿ **وعدها إياه** ﴾ ومن الناس ذكر فى الجواب وجهين آخرين :

● الوجه الأول : المراد من استغفار إبراهيم لأبيه دعاؤه له إلى الإيمان والإسلام وكان يقول له : آمن حتى تتخلص من العقاب وتفوز بالغفران ، وكان يتضرع إلى الله من أن يرزقه الإيمان الذى يوجب المغفرة فهذا هو الاستغفار . فلما أخبره الله تعالى بأنه يموت مصراً على الكفر ترك تلك الدعوة .

● الوجه الثانى : فى الجواب أن من الناس من حمل قوله : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ على صلاة الجنازة وبهذا الطريق فلا امتناع فى الاستغفار للكافر لكون الفائدة فى ذلك الاستغفار تخفيف العقاب . قالوا : والدليل على أن المراد ما ذكرناه أنه تعالى منع من الصلاة على المنافقين وهو قوله : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً** ﴾ .

وفى هذه الآية عم هذا الحكم ومنع من الصلاة على المشركين سواء كان منافقا أو كان مظهراً لذلك الشرك ، وهذا قول غريب . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

وقال الخازن رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٣ / ١٥٣) قوله عز وجل : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى** ﴾ الآية ، واختلف أهل التفسير فى سبب نزول هذه الآية فقال قوم : نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم والد علىّ ، وذلك أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أراد أن يستغفر له بعد موته فنهاه الله عن ذلك ، ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبيه المسيب بن حزن قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال : « **أى عم قل : لا إلـه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله** » فذكر الحديث .

قال : فإن قلت : قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية فى شأن أبى طالب وذلك أن وفاته كانت بمكة أول الإسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهى من آخر القرآن نزولاً ، قلت : الذى نزل فى أبى طالب قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » كما فى الحديث ، فيحتمل أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يستغفر له فى بعض الأوقات إلى أن نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه .

إلى أن قال : ومعنى الآية : ما كان ينبغي للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك ، لأن الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ، ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يفعله ، ففى النهى عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربى ، لأن النهى عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ، ثم ذكر عز وجل سبب المنع فقال تعالى : ﴿ **من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ يعنى تبين لهم أنهم ماتوا على الشرك فهم من أصحاب الجحيم ، وأيضاً فقد قال تبارك وتعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ والله تعالى لا يخلف وعده .

أما قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه** ﴾ .

فمعناه وما كان طلب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله إلا من أجل موعدة وعدها إبراهيم إياه أن يستغفر له رجاء إسلامه . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى فى تفسيره (ج٣/٣٠٥) عند تفسير هذه الآية : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ الآية بعدها قال : يعنى ما يليق ولا يحسن بالنبى والمؤمنين به أن يستغفروا للمشركين ، أى : لمن كفر به وعبد معه غيره ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، فإن الاستغفار لهم فى هذه الحال غلط غير مفيد فلا يليق بالنبى والمؤمنين . لأنهم إذا ماتوا على الشرك أو علم أنهم يموتون عليه فقد حقت عليهم كلمة العذاب ، ووجب عليهم الخلود فى النار ، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين ولا استغفار المستغفرين .

وأيضاً فإن النبى والذين آمنوا معه عليهم أن يوافقوا ربهم فى رضاه وغضبه

يوالوا من والاه الله ويعادوا من عاداه والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك مناقض له ، ولئن وجد الاستغفار من خليل الرحمن عليه السلام لأبيه فإنه عن موعدة وعدها إياه فى قوله : ﴿ **سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفياً** ﴾ .

وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه .

فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله سيموت على الكفر ، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير ، تبرأ منه موافقة لربه وتأدباً معه . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

وقال أبو السعود الحنفى رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٢/ ٦١١) : حكم الاستغفار للمشرك ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا** ﴾ بالله وحده ، أى : ما صح لهم فى حكم الله – عز وجل – وحكمته وما استقام ﴿ **أن يستغفروا للمشركين** ﴾ به سبحانه ﴿ **ولو كانوا** ﴾ أى : المشركين ﴿ **أولى قربى** ﴾ أى ذوى قرابة لهم إلى أن قال : روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لعمه أبى طالب لما حضرته الوفاة ، « **يا عم قل : لا إلـه إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله** » فأبى فقال عليه الصلاة والسلام : « **لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنك** » فنزلت وقيل : لما افتتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبراً فقال : « **إنى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وأنزل علىّ الآيتين** »[(١)] .

﴿ **من بعد ما تبين لهم** ﴾ أى للنبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ **أنهم** ﴾ أى المشركين ﴿ **أصحاب الجحيم** ﴾ بأن ماتوا على الكفر أو نزل الوحى بأنهم يموتون على ذلك . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

---

(١) تقدم التنبيه على هذا مراراً وهو أن الحديث ليس فيه سبب نزول ، وإنما فيه النهى عن الاستغفار فقط فلعله وهم ممن ذكره ، والله أعلم .

وقال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى تفسيره زاد المسير (ج ٣ / ٥٠٧)
قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ فى سبب نزولها أربعة أقوال :

● أحدها : أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية فقال « **أى عم ...** » فذكر الحديث .

ثم قال : أخرجه البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه .

وقيل : إنه لما مات أبو طالب جعل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستغفر له ، فقال المسلمون : ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذوى قراباتنا ، وقد استغفر إبراهيم لأبيه ، وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين . فنزلت هذه الآية ، فقال أبو الحسين بن المنادى : هذا لا يصح(١) إلى أن قال :

● والثانى : أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مر بقبر أمه آمنة فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى الناس لبكائه ثم انصرف إليهم فقالوا : ما الذى أبكاك ؟ فقال « **مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربى أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين واسأذنت ربى أن أستغفر لها فزجرت زجراً فأبكانى** » ثم دعا براحلته فركبها فما سار إلا هنيأة حتى قامت الناقة لثقل الوحى ﴿**ما كان للنبى والذين آمنوا**﴾ والآية التى بعدها.

رواه بريدة عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم(٢) .

● والثالث : أن رجلاً استغفر لأبويه وكانا مشركين ، فقال له علىّ بن

---

(١) تقدم أنها مراسيل .

(٢) قد نبهنا على أن سبب نزول الآية ليس له ذكر فى حديث بريدة ، وإنما ذلك فى حديثى ابن عباس وابن مسعود ، وقد تقدم بيان ضعفهما .

أبى طالب : أتستغفر لهما وهما مشركان ؟ فقال : أو لم يستغفر إبراهيم لأبيه فذكر ذلك علىّ للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزلت هذه الآية والتى بعدها . رواه أبو الخليل عن علىّ عليه السلام[1] .

● والرابع : أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالوا : يا رسول الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العانى ويوفى بالذمم أفلا نستغفر لهم ؟ فقال : « **بلى والله إنى لأستغفر لأبى كما استغفر إبراهيم لأبيه** » .

فنزلت هذه الآية وبين عذر إبراهيم . قاله قتادة[2] ومعنى قوله : ﴿ **من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ أى : من بعد ما بان أنهم ماتوا كفاراً . انتهى . مختصراً من زاد المسير .

وقال العلامة الألوسى البغدادى رحمه الله تعالى فى تفسيره روح المعانى (ج ١١ / ٣٢) ﴿**ما كان**﴾ أى : ما صح فى حكم الله وحكمته وما استقام ﴿ **للنبى والذين آمنوا** ﴾ بالله تعالى على الوجه المأمور به ﴿ **أن يستغفروا للمشركين** ﴾ به سبحانه ﴿ **ولو كانوا** ﴾ أى المشركون ﴿ **أولى قربى** ﴾ أى : ذوى قرابة لهم ، وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه ، والجملة معطوفة على جملة أخرى قبلها محذوفة حذفاً مطَّرداً أى : لو لم يكونوا أولى قربى، ولو كانوا كذلك ﴿ **من بعد ما تبين لهم** ﴾ أى : للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم والمؤمنين ﴿ **أنهم** ﴾ أى المشركون ﴿ **أصحاب الجحيم** ﴾ بأن ماتوا على الكفر أو نزل الوحى بأنهم مطبوع على قلوبهم لا يؤمنون أصلاً ، وفيه دليل على صحة الاستغفار لأحيائهم الذين لا قطع بالطبع

---

(١) قد تقدم أيضاً أنه من طريق أبى الخليل ، وهو مقبول ولم يتابع ، والراوى عنه أبو إسحاق وهو مدلس وقد عنعن .

(٢) رواه ابن جرير(ج١١/٣١-٣٢) ط دار المعرفة ، وهو مرسل من مراسيل قتادة وهى ضعاف .

على قلوبهم والمراد منه فى حقهم طلب توفيقهم للإيمان ، وقيل إنه : يستلزم ذلك بطريق الاقتضاء فلا يقال إنه لا فائدة فى طلب المغفرة للكافر ، والآية على الصحيح نزلت فى أبى طالب فقد أخرج أحمد وابن أبى شيبة والبخارى ومسلم والنسائى وابن جرير والبيهقى فى الدلائل وابن المنذر وآخرون عن المسيب بن حزن .... فذكر الحديث فى وفاة أبى طالب ثم قال : واستبعد ذلك الحسين بن الفضل – يعنى سبب النزول – بأن موت أبى طالب قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين ، وهذه السورة من أواخر ما نزل بالمدينة . قال الواحدى : وهذا الاستبعاد مستبعد ، فأى بأس أن يقال كان عليه الصلاة والسلام يستغفر لأبى طالب من ذلك الوقت إلى وقت نزول الآية ، فإن التشديد مع الكفار إنما ظهر فى هذه السورة ، وذكر نحواً من هذا صاحب التقريب ، وعليه لا يراد بقوله : فنزلت ، فى الخبر أن النزول كان عقيب القول بل يراد أن ذلك سبب النزول ، فالفاء سببية لا للتعقيب ، واعتمد على هذا التوجيه كثير من جملة العلماء وهو توجيه وجيه خلا أنه يعكر عليه ما أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن علىّ كرم الله وجهه قال : أخبرت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بموت أبى طالب فبكى فقال : « **اذهب فَغسِّله وكفِّنه وواره غفر الله له ورحمه** » ففعلت ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يستغفر له أياماً ولا يخرج من بيته حتى نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآية : ﴿ **ما كان للنبى** ﴾ إلخ فإنه ظاهر فى أن النزول قبل الهجرة لأن عدم الخروج مغيا به اللهم إلا أن يقال بضعف الحديث لكن لم نر من تعرض له[1] .

---

(١) والحديث ضعيف جداً ، رواه ابن سعد فى الطبقات (ج١/٧٨)من طريق شيخه الواقدى وهو مالك متروك عن معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده عن علىّ رضى الله عنه ومعاوية لم أقف على ترجمته ، وأبوه مقبول يعنى إنْ توبع وإلا فلين ولا متابع له هنا .

والأولى الجواب عن أصل الاستبعاد أن يقال : إن كون هذه السورة من أواخر ما نزل باعتبار الغالب كما تقدم فلا ينافى نزول شىء منها فى مكة ، والآية على هذا دليل على أن أبا طالب مات كافراً ، وهو معروف من مذهب أهل السنة والجماعة .

وروى ابن إسحاق فى سيرته .... فذكر حديث العباس بن عبد المطلب أنه سمع أبا طالب يقول : لا إلـه إلا الله ، إلى أن قال : واحتج بهذا ونحوه من أبياته المتضمنة للإقرار بحقية ما جاء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشدة حنوه عليه ونصرته له صلى الله عليه وعلى آله وسلم الشيعة الذاهبون إلى موته مؤمناً ، وقالوا : إنه المروى عن أهل البيت وأهل البيت أدرى ، وأنت تعلم قوة دليل الجماعة ، فالاعتماد على ما روى عن العباس دونه مما تضحك منه الثكلى ، والأبيات على انقطاع أسانيدها ليس فيها النطق بالشهادتين وهو مدار فلك الإيمان . وشدة الحنو والنصرة مما لا ينكره أحد إلا أنها بمعزل عما نحن فيه ، وأخبار الشيعة عن أهل البيت أوهى من بيت العنكبوت ، وإنه لأوهن البيوت . نعم لا ينبغى للمؤمن الخوض فيه كالخوض فى سائر كفار قريش من أبى جهل وأضرابه ، فإن له مَزِيَّة عليهم بما كان يصنعه مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من محاسن ، وقد روى نفع ذلك له فى الآخرة أفلا ينفعه فى الدنيا فى الكف عنه وعدم معاملته معاملة غيره من الكفار ، فعن أبى سعيد الخدرى أنه سمع رسول الله قال وقد ذكر عنده عمه « **لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار** » وجاء فى رواية أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك ؟ فقال : « **نعم وجدته فى غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح من نار** » وسبه عندى مذموم جداً لا سيما إذا كان فيه إيذاء لبعض العلويين إذ قد ورد : « **لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات ، ومن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه** » وزعم بعضهم

أن الآية نزلت فى غير ذلك فقد أخرج البيهقى فى الدلائل وغيره عن ابن مسعود قال : خرج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوماً إلى المقابر فجاء حتى جلس إلى قبر منها فذكر الحديث[1] .

إلى أن قال : ولا يخفى أن الصحيح فى سبب النزول هو الأول نعم خبر الاستئذان فى الاستغفار لأمه عليه الصلاة والسلام وعدم الإذن جاء فى رواية صحيحة لكن ليس فيها أن ذلك سبب النزول ، فقد أخرج مسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجة والنسائى عن أبى هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال : « **استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى فزوروا القبور فإنها تُذكِّر الموت** » .

واستدل بعضهم بهذا الخبر ونحوه على أن أمه عليه الصلاة والسلام ممن لا يستغفر له وفى ذلك نزاع شهير بين العلماء . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى . .

***

(١) وهو ضعيف لأنه من طريق أيوب بن هانىء، وقد ضعفه ابن معين ، وقد تقدم ذكره بعلته عند شرح حديث المسيب بن حزن ، والحمد لله .

□ ذكر أقوال المفسرين فى قوله تعالى □

﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾

قال الإمام أبو جعفر الطبرى رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٢٠ / ٥٨) ط دار المعرفة : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنك يا محمد لا تهدى من أحببت هدايته ولكن الله يهدى من يشاء أن يهديه من خلقه بتوفيقه للإيمان به وبرسوله ، ولو قيل معناه إنك لا تهدى من أحببته لقرابة منك ولكن الله يهدى من يشاء كان مذهباً وهو أعلم بالمهتدين .

يقول جل ثناؤه والله أعلم من سبق له فى علمه أنه يهتدى للرشاد ذلك الذى يهديه الله ، فيسدده ويوفقه ، وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أجل امتناع أبى طالب عمه من إجابته إذ دعاه إلى الإيمان بالله إلى ما دعاه إليه من ذلك ذكر الرواية بذلك ، فذكر حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه عند الموت : « **قل لا إلـه إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة** » قال : لولا أن تعيرنى قريش لأقررت بها عينك . فأنزل الله ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ الآية وقد تقدم بسنده ولفظه والكلام عليه فى الحديث الثانى ، ثم ذكر حديث المسيب بن حزن وقد تقدم كذلك ، ثم عَقَّب ذلك بذكر أقوال التابعين . اهـ مختصراً من تفسير ابن جرير رحمه الله .

وقال القرطبى رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ١٣/ ٢٩٩) قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ قال الزجاج : أجمع المسلمون على أنها نزلت فى أبى طالب ، قال : قلت : والصواب أن يقال : أجمع جل المفسرين على أنها نزلت فى شأن أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو نص حديث البخارى ومسلم وقد تقدم الكلام فى ذلك فى براءة . انتهى المراد من كلام القرطبى رحمه الله .

وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٣ / ١٨٥) : (**إنك لا تهدى من أحببت**) لا تقدر أن تدخل فى الإسلام من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ﴿ **ولكن الله** ﴾ يُدخل فى الإسلام ﴿ **من يشاء** ﴾ وهو الذى علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف تنفع فيه فَيُقْرن به ألطافه حتى تدعوه إلى القبول ﴿ **وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ بالقابلين من الذين لا يقبلون .

قال الزجاج : أجمع المسلمون أنها نزلت فى أبى طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته : يا معشر بنى هاشم أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يا عم تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك ؟** » قال : فما تريد يابن أخى ؟ قال : « **أريد منك كلمة واحدة فإنك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول : لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله** » قال : يابن أخى قد علمت أنك لصادق ولكنى أكره أن يقال خرع عند الموت ، ولولا أن تكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومسبَّة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ، ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف . انتهى .

قلت : وهذه القصة ضعيفة ، رواها ابن سعد فى الطبقات (ج١/٧٨)

من طريق الواقدى وهو تالف عن ابن أخى الزهرى وهو محمد بن عبد الله صدوق له أوهام عن أبيه وهو عبدالله بن مسلم ثقة عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير بالمهملتين له رؤية ، ولم يثبت له سماع . قاله الحافظ فى التقريب .

أقول : فتكون روايته مرسلة ، والله أعلم .

وقال الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسيره فتح القدير (ج ٤/ ١٧٨) فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ من الناس وليس ذلك إليك ﴿ **ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ هدايته ﴿ **وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ أى القابلين للهداية المستعدين لها ، وهذه الآية نزلت فى أبى طالب كما ثبت فى الصحيحين وغيرهما ، وقد تقدم ذلك فى براءة . قال الزجاج : أجمع المفسرون على أنها نزلت فى أبى طالب ، وقد تقرر فى الأصول أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل فى ذلك أبو طالب دخولاً أولياً . إلى أن قال (ص ١٨٠) وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث المسيب ومسلم وغيره من حديث أبى هريرة أن قوله : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ نزلت فى أبى طالب لما امتنع من الإسلام . انتهى .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٣ / ٣٩٤ ط دار المعرفة) يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنك يا محمد ﴿ **لا تهدى من أحببت** ﴾ أى ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ ، والله يهدى من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ .

وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ أى : هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية ، وقد ثبت فى الصحيحين أنها نزلت فى أبى طالب

عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقد كان يحوطه وينصره ويقوم فى صفه ويحبه حباً شديداً طبعياً لا شرعياً ، فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى الإيمان والدخول فى الإسلام فسبق القدر فيه واخْتُطِفَ من يده فاستمر على ما كان عليه من الكفر ولله الحكمة التامة .

ثم ذكر حديث المسيب بن حزن ثم قال : أخرجاه من حديث الزهرى وهكذا رواه مسلم فى صحيحه والترمذى من حديث يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة فذكر الحديث إلى أن قال : وهكذا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبى وقتادة : إنها نزلت فى أبى طالب حين عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقول : لا إلـه إلا الله . فأبى عليه ذلك وقال : أى ابن أخى ملة الأشياخ ، وكان آخر ما قاله هو على ملة عبد المطلب . انتهى مختصراً .

وقال الرازى رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٢٥/ ٢) اعلم أن فى قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ مسائل :

● المسألة الأولى : هذه الآية لا دلالة فى ظاهرها على كفر أبى طالب[1] ثم قال الزجاج : أجمع المسلمون على أنها نزلت فى أبى طالب وذلك أن أبا طالب قال عند موته : يا معشر بنى عبد مناف أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا ، فقال عليه السلام : « **يا عم تأمرهم بالنصح لأنفسهم**

(١) هذا صحيح لكن كفر أبى طالب عُلم من آية التوبة التى فيها التصريح بشركه ، والحديث الوارد فى سبب نزولها ، وحديث علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه الذى فيه : إن عمك الشيخ الضال قد مات . وفى بعض الروايات : قد مات مشركاً إلى غير ذلك .

وتدعها لنفسك ؟ » قال : فما تريد يا بن أخى؟ قال : « **أريد منك كلمة واحدة فإنك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول : لا إلـٰه إلا الله أشهد لك بها عند الله تعالى** » قال: يا بن أخى قد علمت أنك صادق ولكنى أكره أن يقال : خرع عند الموت ، ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبيك غضاضة ومَسبَّةٌ بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحك ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف .

قلت : وهذه القصة تقدم تخريجها وبيان أنها ضعيفة .

وقال الخازن رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٥ / ١٧٨) قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ أى : هدايته ، وقيل : أحببته لقرابته ﴿ **ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ وذلك أن الله يقذف فى القلب نور الهداية فينشرح الصدر للإيمان ﴿ **وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ أى : بمن قدَّر له الهدى . ثم ذكر حديث أبى هريرة الذى فى مسلم بقوله (م) عن أبى هريرة قال : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث راود عمه على الإسلام .

قال : وذلك أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لأبى طالب عند الموت : « **يا عم قل لا إلـٰه إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة** » قال : لولا أن تعيرنى قريش يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك . ثم أنشد :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مَسَبَّة ... لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

ولكن على ملة الأشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأنزل الله هذه الآية .

قلت : قد تقدم الحديث بسنده ومتنه عند مسلم وغيره بغير هذا السياق ، والله أعلم .

وقال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى زاد المسير(ج ٦ / ٢٣١) : قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ وقد روى مسلم فيما انفرد به عن البخارى من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه : « **قل لا إلـه إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة** » فقال : لولا أن تعيرنى نساء قريش يقلن : إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ قال الزجاج : أجمع المفسرون أنها نزلت فى أبى طالب .

وفى قوله : ﴿ **من أحببت** ﴾ قولان : أحدهما : من أحببت هدايته ، والثانى : من أحببته لقرابته ﴿ **ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ أى : يرشد لدينه من يشاء ﴿ **وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ أى : من قَدَّر له الهدى .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدى رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٦ / ٤٣) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ : يخبر تعالى أنك يا محمد ﷺ وغيرك من باب أولى - لا تقدر على هداية أحد ولو كان من أحب الناس إليك ، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق وخلق الإيمان فى القلب ، وإنما ذلك بيد الله تعالى يهدى من يشاء ، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله ، وأما إثبات الهداية للرسول فى قوله تعالى ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** ﴾ فتلك هداية البيان والإرشاد . فالرسول يبين الصراط المستقيم ويُرِّغب فيه ويبذل جهده فى سلوك الخلق له ، وأما كونه يخلق فى قلوبهم الإيمان ويوفقهم بالفعل فحاشا وكلا . ولهذا

لو كان قادراً عليها لهدى من وصل إليه إحسانه ونصره ومنعه من قومه عمه أبا طالب ولكنه أوصل إليه من الإحسان بالدعوة له للدين والنصح التام ما هو أعظم مما فعله معه عمه ولكن الهداية بيد الله . انتهى كلامه رحمه الله تعالى على هذه الآية .

وقال الشنقيطى رحمه الله تعالى فى تفسيره أضواء البيان (ج ٦ / ٤٥٥ - ٤٥٦) قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ذكر جل وعلا فى هذه الآية الكريمة أن نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا يهدى من أحب هدايته ولكنه جل وعلا هو الذى يهدى من يشاء هداه وهو أعلم بالمتهدين .

وهذا المعنى الذى دلت عليه هذه الآية جاء موضحاً فى آيات كثيرة كقوله تعالى : ﴿ **إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل** ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ **ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يُطهِّر قلوبهم** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات كما تقدم إيضاحه .

وقوله : ﴿ **وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ جاء معناه موضحاً فى آيات كثيرة كقوله : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ .

والآيات بمثل ذلك كثيرة وقد أوضحنا سابقاً أن الهدى المنفى عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قوله تعالى هنا : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ هو هدى التوفيق لأن التوفيق بيد الله وحده وأن الهدى المثبت له صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قوله تعالى : ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم** ﴾ هو هدى الدلالة على الحق والإرشاد إليه .

ونزول قوله تعالى : ﴿ **إنك لا تهدى من أحببت** ﴾ فى أبى طالب مشهور معروف .

□ الفصـل الثالـث □

○ فى ذكر حديثى العباس وأبى سعيد وسنديهما وشرحهما ○

❋ الحديث الثالث : عن العباس بن عبد المطلب .

رواه البخارى (ج ٧ / ١٩٣) ومسلم (ج ٣ / ٨٤) بشرح النووى واللفظ له . قال :

حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى ومحمد بن أبى بكر المقدمى ومحمد بن عبد الملك الأموى قالوا : حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس بن عبد المطلب أنه قال : يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشىء فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : « **نعم هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار** » .

ورواه أحمد (ج ١ / ٢٠٦ – ٢٠٧ ، ٢١٠) .

والبيهقى فى دلائل النبوة (ج٢/٣٤٦) وفى كتاب البعث والنشور (ص٥٩-٦١) حديث (١٠) (١١،١٢) وابن مندة فى كتاب الإيمان (ج٢/٨٨٧-٨٨٩).

○ سند الحديث :

١ – عبيد الله القواريرى هو ابن ميسرة أبو سعيد البصرى نزيل بغداد ، ثقة ثبت كما فى التقريب وفى التهذيب قال أبو بكر الأنبارى : سمعت أحمد بن يحيى يعنى ثعلباً يقول : سمعت من عبيد الله القواريرى مائة ألف حديث .

٢ – ومحمد بن أبى بكر المقدمى هو ابن علىّ بن عطاء بن مقدم

أبو عبد الله الثقفى مولاهم البصرى ، ثقة كما فى التقريب ، وقال فى التهذيب : روى عن عمه عمر بن علىّ المقدمى ، وقال ابن معين وأبو زرعة : ثقة ، وقال أبو حاتم : صالح الحديث محله الصدق .

٣ – ومحمد بن عبد الملك الأموى هو ابن أبى الشوارب البصرى واسم أبى الشوارب : محمد بن عبد الرحمن بن أبى عثمان . صدوق كما فى التقريب . وفى التهذيب . قال علىّ بن خاقان عن أحمد : ما بلغنى عنه إلا خيراً قال وفى الزهرة روى عنه مسلم عشرة أحاديث .

٤ – قالوا : حدثنا أبو عوانة . أبو عوانة هو : وضاح بن عبد الله اليشكرى بمعجمة ومهملة بينهما ألف ، مشهور بكنيته ، ثقة ، ثبت كما فى التقريب ، وقال فى التهذيب : كان من سبى جرجان مولى يزيد بن عطاء ، وقال ابن أبى خيثمة عن ابن معين : أبو عوانة جائز الحديث ، وحديث يزيد بن عطاء ضعيف ، ثبت حديث أبى عوانة وسقط حديث مولاه يزيد بن عطاء ، وقال أبو طالب عن أحمد : إذا حدَّث أبو عوانة من كتابه فهو أثبت وإذا حدَّث من غير كتابه ربما وهم ، وقال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ثقة ثبت حجة فيما حدَّث من كتابه وقال : إذا حدَّث من حفظه ربما غلط ، وقال ابن المدينى : كان أبو عوانة فى قتادة ضعيفاً لأنه كان قد ذهب كتابه ، وكان أحفظ من سعيد ، وقد أغرب فى أحاديث .

٥ – عبد الملك بن عمير هو : ابن سويد اللخمى أبو عمرو ويقال : أبو عمر الكوفى القبطى . قال فى التقريب : ثقة فقيه ، تغير حفظه ، وربما دلس وفى التهذيب وقال البخارى عن علىّ بن المدينى : له نحو مائتى حديث ، وقال ابن نمير : كان ثقة ثبتاً فى الحديث ، وقال ابن البرقى عن ابن معين : ثقة إلا أنه أخطأ فى حديث أو حديثين .

٦ – عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمى أبو محمد المدنى أمير البصرة ، له رؤية ولأبيه وجده صحبة . قال ابن عبد البر : أجمعوا على توثيقه ، وقال فى التهذيب : قال ابن معين وأبو زرعة :

ثقة . وقال يعقوب بن شيبة : ثقة ثقة ظاهر الصلاح ، وله رضى فى العامة .

٧ – العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبو الفضل . قال فى الإصابة : وحضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم ، وشهد بدراً مع المشركين مكرهاً ؛ فأسر فافتدى نفسه وافتدى ابن أخيه عقيل بن أبى طالب ، ورجع إلى مكة ، فيقال : إنه أسلم وكتم قومه ذلك ، وصار يكتب إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالأخبار ، ثم هاجر قبل الفتح بقليل وشهد الفتح ، وثبت يوم حنين ، وقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من آذى العباس فقد آذانى فإنما عم الرجل صنو أبيه** » . أخرجه الترمذى[1] فى قصة ، قال – أعنى ابن حجر – وكان – يعنى العباس – طويلاً جميلاً أبيض ، وقد حدث عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأحاديث ، روى عنه أولاده ..... والصحابة يعترفون للعباس بفضله ويشاورونه ويأخذون رأيه .

فَمَنْ مِن هؤلاء يضعف الحديث من أجله أو يعرض عنه مع صحته إلى غيره مما لم يصح ، كما أعرضوا عنه حين زعموا أن أبا طالب لما تقارب منه الموت رآه العباس يحرك شفتيه ؛ فأصغى إليه بأذنه فسمع منه الشهادة ، فقال للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : قد قال الكلمة التى سألته .

وقد تقدم بسنده فى ترجمة أبى طالب ، وأن فيه مجاهيل ، فانظر يا عبد الله كيف يعرضون عن الصحيح ويأخذون بالضعيف ، فليت شعرى ما هو العلاج الناجع فيهم فهم كما قيل :

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميت إيلام

فالحديث صحيح لا مطعن فيه ، فهو دليل على ضعف ذلك الحديث وسقوطه ، ولو سلمنا بصحته فيعارضه ما هو أصح منه وهو ما فى الصحيحين

---

(١) (ج ٥/٦١٠) وهو ضعيف، لأنه من طريق يزيد بن أبى زياد الهاشمى كما فى التهذيب، قال الحافظ فى التقريب : ضعيف كبر فتغير، صار يتلقن وكان شيعياً .

والحمد لله .

✸ الحديث الرابع : عن أبى سعيد الخدرى .

رواه البخارى (ج ٧ / ١٩٣) ومسلم (ج ٣ / ٨٥) وهذا لفظه :

قال : حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : « **لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه** » .

ورواه أحمد فى المسند (ج ٣ / ٨ - ٩ ، ١٣ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٧٨) .

والبيهقى فى الدلائل (ج ٢ / ٣٤٧) وفى كتاب البعث والنشور (ص ٥٩) حديث (٩) ، و (ص ٢٨٣) حديث (٤٩٥) .

ورواه ابن مندة فى كتاب الإيمان (ج ٢ / ٨٨٩ - ٨٩١) .

○ سند الحديث :

١ - قتيبة بن سعيد هو ابن جميل بن طريف أبو رجاء الثقفى البغلانى بفتح الموحدة وسكون المعجمة قال الحافظ فى التقريب : ثقة ثبت .

وفى التهذيب قال الأثرم عن أحمد : إنه ذكر قتيبة فأثنى عليه . وقال ابن معين وأبو حاتم والنسائى : ثقة ، زاد النسائى : صدوق ، وقال عمر بن على- يعنى الفلاس- قال: مررت بمنى على قتيبة ، فجزته و لم أحمل عنه؛ فندمت ، وقال الحاكم : قتيبة ثقة مأمون .

أقول : وأنكر عليه حديث الجمع بين الصلاتين ، ولا يضره ذلك ، لأنه أدخل عليه من قبل خالد المدائنى ، وذكر الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى- فى التهذيب أن البخارى قال : قلت لقتيبة : مع من كتبت عن الليث بن سعد حديث يزيد بن أبى حبيب عن أبى الطفيل ؟ قال : مع خالد المدائنى، قال محمد بن إسماعيل : وكان خالد المدائنى هذا يدخل الأحاديث على الشيوخ.

٢ - ليث هو ابن سعد أبو الحارث الفهمى ثقة ثبت فقيه إمام مشهور .

وفى التهذيب : وقال ابن سعد : كان قد اشتغل بالفتوى فى زمانه ، وكان ثقة كثير الحديث صحيحه ، وكان سرياً من الرجال نبيلاً سخياً ، وعن أحمد : الليث ثقة ثبت ، وكذا قال ابن المدينى وقال ابن حبان فى الثقات : كان من سادات أهل زمانه فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً وسخاءً .

وقال ابن وهب : كتب مالك إلى الليث : إنى أريد أن أدخل ابنتى على زوجها فأحب أن تبعث إلىّ بشىء من عصفر ؟ فبعث إليه ثلاثين حملاً من عصفر ، فصبغ لأهله ثم باع منه بخمسمائة دينار ، وكان دخل الليث كل سنة ثمانين ألفاً ما أوجب الله عليه زكاة .

قلت : وذلك أنه كان ينفقها فى وجوه الخير قبل أن يحول عليها الحول . له ترجمة طيبة فى مقدمة الجرح والتعديل ، وقد ألف الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - فى ترجمته كتاباً سماه الرحمة الغيثية فى الترجمة الليثية .

٣ - ابن الهاد : هو يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثى أبو عبد الله المدنى . ثقة مكثر ، قاله الحافظ ابن حجر فى التقريب ، وقال فى التهذيب : قال أحمد : لا أعلم به بأساً ، وقال ابن معين والنسائى : ثقة ، وقال ابن سعد : وكان ثقة كثير الحديث ، وقال يعقوب بن سفيان : مدنى ثقة حسن الحديث يروى عن الصغار والكبار ، وقال العجلى : مدنى ثقة .

٤ - عبد الله بن خباب هو الأنصارى المدنى، ثقة، وقال فى التهذيب : قال أبو حاتم والنسائى : ثقة ، وذكره ابن حبان فى الثقات . قال الحافظ : قلت : وقال ابن عدى : حدث عنه أئمة الناس ، وهو صدوق لا بأس به .

قلت : وهو غير عبد الله بن خباب بن الأرت .

٥ - أبو سعيد الخدرى هو سعد بن مالك بن سنان رضى الله عنه وأرضاه قال الحافظ فى التهذيب : استصغر يوم أحد ، وغزا بعد ذلك اثنتى عشرة غزوة وقال فى الإصابة : وهو مكثر من الحديث ، وقال الخطيب : كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثاً كثيراً .

قلت : وقد تقدم ذكره فى المكثرين فى البيتين عن السيوطى .

فالحديث صحيح مُخرَّج فى الصحيحين وغيرهما كما رأيت . فما هو عذر المبتدعة فى الإعراض عنه إلى غيره مما لم يصح .

○ (شرح حديثى العباس وأبى سعيد) ○

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى- (٥٠٦/٨) : إن ذلك ينفعه بخصوصه ، وتسوغ شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لمكانه منه ، ولهذا قال : « **أجادل لك بها وأشفع لك** » وسيأتى بيانه ، ويؤيد الخصوصية أنه بعد أن امتنع من الإقرار بالتوحيد وقال : هو على ملة عبد المطلب ، ومات على ذلك أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يترك الشفاعة له بل شفع له حتى خفف عنه العذاب بالنسبة لغيره ، وكان ذلك من الخصائص فى حقه ، وقد تقدمت الرواية بذلك فى السيرة النبوية .

وقال أيضاً- رحمه الله- (ج ١١/ ٤٣١) من فتح البارى : قوله : « **لعله تنفعه شفاعتى** » ظهر من حديث العباس وقوع هذا الترجى واستشكل قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **تنفعه شفاعتى** » بقوله تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ وأجيب بأنه خص ، ولذلك عَدُّوه من خصائص النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل : معنى المنفعة فى الآية يخالف معنى المنفعة فى الحديث والمراد بها فى الآية الإخراج من النار ، وفى الحديث المنفعة

بالتخفيف ، وبهذا جزم القرطبى ، وقال البيهقى فى البعث : صحت الرواية فى شأن أبى طالب فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية ، ووجهه عندى أن الشفاعة فى الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق فى أنه لا يشفع فيهم أحد ، وهو عام فى حق كل كافر فيجوز أن يخص منه من ثبت الخبر بتخصيصه . قال : وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيه تطييباً لقلب الشافع لا ثواباً للكافر لأن حسناته صارت بموته على الكفر هباء ، وأخرج مسلم عن أنس : وأما الكافر فيعطى حسناته فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة .

قال الحافظ : وقال القرطبى فى المفهم : اختلف فى هذه الشفاعة هل هى بلسان قولى أو بلسان حالى ، والأول يشكل بالآية وجوابه : جواز التخصيص ، والثانى : يكون معناه أن أبا طالب لمَّا بالغ فى إكرام النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم والذب عنه جوزى على ذلك بالتخفيف فأطلق على ذلك شفاعة لكونها بسببه . انتهى المراد .

وقال الحافظ أيضاً (ج ٧ / ١٩٤) تنبيه : فى سؤال العباس عن حال أبى طالب ما يدل على ضعف ما أخرجه ابن إسحاق من حديث ابن عباس بسند فيه من لم يسم أن أبا طالب لما تقارب منه الموت بعد أن عرض عليه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يقول : « **لا إلـه إلا الله** » فأبى . قال : فنظر العباس إليه وهو يحرك شفتيه فأصغى إليه فقال : يابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته أن يقولها ، وهذا الحديث لو كان طريقه صحيحاً لعارضه هذا الحديث الذى هو أصح منه فضلاً عن أنه لا يصح .

إلى أن قال : ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبى طالب ولا يثبت من ذلك شىء ....

وبالله التوفيق . وقد لخصت ذلك فى ترجمة أبى طالب من كتاب الإصابة .

وفى شرح حديث العباس الذى فيه : فإنه كان يحوطك ، قال : وكان يذب عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويرد عنه كل من يؤذيه وهو مقيم مع ذلك على دين قومه .

وقال أيضاً قوله : ذكر عنده عمه ... ويؤخذ من الحديث الأول أن الذاكر هو العباس بن عبد المطلب لأنه هو الذى سأل عن ذلك .

وقوله : فى حديث أبى سعيد لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة يعتبر مخصصاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ ولقوله أيضاً : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ .

والمراد بالضحضاح فى الحديثين : هو ما يبلغ الكعبين من الماء ، قال صاحب النهاية : فاستعاره للنار . اهـ .

وقال الحافظ : وهو ضد الغمرة ، والمعنى أنه خفف عنه العذاب .

*** * ***

□ الفصل الرابع □

○ فى الشفاعة وأنواعها ○

والشىء بالشىء يذكر . فالشفاعة أنواع كما فى شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٧٤) تحقيق أحمد محمد شاكر :

الشفاعة الأولى : وهى العظمى الخاصة بنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .

ثم ذكر أحاديث الشفاعة من الصحيحين وغيرهما .

ثم قال : النوع الثانى والثالث من الشفاعة : شفاعة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة ، وفى أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار لا يدخلونها .

النوع الرابع : شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم ، وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة ، وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها .

النوع الخامس : الشفاعة فى أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ، ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يجعله من السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حسبا ، والحديث مُخرَّج فى الصحيحين .

النوع السادس : الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته فى عمه أبى طالب أن يخفف عنه عذابه ، ثم قال القرطبى فى التذكرة بعد ذكر هذا النوع : فإن قيل : فقد قال تعالى : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ قيل له : لا تنفعه فى الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة .

النوع السابع : شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين فى دخول الجنة .

النوع الثامن : شفاعته فى أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث ، وقد خفى علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا فى ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث وعناداً ممن علم ذلك واستمر على بدعته .

وقال شيخنا حفظه الله تعالى فى كتابه القيم : الشفاعة (ص١٢) بعد ذكره للآيات اللاتى جاء ذكر الشفاعة فيها نفياً وإثباتاً : يتحصل من هذا أن النفى مقصود به الشفاعة التى تطلب من غير الله كما قال تعالى : ﴿ **قل لله الشفاعة جميعاً** ﴾ والشفاعة المثبتة لا تقبل إلا بشروط :

١ - قدرة الشافع على الشفاعة كما قال تعالى فى حق الشافع الذى يطلب منه وهو غير قادر على الشفاعة : ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ فعلم من هذا أن طلب الشفاعة من الأموات طلب ممن لا يملكها : ﴿ **والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة**

يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له** ﴾ .

٢ - إسلام المشفوع له ، قال الله تعالى : ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ والمراد بالظالمين هنا الكافرون بدليل الأحاديث المتواترة فى الشفاعة لأهل الكبائر وستأتى إن شاء الله فى موضعها . قال الحافظ البيهقى رحمه الله فى الشعب (ج ١، ص ٢٠٥) : فالظالمون ها هنا هم الكافرون ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هى فى ذكر الكافرين . اهـ .

وقال الحافظ ابن كثير- رحمه الله- فى تفسير الآية: أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير. اهـ .

ويستثنى من المشركين أبو طالب فإن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يشفع له حتى يصير فى ضحضاح من نار كما سيأتى فى الأحاديث فى مواضعها إن شاء الله .

٣ - الإذن للشافع كما قال تعالى : ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه** ﴾ .

٤ - الرضا عن المشفوع له كما قال تعالى : ﴿ **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى** ﴾ .

وقال حفظه الله تعالى (ص ١٢٥) : فصل فى شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه أبى طالب فى تخفيف العذاب عنه . ثم ذكر حديثى العباس بن عبد المطلب وأبى سعيد الخدرى ثم قال : هذان الحديثان يدلان

على أن أبا طالب مات كافراً إذ لو كان مسلماً لخرج من النار مع الموحدين كما تواترت الأحاديث بخروج الموحدين من النار ، وسيأتى إن شاء الله بعض الأحاديث فى ذلك .

ويؤيد دلالة هذين الحديثين على عدم إسلام أبى طالب ما رواه البخارى فى صحيحه فذكر حديث المسيب بن حزن المتقدم ، ثم أتبعه بحديث أبى هريرة الذى فيه : لولا أن تعيرنى قريش يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك .

وحديث علىّ بن أبى طالب الذى فيه : إن عمك الشيخ الضال قد مات وذكر أنه عند النسائى (١ / ٩٢) وأحمد (ج ١/ ٩٧) وابن الجارود وفيه : أنه مات مشركاً .

وختم الفصل بحديث أسامة بن زيد أنه قال : يا رسول الله أتنزل فى دارك بمكة ؟ فقال : « **وهل ترك عقيل من رباع أو دور** » وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب ولم يرثه جعفر ولا علىّ رضى الله عنهما لأنهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين .

قال : وجه الاستدلال بهذا الحديث أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم** » .

أخرجه الستة من حديث أسامة بن زيد .

فعلىَّ وجعفر لكونهما مسلمين لم يرثا أبا طالب لأنه مات كافراً ولا يرث المسلم الكافر والله أعلم .

***

□ الفصل الخامس □

○ فى شبه البرزنجى ودحلان حول الشفاعة ○

فمن ذلك ما ذكر فى أسنى المطالب (ص ٢٩) عن البرزنجى قوله : وأحاديث الشفاعة كثيرة وكلها فيها التصريح بأنها لا تنال مشركاً ، وقد نالت الشفاعة أبا طالب كما سيأتى بيانه فدل ذلك على عدم إشراكه .

أقول : وهذا مردود بسبب نزول قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ .

قال الزمخشرى (٢ / ٢١٧) من الكشاف : لأنهم ماتوا على الشرك .

قلت : وقد صح أنها نزلت فى أبى طالب كما تقدم .

ويزيد هذا الاستدلال تأكيداً انتهاء النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الاستغفار لعمه أبى طالب لأنه قد كان قال : « **أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » . فجاء النهى كما سمعت .

فعلمنا من الآية وسبب نزولها أن أبا طالب مات على الشرك وأما كيف نالته الشفاعة وهو مشرك فقد تقدم أنها شفاعة خاصة ، وقد ذكر الله تبارك للمشركين أحكاماً فى الآخرة منها : أن الله لا يغفر لهم ذنوبهم كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً** ﴾ .

وفى الآية الثانية : ﴿ **فقد ضل ضلالاً بعيداً** ﴾ .

ومنها : أيضاً أن الجنة محرمة عليهم ومأواهم النار . قال تعالى : ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾ .

ونفى الشفاعة لهم فقال : ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ .

وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون** ﴾ وقال : ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين** ﴾ وقال على لسانهم : ﴿ **فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين** ﴾ .

والظالمون فى الآيات المراد بهم المشركون كما تقدم .

قال الشوكانى- رحمه الله تعالى- فى فتح القدير (٤/١٠٧) عند قوله : ﴿ **فما لنا من شافعين** ﴾ كما للمؤمنين ... إلى قوله : ﴿ **فلو أن لنا كرة** ﴾ قال : رجعة إلى الدنيا ﴿ **فنكون من المؤمنين** ﴾ حتى تحل لنا الشفاعة كما حلت لهؤلاء ، وقال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ (٤ / ٤٨٦) : ثم بين سبحانه أنه لا ينفع الكافرين فى ذلك اليوم أحد فقال : ﴿ **ما للظالمين من حميم** ﴾ أى : قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع فى شفاعته لهم .

وقال ابن كثير- رحمه الله تعالى- (٦/١٣١) : أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير . اهـ .

○ **ومن شبههم أيضاً** ما ذكره (ص ٣٢) قال : والشافعين جمع محلى باللام فيفيد العموم لجميع الشافعين فتدخل شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإنها لا تنفع الكافرين كما لا تنفعهم شفاعة غيره ، وأبو طالب قد نفعته شفاعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فخفف عنه العذاب وأخرج

من غمرات النار إلى ضحضاح النار بشفاعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوجب أن يكون من أهل الكبائر ما عدا الكفر ووجب أن يخرج من النار لأنه صار من عصاة هذه الأمة الذين هم فى الطبقة العليا وكل من كان كذلك يخرج ويدخل الجنة . وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أرجو له من ربى كل خير** » .

وهذا الحديث أخرجه ابن سعد وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ما ترجو لأبى طالب ؟ قال : « **كل الخير أرجو من ربى** » ولا يرجى كل الخير إلا لمؤمن ولا يجوز أنه يراد بهذا ما حصل من تخفيف العذاب فإنه ليس خيراً فضلاً عن أن يكون كل الخير ، وإنما هو تخفيف لشر وبعض الشر أهون من بعض والخير كل الخير دخول الجنة .

أقول : عليه فى هذا الكلام مؤاخذات منها : ألا يعلم أن فى ديننا وشريعتنا عموماً وخصوصاً؟ فشفاعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعمه أبى طالب خاصة من ذلك العموم الذى ذكره ، ولا شك أنه يعلم ذلك ولكن التلبيس الذى اشتمل عليه علمه ، والهوى الذى أصمه وأعماه ، هو الذى جعله يقول قوله ، وقد ذكرنا تخصيص أبى طالب بالشفاعة دون غيره عن غير واحد من علماء هذه الأمة .

وأما ما استدل به من الحديث فهو ضعيف لا يثبت كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

ومنها : قوله : فوجب أن يكون من أهل الكبائر ما عدا الكفر .

أقول : أين هذه الأدلة الموجبة لأن يكون من أهل الكبائر ما عدا الكفر ، بل الأدلة الصحيحة المتكاثرة تدل على أنه واقع فى أكبر الكبائر كما تقدم فى الآية وسبب نزولها وفى حديث علىّ كما سيأتى فلا نترك كلام الله تعالى وكلام

رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقول البرزنجي ودحلان . وسيأتى من حديث أنس أن رجلاً يقال له يوم القيامة : لو كان لك ما فى الأرض أكنت مفتدياً به ؟ فيقول : نعم . فيقال له : كذبت قد سألتك ما هو أهون من هذا ألا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا الشرك ، قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى –: يقال : هو أبو طالب .

○ **ومنها** : قوله : ووجب أن يخرج من النار ، كذلك أيضاً أين الدليل الصحيح الموجب لخروجه من النار لأنه ثبت بالأدلة الصحيحة أنه دخلها وخفف عنه فيها إلى ضحضاح منها ، فأين دليل الخروج منها والله تبارك وتعالى يقول فى شأن الكافرين والمشركين : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تُقُبِّل منهم ولهم عذاب أليم يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾ .

وقال تعالى على لسانهم : ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾ .

وقال سبحانه ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾ .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (ج ١١ / ٤٢١) بعد أن ذكر البخارى أكثر من عشرين حديثاً فى صفة الجنة والنار . قال القرطبى : وفى هذه الأحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت ولا حياة نافعة ولا راحة كما قال تعالى : (لا يُقْضَى

عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) .

وقال تعالى : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾ .

فمن زعم أنهم يخرجون منها وأنها تبقى خالية ، أو أنها تفنى أو تزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول وأجمع عليه أهل السنة .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : جمع بعض المتأخرين فى هذه المسألة سبعة أقوال :

● أحدها : هذا الذى نقل فيه الإجماع .

● والثانى : يعذبون فيها إلى أن تنقلب طبيعتهم فتصير نارية حتى يتلذذوا بها لموافقة طبعهم ؛ وهذا قول بعض من ينسب إلى التصوف من الزنادقة .

● والثالث : يدخلها قوم ويخلفهم آخرون ، كما ثبت فى الصحيح عن اليهود وقد أكذبهم الله تعالى بقوله : ﴿ **وما هم بخارجين من النار** ﴾ .

● الرابع : يخرجون منها وتستمر هى على حالها .

● الخامس : تفنى لأنها حادثة وكل حادث يفنى وهو قول الجهمية .

● السادس : تفنى حركاتهم البتة وهو قول أبى الهذيل العلاف من المعتزلة .

● السابع : يزول عذابها ويخرج أهلها منها ، جاء ذلك عن بعض الصحابة . أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره من رواية الحسن عن عمر قوله ، وهو منقطع ، ولفظه : لو لبث أهل النار فى النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه . وعن ابن مسعود : ليأتين عليها زمان ليس فيها أحد .

قال عبيد الله بن معاذ - راويه -: كان أصحابنا يقولون : يعنى الموحدين .

قال الحافظ : قلت : وهذا الأثر عن عمر لو ثبت حمل على الموحدين ، وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع ، ونصره بعدة أوجه من جهة النظر وهو مذهب ردىء مردود على قائله . وقد أطنب السبكى الكبير فى بيان وهائه فأجاد اهـ .

○ ومنها أيضاً : قوله : لأنه قد صار من عصاة هذه الأمة الذين هم فى الطبقة العليا ، وقال فى موضع آخر : (ص ٣١) وقد ثبت فى الأثر الصحيح أن الجحيم هى الطبقة التي يعذب فيها عصاة المؤمنين ثم يخرجون منها .

أقول : أولاً تذكّر أيها القارىء ما تقدم من الآية والحديث المثبتان للشرك عند أبى طالب وأنه مات عليه ، فمن هنا تعلم أن أبا طالب من العصاة المشركين وليس من العصاة الموحدين ؛ فإن الموحدين الذين وجبت لهم النار يخرجون منها بما عندهم من التوحيد بسبب شفاعات مختلفة .

أما غيرهم من الكفرة والمشركين فلا تنفعهم شفاعة الشافعين وإن شفعوا .

قال الزمخشرى رحمه الله تعالى (٤ / ١٨٧) من الكشاف : أى لو شفع لهم الشافعون جميعاً من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم ؛ لأن الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم ، وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لأنها تزيد فى درجات المرتضين اهـ .

قلت : وتنفع أيضاً فى خروج الموحدين كما هو معلوم من أنواع الشفاعة .

ومن المؤاخذات أيضاً تخصيصه الجحيم بأنها دار عصاة المؤمنين ، ويرد قولهم هذا قوله تبارك وتعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ فسماهم مشركين وأنهم أصحاب الجحيم .

وقوله : ﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **وأزلفت الجنة للمتقين . وبرزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون . فكبكبوا فيها هم والغاوون . وجنود إبليس أجمعون . قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا**

لفي ضلال مبين . إذ نُسَوِّيكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون . فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم . فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ﴾ .

فبين سبحانه فى هذه الآيات أن الجحيم تبرز لهؤلاء الذين أشركوا بالله تعالى ، وسووه بخلقه فى الأوامر والنواهى ، وفى الاحتكام والتعظيم ، وأخبر أنهم كبكبوا فيها هم والغاوون لهم العابد والمعبود والتابع والمتبوع والضال ومَنْ أضله .

وقال الله تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة ، وأن منهم شخصاً كان له قرين سوء يدعوه للكفر والتكذيب بالبعث والنشور والثواب والعقاب : ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قال قائل منهم إنى كان لى قرين . يقول أإنك لمن المصدقين . أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمدينون . قال هل أنتم مطلعون . فاطلع فرآه فى سواء الجحيم . قال تالله إن كدت لتردين . ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين . أفما نحن بميتين . إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين . إن هذا لهو الفوز العظيم . لمثل هذا فليعمل العاملون . أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنة للظالمين . إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعها كأنه رءوس الشياطين . فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم . ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم . إنهم ألفوا آباءهم ضالين . فهم على آثارهم يهرعون ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إن شجرة الزقوم . طعام الأثيم . كالمهل يغلى فى البطون . كغلى الحميم . خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم . ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم . ذق إنك أنت العزيز الكريم . إن هذا ما كنتم به تمترون ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى ﴿ وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . وتصلية جحيم ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه . ولم أدر ما حسابيه . ياليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه .

هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين . لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ .

فذكر الله تعالى فى هذه الآيات البينات أن الجحيم يدخلها الملحدون المنكرون للبعث بعد الموت،- كما فى آيات الصافات-، وأنها يدخلها أيضاً الآثم المتكبر المتشكك- كما فى آية الدخان-، وأخبر أيضاً أن الجحيم يدخلها المكذبون الضالون- كما فى آية الواقعة-، وكذلك أخبر تعالى أن الجحيم يدخلها أيضاً الحاكم الظالم الغاشم الذى اغتر بماله وجاهه وكان مع ذلك لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين - كما فى آية الحاقة - .

فعلمنا من هذه الآيات أن الجحيم ليست خاصة بعصاة المؤمنين ، فقد سمعت أن أصنافاً من الكفار يدخلونها فهل يقال : إنهم يخرجون كما يخرج منها عصاة المؤمنين ، وأنها تصفق أبوابها الرياح وينبت فيها الجرجير إلى غير ذلك من التقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟!! مما يدل على عدم خوف من الله وحياء من خلقه ، مخالفين فى ذلك كثيراً من أدلة الكتاب والسنة التى يقضى الله فيها ببقائهم فيها وعدم خروجهم منها ، وأنهم كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها** ﴾ إلى آيات كثيرة فى هذا كما تقدم .

وأما المؤمن العاصى ؛ فهو وإن أدخله الله النار ، فإنه يكون مآله إلى الجنة إما بتكرم أرحم الراحمين وإما بشفاعة بعض الشافعين .

إذاً فليست دار الجحيم خاصة بعصاة المؤمنين ولا بعتاة الكافرين ، فإذا خرج منها عصاة المؤمنين بقى فيها من كان من المشركين والملحدين وغيرهم من أصناف الكافرين ، وهذا يكشف لك ما فى كلامهم من تلبيس وبطلان

وذلك فى ما ذكره أحمد بن زينى دحلان (ص ٣٢) من أسنى المطالب قال : وقد صح أيضاً أن هذه الطبقة بعد ما يخرج منها عصاة هذه الأمة تنطفى نارها وتصفق الريح أبوابها وينبت فيها الجرجير ، ولا يجوز أن ينبت فيها الجرجير وفيها نار تمس تحت القدم ، فوجب أن يخرج أبو طالب بهذه الأدلة وكلها صحيحة . كذا قال ، ولا يصح منها شيء سوى خروج عصاة المؤمنين ، فإذا خرجوا بقى عذابها لغيرهم من الأصناف التى ذكرنا قبل لإخبار الله تعالى لنا بذلك فى كتابه العزيز .

ولنا عليه تساؤلات : من الذى أخبره أن فى الجحيم ينبت الجرجير؟!! أما نحن فأخبرنا ربنا أن فيها شجرة الزقوم .

وأيضاً فأين يذهب أولئك الكافرون المكذبون- كما فى آية المائدة-؟!! وأين يذهب أولئك الملحدون- كما فى آية الصافات- فقد عرفنا أنهم من أصحاب الجحيم؟!! وأين يذهب أولئك المكذبون الضالون والذين كانوا لا يؤمنون بالله العظيم وقد علمنا أنهم من أصحاب الجحيم؟! فإن قلنا : يخرجون مع عصاة المؤمنين نكون قد قلنا على الله بغير علم وخالفنا ما ذكره الله تبارك وتعالى من عدم خروجهم منها .

وأيضاً ما الذى جعله يخص أبا طالب من هذه الأصناف دون غيره ؟ فهل جمع أبو طالب أوصاف جميع من فى الجحيم ؟ فإن قالوا : نعم أقروا بكفره كما فى الأوصاف المتقدمة فى الآيات .

وإن قالوا : لا ، عرفنا بطلان قولهم ، وأنه تقول على الله بغير علم بل هو تجرؤ على الله وحججه وآياته .

● ومن الكذب المفضوح والتلبيس المكشوف : قوله : وينبت فيها الجرجير ، فليس معه دليل على قوله لا من كتاب ولا من سنة ، لكن أخبرنا الله تعالى

بقوله : ﴿ **أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم . إنا جعلناها فتنة للظٰلمين . إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم . طلعها كأنه رءوس الشياطين** ﴾ ، فلم يقل إن فيها ينبت الجرجير ، وهذا مما يؤيد ما ذكرناه قبل من إعراضهم عن الكتاب والسنة وإقبالهم على الأهواء والبدعة ، فنعوذ بالله من الهوى والبهتان ومن المخالفة والخذلان .

● ومما يؤخذ عليه أيضاً استدلاله بأحاديث ضعيفة وموضوعة ، ومنها ما ذكره أن ابن عباس سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما ترجو لأبى طالب ؟ قال : « **كل الخير أرجو من ربى** » .

● أولاً : هل الحديث صحيح حتى نستجيز نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟! لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **لا تقولوا علىَّ ما لم أقل فإنه من يقل عنى ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار** » .

ويقول : « **من حدث عنى بحديث يَرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين** » .

والحديث الذى يستدلون به ضعيف لانقطاع إسناده ، فهو من طريق إسحاق بن عبد الله بن الحارث ، وقد قال الحافظ فى ترجمته من التهذيب : أرسل عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وروى عن أبى هريرة وابن عباس مرسلاً . وكذا فى جامع التحصيل للعلائى رحمه الله تعالى .

فالحديث ضعيف لذلك ، وفى طبقات ابن سعد (ج١/٧٩) من طريق إسحاق هذا . قال : قال العباس فذكره ، وقد علمت أنه أرسل عن ابن عباس فإن كان الذى عند ابن سعد صواباً فأولى أن لا يسمع من العباس والله أعلم .

وعلى تقدير صحته فليس فيه ما ينفى تلك الأدلة الصحيحة التى تقضى بأنه

مات مشركاً ، وأنه فى النار ، وأن التخفيف عنه كان بسبب شفاعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم له .

فهذا إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يرجو لأبيه الخير كما أخبرنا الله تعالى عنه أنه قال : ﴿ **رب هب لى حكماً وألحقنى بالصالحين . واجعل لى لسان صدق فى الآخرين . واجعلنى من ورثة جنة النعيم . واغفر لأبى إنه كان من الضالين . ولا تخزنى يوم يبعثون . يوم لا ينفع مال ولا بنون . إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ .

وقد ورد فى السنة ما يوضح ذلك فقال البخارى رحمه الله تعالى (ج٦/٣٨٧) : حدثنا إسماعيل بن عبد الله قال : أخبرنى أخى عبد الحميد عن ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم : ألم أقل لك لا تعصنى ؟ فيقول أبوه : فاليوم لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون ، فأى خزى أخزى من أبى الأبعد ؟ فيقول الله تعالى : إنى حرمت الجنة على الكافرين ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجليك ؟ فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار** » . رواه النسائى .

حديث آخر :

قال الحافظ أبو يعلى الموصلى رحمه الله تعالى (ج٢ ص ٣١٥ - ٥٣٣) : حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا المعتمر قال : سمعت أبى يحدث عن قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ليأخذن الرجل بيد أبيه يوم القيامة فليقطعنه النار يريد أن يدخله الجنة فيُنَادَى أن الجنة لا يدخلها مشرك ، ألا إن الله قد حرم الجنة على كل مشرك . فيقول : رب أبى رب أبى قال : فيحول**

فى صورة قبيحة وريح منتنة فيتركه » .

قال : فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرون أنه إبراهيم ولم يزدهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على ذلك .

ورواه ابن حبان كما فى الإحسان (ج١/٢٣٥) ، وموارد الظمآن (ج١/١٦٦ ، ١٦٧) ، والبزار كما فى كشف الأستار (ج١/٦٥) ، والحاكم فى المستدرك (ج٤/٥٨٧ ، ٥٨٨) وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج١/١١٨) : رواه أبو يعلى والبزار ورجالهما رجال الصحيح .

قلت : أحمد بن المقدام هو أبو الأشعب صدوق صاحب حديث من رجال البخارى والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجة ، طعن أبو داود فى مروياته ولا يضره ، وذلك أنه كان يعلم أصحابه بحيل المجّان ، فإنهم كانوا يضعون صرر الدنانير على الطريق ، فإذا مر بها شخص وأخذها صاحوا به فيخجل ، فقال لأصحابه : خذوا صرراً فيها زجاج فإذا مررتم بهم فخذوا الدنانير فإن صاحوا بكم فضعوا صرر الزجاج .

والمعتمر ثقة من رجال الجماعة وأبوه ثقة عابد من رجال الجماعة ، وقتادة ثقة ثبت من رجال الجماعة إلا أنه يدلس وقد عنعن لكن تجبر عنعنته بثبوت الحديث من وجه آخر .

وشيخه عقبة بن عبد الغافر ثقة من رجال البخارى ومسلم والنسائى ، روى له البخارى ومسلم والنسائى حديث : إن بلالاً جاء بتمر برنى فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من أين لك هذا ؟** » الحديث ذكره المزى فى الأطراف كما فى تحفة الأشراف .

فالحديث صحيح إن شاء الله ، وأحمد بن المقدام قد تابعه عبيد بن عبيدة القرشى عند الحاكم، قال فى لسان الميزان : يُغْرِب ، كذا قال ابن حبان فى الثقات.

وقال الدارقطنى فى العلل : حدثنا أبو على الصفار حدثنا محمد بن غالب حدثنا عبيد بن عبيدة ثقة بصرى فذكر حديثاً فى التفل فى القبلة ، وقال : عبيد يحدث

عن معتمر بغرائب لم يأت بها غيره .

أقول : لكنه هنا قد روى هذا الحديث أحمد بن المقدام فيكون صحيحاً بذلك.

وفى هذه الأدلة رد على من زعم أن آزر أبا إبراهيم مؤمن .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى شرحه لحديث أبى هريرة (ج٨/٥٠٠) من الفتح : زاد ابن المنذر من هذا الوجه : فإذا رآه كذا تبرأ منه قال : لست أبى ، والذيخ : بكسر الذال المعجمة بعدها تحتاينة ساكنة ثم خاء معجمة ذكر الضباع ، وقيل : لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر وقيل : الحكمة فى مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ولئلا يبقى فى النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم . وقيل : الحكمة فى مسخه ضبعاً أن الضبع من أحمق الحيوان وآزر كان من أحمق البشر ، لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البينات أصر على الكفر حتى مات ، واقتصر فى مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط فى التشويه بالنسبة إلى ما دونه كالكلب والخنزير وإلى ما فوقه كالأسد مثلاً ، ولأن إبراهيم بالغ فى الخضوع له وخفض الجناح فأبى واستكبر وأصر على الكفر ، فعومل بصفة الذم يوم القيامة ولأن للضبع عوجاً ، فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه فى الدين . انتهى المراد من كلام الحافظ رحمه الله تعالى .

فلو صح ما استدلوا به من قوله فى الحديث : كل الخير أرجو من ربى ، لكان ذلك محمولاً على مثل ما ورد فى شأن إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبيه من أن إبراهيم كان يرجو أن تقبل شفاعته فى أبيه فأخبرنا الله تعالى فى كتابه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى سنته بما يصير آزر إليه فيحمل الحديث– إن صح– أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يرجو لعمه الخير ، فلما نزلت آية التوبة وأعلمه الله بمصيره وأنه فى الدرك الأسفل من النار لولا شفاعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيه حتى خفف عنه فصار فى ضحضاح منها بذلك انقطع ما كان يرجو من الخير .

□ الفصل السادس □

○ فى ذكر حديثى النعمان وابن عباس وسنديهما وشرحهما ○

□ **الحديث الخامس** : عن النعمان بن بشير .

رواه البخارى (ج١١/ ٤١٧) ومسلم (ج٣/٨٥) وهذا لفظه :

قال رحمه الله : وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار واللفظ لابن المثنى قالا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال : سمعت أبا إسحاق يقول : سمعت النعمان بن بشير يخطب وهو يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « **إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه** » .

ورواه أحمد (ج٤/٢٧١ ، ٢٧٤) .

ورواه الترمذى فى صفة جهنم (ج٤/٦١٨) .

ورواه ابن مندة فى كتاب الإيمان (ج٢/٨٩٠ ، ٨٩١) .

والحاكم فى المستدرك (ج٤/٥٨٠ ، ٥٨١) من طريق الأعمش عن أبى إسحاق عن النعمان وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وها أنت ترى أنهما قد أخرجاه والله المستعان .

ورواه البيهقى فى كتاب البعث والنشور (ص ٢٨٢) حديث (٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤) .

○ **سند الحديث :**

١ – محمد بن المثنى : هو أبو موسى العنزى ، قال الحافظ فى التقريب : مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت ، وكان هو وبندار فرسى رهان وماتا فى سنة واحدة . وقال فى التهذيب : قال عبد الله بن أحمد عن ابن معين : ثقة . وقال أبو سعد الهروى : سألت الذهلى عنه فقال : حجة ، وقال الخطيب : كان ثقة ثبتاً احتج سائر الأئمة بحديثه ، وقال السلمى عن الدارقطنى : كان أحد الثقات وقدمه على بندار ، قال : وقد سئل عمرو بن على عنهما فقال : ثقتان يقبل منهما كل شىء إلا ما تكلم به أحدهما فى الآخر .

٢ – ومحمد بن بشار هو : العبدى أبو بكر البصرى ثقة ، وفى التهذيب قال العجلى : بصرى ثقة كثير الحديث وكان حائكاً ، وقال ابن حبان : كان يحفظ حديثه ويقرأه من حفظه ، وقال ابن خزيمة فى التوحيد : ثنا إمام أهل زمانه محمد بن بشار ، وقال البخارى فى صحيحه : كتبت إلى بندار فذكر حديثاً مسنداً ولولا شدة وثوقه ما حدث عنه بالمكاتبة . وكذبه الفلاس .

قال الذهبى فى الميزان (ج٣/٤٩٠) : كذبه الفلاس فما أصغى أحد إلى تكذيبه لتيقنهم أن بنداراً صادق أمين . وقال الحافظ فى مقدمة الفتح (ص ٤٣٧) : أحد الثقات المشهورين ، روى عنه الأئمة الستة ، ووثقه العجلى والنسائى وابن خزيمة وسماه إمام أهل زمانه ، والفرهيانى والذهلى ومسلمة وأبو حاتم الرازى وآخرون وضعفه عمرو بن على الفلاس ولم يذكر سبب ذلك فما عَرَّجوا على تجريحه ، إلى أن قال : وكان بنداراً يفتخر بأخذ البخارى عنه كما حكينا فى ترجمة البخارى .

وقال الذهبى فى الميزان : احتج به أصحاب الصحاح كلهم وهو حجة بلا ريب .

٣ – محمد بن جعفر المدنى البصرى المعروف بغندر ثقة صحيح الكتاب

إلا أن فيه غفلة ، ذكره فى التقريب ، وفى التهذيب ؛ قال ابن معين : كان من أصح الناس كتاباً ، وأراد بعضهم أن يخطئه فلم يقدر .

وقال ابن مهدى : كنا نستفيد من كتب غندر فى شعبة وكان وكيع يسميه : الصحيح الكتاب .

قال : وقال أبو بكر الأنبارى : ثنا محمد بن المرزبانى ثنا عباس بن محمد ثنا يحيى بن معين قال : اشترى غندر سمكاً وقال لأهله : أصلحوه ونام فأكلوا السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال : هاتوا السمك فقالوا : قد أكلت ؟ قال : لا ، قالوا : فشم يدك ففعل ، فقال : صدقتم ولكن ما شبعت .

٤ - شعبة هو ابن الحجاج أبو بسطام ثقة حافظ متقن ، كان الثورى يقول : هو أمير المؤمنين فى الحديث وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال ، وذب عن السنة وكان عابداً ، وقال فى التهذيب : قال النضر بن شميل : ما رأيت أرحم بمسكين منه ، وقال قراد أبو نوح : رأى علىَّ شعبة قميصاً فقال : بكم أخذت هذا ؟ قلت : بثمانية دراهم ، قال لى : ويحك أما تتقى الله تلبس قميصاً بثمانية : ألا اشتريت قميصاً بأربعة وتصدقت بأربعة ، قلت : إنا مع قوم نتجمل لهم ، قال : أيش تتجمل لهم ؟! وقال وكيع : إنى لأرجو أن يرفع الله لشعبة فى الجنة درجات لذبه عن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقال الحاكم : شعبة إمام الأئمة فى معرفة الحديث بالبصرة ، رأى أنس بن مالك وعمرو بن سلمة الصحابيين ، وسمع من أربعمائة من التابعين .

٥ - أبو إسحاق هو : عمرو بن عبد الله السبيعى بفتح المهملة وكسر الموحدة ، مكثر ثقة عابد اختلط بآخره ، قاله فى التقريب ، وقال فى التهذيب : وقال ابن معين والنسائى : ثقة ، وقال أحمد: ثقة، ولكن هؤلاء الذين حملوا عنه بآخره ، وقال أبو حاتم : ثقة، وهو أحفظ من أبى إسحاق الشيبانى وشبه الزهرى فى كثرة الرواية واتساعه فى الرجال .

قلت : وهو أحد الثلاثة الذين قال شعبة فيهم : كفيتكم تدليس ثلاثة وهم : أبو إسحاق والأعمش وقتادة ، فعلى هذا لا تضر عنعنتهم إذا كان الراوى عنهم شعبة .

٦ – النعمان بن بشير هو : ابن سعد بن ثعلبة الأنصارى الخزرجى له ولأبويه صحبة .

فما هى حجتهم فى ترك حديث هؤلاء الأئمة ؟ لا حجة لهم سوى أنه لا يوافق الهوى .

□ **الحديث السادس** : عن ابن عباس .

عند مسلم (ج٣/٨٥) بشرح النووى ، قال رحمه الله تعالى :

حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أبى عثمان النهدى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين من نار يغلى منهما دماغه** » .

ورواه أحمد (١/٢٩٠ ، ٢٩٥) .

وابن مندة فى الإيمان (ج٢/٨٨٩) .

والبيهقى فى دلائل النبوة (ج٢/٣٤٨) ، وفى كتاب البعث والنشور (ص ٢٨٣) حديث (٤٩٦) .

ورواه الحاكم فى المستدرك (ج٤/٥٨١) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أبى عثمان النهدى عن ابن عباس فذكره ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وقد رأيتَ أن مسلماً أخرجه ، والله المستعان .

○ **سند الحديث** :

١ – أبو بكر بن أبى شيبة هو : عبد الله بن محمد بن إبراهيم ثقة حافظ

صاحب تصانيف قاله فى التقريب ، وقال فى التهذيب : قال عمرو بن على : ما رأيت أحفظ من أبى بكر ، قدم علينا مع على بن المدينى فسرد للشيبانى أربعمائة حديث حفظاً وقام . وقال أبو عبيد القاسم : انتهى العلم إلى أربعة : فأبو بكر أسردهم له – يعنى الحديث –، وأحمد أفقهم فيه ، ويحيى أجمعهم له ، وعلىٌّ أعلمهم به .

وفى الزهرة روى عنه البخارى ثلاثين حديثاً ومسلم ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً .

٢ – عفان هو ابن مسلم الصفار ثقة ثبت قال ابن المدينى : كان إذا شك فى حرف من الحديث تركه وربما وهم ، قاله فى التقريب . وقال فى التهذيب : قال أبو حاتم : ثقة إمام متقن . وقال ابن معين : أصحاب الحديث خمسة : مالك وابن جريج والثورى وشعبة وعفان .

وفى السير للذهبى (ج١٠/٢٤٩) قال يعقوب بن شيبة : عفان ثقة ثبت متقن صحيح الكتاب قليل الخطأ . وذكر الذهبى أيضاً أن المأمون كتب إلى عامله يأمره أن يمتحن عفان فى القول بخلق القرآن فامتنع أن يجيب فقيل له : يحبس عطاؤك ، وكان يعطى خمسمائة درهم فقال : ﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ ثم خرج فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومن فى داره ، فدق عليه إنسان فدخل عليه رجل – قال الراوي – شبهته بسمّان أو زيات ومعه كيس فيه ألف درهم ، فقال : يا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبت الدين وهذا فى كل شهر . انتهى ملخصاً . قال الذهبى : قلت : هذه الحكاية تدل على جلالة عفان ، وارتفاع شأنه عند الدولة ، فإن غيره امتحن وقيد وسجن ، وعفان فما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه .

٣ – حماد بن سلمة : هو ابن دينار البصرى أبو سلمة ثقة عابد ، أثبت

الناس فى ثابت ، وتغير حفظه بآخره ، قاله الحافظ فى التقريب .

وقال فى التهذيب : قال ابن حبان : كان من العباد المجابين الدعوة فى الأوقات ولم ينصف من جانب حديثه . وقال ابن المدينى : من تكلم فى حماد بن سلمة فاتهموه فى الدين .

٤ – ثابت هو : ابن أسلم البنانى بضم الموحدة ونونين مخففين أبو محمد ثقة عابد قاله فى التقريب . وفى التهذيب : قال النسائى : ثقة ، وقال ابن سعد : كان ثقة مأموناً ، وقال العجلى : ثقة رجل صالح .

٥ – أبو عثمان النهدى : هو عبد الرحمن بن مل بتثليث الميم ، قال الحافظ : ثقة ثبت عابد ، وقال فى التهذيب : وقال معتمر بن سليمان عن أبيه : إنى لأحسب أن أبا عثمان كان لا يصيب ذنباً كان ليله قائماً ونهاره صائماً ، وقال ابن أبى حاتم عن أبيه : كان ثقة ، وكان عريف قومه ، وقال أبو زرعة والنسائى وابن خراش : ثقة .

٦ – ابن عباس : هو عبد الله بن عباس أبو العباس ، قال فى التهذيب : كان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه .

قلت : وقد تقدم أن ذكر فى عداد المكثرين فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد دعا له أن الله يفقهه فى الدين ويعلمه التأويل .

فمن من هؤلاء الأئمة يُطعن فى الحديث أو يُعرض عنه من أجله ؟ .

قال العلامة المناوى– رحمه الله– فى فيض القدير (٦٨/٣) عقب ذكر حديثى النعمان بن بشير وعبد الله بن عباس رضى الله عنهم : هذا وما قبله يؤذن بموته على الكفر وهو الحق ، ويزعم بعض الناس أنه أسلم ، قال الزمخشرى : يا سبحان الله أكان أبو طالب أخمل أعمامه حتى يشتهر إسلام حمزة والعباس ويخفى إسلامه . انتهى .

❋ ❋ ❋

□ الفصل السابع □

○ فى أحاديث مفردة ○

□ **الحديث السابع** : عن أسامة بن زيد .

رواه البخارى (ج٣/٤٥٠) ومسلم (ج٢/٩٨٤) وهذا لفظ حديثه قال رحمه الله :

حدثنى أبو الطاهر وحرملة بن يحيى قالا : أخبرنا ابن وهب أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب ، أن على بن حسين أخبره أن عمرو بن عثمان بن عفان أخبره ، عن أسامة بن زيد بن حارثة أنه قال : يا رسول الله أتنزل فى دارك بمكة ؟ فقال : « **وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور** » وكان عقيل ورث أبا طالب هو وطالب ولم يرث جعفر ولا علىٌّ شيئاً لأنهما كانا مسلمين وكان عقيل وطالب كافرين .

ورواه أحمد (ج٥/٢٠١) ، (٢٠٢) وأبو داود (ج٩/٣٤٤) و (ج١٣/١٨٩ ، ١٩٠) من بذل المجهود .

والنسائى فى الكبرى كما فى تحفة الأشراف .

وابن ماجة (ج٢/٩٨١) .

وابن خزيمة فى صحيحه (ج٤/٣٢٢ ، ٣٢٣) .

وابن حبان فى صحيحه كما فى الإحسان (ج٧/٢٩٩) .

والحاكم فى المستدرك (ج٢/٦٠٢) ثم قال : قد احتج الشيخان بهذا الحديث.

○ **سند الحديث :**

١ – أبو الطاهر : هو أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح بمهملات ثقة ، قاله الحافظ .

وقال : قال ابن يونس : كان فقيهاً من الصالحين الأثبات ، وقال النسائى : ثقة ، وقال أبو زرعة ، وأبو حاتم : لا بأس به ، وقال على بن الحسن بن خلف بن قديد : كان ثقة ثبتاً صالحاً .

٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ – وأما حرملة وابن وهب ويونس وابن شهاب فتقدمت تراجمهم عند أول حديث .

٦ – وعلى بن الحسين هو ابن على بن أبى طالب زين العابدين ثقة ثبت عابد فقيه فاضل مشهور ، قال ابن عيينة عن الزهرى : ما رأيت قرشياً أفضل منه ، قاله فى التقريب .

وفى التهذيب : وقال الثورى عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب : جاء قوم إلى على بن الحسين فأثنوا عليه فقال : ما أكذبكم وأجرأكم على الله ، نحن من صالحى قومنا فحسبنا أن نكون من صالحى قومنا ، وقال عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه : سمعت على بن الحسين يُسأل كيف كانت منزلة أبى بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأشار بيده إلى القبر وقال : منزلتهما منه الساعة .

٧ – وعمرو بن عثمان هو الأموى أبو عثمان ثقة . وقال ابن سعد : كان ثقة ، وله أحاديث ، وقال العجلى : مدنى ثقة من كبار التابعين ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

٨ – أسامة بن زيد بن حارثة صحابى مشهور حب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وابن حبه استعمله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وسلم على جيش فيه أبو بكر وعمر ، فمات النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبل أن يتوجه فأنفذه أبو بكر إلى الشام ، وكان عمر يجله ويكرمه وفضله فى العطاء على ولده عبد الله بن عمر ، واعتزل الفتن بعد قتل عثمان إلى أن مات . انتهى مختصراً من التهذيب والتقريب والإصابة .

قال الحافظ رحمه الله تعالى (ج٣/٤٥٢) من فتح البارى : ومحصل هذا أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لما هاجر استولى عقيل وطالب على الدار كلها ، باعتبار ما ورثاه من أبيهما لكونهما كانا لم يسلما ، وباعتبار ترك النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لحقه منها بالهجرة ، وفُقِدَ طالب ببدر فباع عقيل الدار كلها .

قلت : وقد تقدمت قطعة منه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم** » ، وأنه مخرج فى الكتب الستة .

وعند أحمد (ج٢/١٧٨) من طريق يعقوب بن عطاء وص (١٩٥) من طريق عامر الأحول وعند أبى داود (ج١٣/١٩١ ، ١٩٢) من طريق حبيب المعلم ثلاثتهم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يتوارث أهل ملتين شتى** » .

وهذا إسناد حسن .

قال فى بذل المجهود : والمراد بالملتين الإسلام والكفر ، فإن الإسلام ملة والكفر ملة ، فالمسلم لا يرث الكافر والكافر لا يرث المسلم . وأما الملل الكفرية كاليهود والنصارى والمجوس فيتوارثون بعضهم من بعض .

أقول : وهكذا أيضاً ما ابتلينا به فى زماننا هذا من الحزبيات الكافرة ، فإذا كان الأب فى حزب من هذه الأحزاب الكافرة كالشيوعية والبعثية واليهودية والنصرانية وأولاده مسلمون فإنهم لا يرثونه ، وكذلك العكس لو كان الولد

أو الأولاد فى حزب من هذه الأحزاب الكافرة والوالدان مسلمان فإنهما لا يرثان من ولدهما الشيوعى أو البعثى أو غير ذلك من الأحزاب الكافرة ، فهى وإن تعددت أسماؤها ملة واحدة ، وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم ، وبعضهم زعم أن المرتد يرثه قرابته المسلمون ، ولا يرث هو من قرابته المسلمين والصحيح الأول.

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر رحمه الله فى كتابه النفيس « التمهيد » (١٦٧/٩) عند شرح هذا الحديث : قال مالك والشافعى : المرتد لا يرث ولا يورث ، فإن قتل على ردته فماله فى بيت مال المسلمين يجرى مجرى الفىء ، وهو قول زيد بن ثابت وربيعة ، والحجة لمن ذهب هذا المذهب ظاهر القرآن فى قطع ولاية الكفار من المؤمنين ، وعمموا قول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يرث المسلم الكافر** » فلم يخص كافراً مستقر الدين أو مرتداً ، وليس يصير ميراثه فى بيت المال من جهة الميراث ، ولكن سلك به سبيل كل مال يرجع على المسلمين لا مستحق له ، وهو فىء لأنه كافر لا عهد له ولا حجة لهم فى قول على – يعنى أنه قتل مرتداً وجعل ميراثه لورثته من المسلمين – لأن زيد بن ثابت يخالفه ، وإذا وجد الخلاف وجب النظر وطلب الحجة . والحجة قائمة لقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يرث المسلم الكافر** » قولاً عاماً مطلقاً ، والمرتد كافر لا محالة – انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

ولا قول لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضاً : والحجة فيما تنازع فيه المسلمون كتاب الله فإن لم يوجد فيه بيان فسنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد ثبت عن النبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « **لا يرث المسلم الكافر** » ، من نقل الأئمة الحفاظ الثقات ، فكل من خالف ذلك فهو محجوج به . والذى عليه سائر الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار مثل مالك والليث والثورى والأوزاعى وأبى حنيفة والشافعى وسائر من تكلم فى الفقه من أهل الحديث : أن المسلم لا يرث الكافر كما أن الكافر لا يرث المسلم اتباعاً لهذا الحديث

وأخذا به وبالله التوفيق . انتهى المراد .

وقال أيضاً ، قال أبو عمر : أما قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم** » فصحيح عنه ثابت ولا مدفع فيه عند أحد من أهل العلم بالنقل اهـ .

أقول : فلا حجة لأحد فى العدول عنه وعدم الأخذ به والحمد لله .

وكما أن الإسلام الحنيف ملة واحدة ، فإنه لا يحل للمسلمين أن يفرقوا هذه الملة إلى ملل شتى ، والله المستعان وعليه التكلان .

□ **الحديث الثامن** : عن على بن أبى طالب رضى الله عنه .

عند أبى داود (ج٣/٥٤٧) والنسائى (ج١/١١٠) و (ج٤/٧٩ ، ٨٠) وهذا لفظ النسائى قال رحمه الله تعالى :

أخبرنا عبيد الله بن سعيد قال : حدثنا يحيى عن سفيان ، قال : حدثنى أبو إسحاق عن ناجية بن كعب عن علىٍّ قال : قلت للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إن عمك الشيخ الضال مات فمن يواريه ؟ قال : « **اذهب فوارِ أباك ولا تُحْدِثَنَّ حدثاً حتى تأتينى** » فواريته ثم جئت فأمرنى فاغتسلت ودعا لى وذكر دعاء لم أحفظه .

ورواه أحمد فى المسند (ج١/٩٧ ، ١٣١) .

ورواه من طريق أخرى إلى علىّ (ج١/١٠٣) ، وفى بعض طرقه : قال أبو إسحاق : سمعت ناجية وفيه قال : إنه مات مشركاً قال : « **اذهب فواره ....** » الحديث وسنده صحيح رجاله رجال الشيخين إلا ناجية بن كعب وحديثه لا ينزل عن رتبة الحسن .

ورواه الحاكم فى المستدرك (ج٢/ ص ٣٤٨) والبيهقى (ج٣/٣٩٨) من سننه.

قال شيخنا حفظه الله تعالى فى كتابه الشفاعة (ص ١٢٨) : وللحديث طريق أخرى يرتقى بها إلى الصحة .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج١ ص ١٠٢) : حدثنا إبراهيم بن أبى العباس حدثنا الحسن بن يزيد الأصم ، قال : سمعت السدى يذكره عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه وذكر الحديث ، وقال عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (ج١ ص ١٢٩) : حدثنا زكرياء بن يحيى زحمويه وثنا إسماعيل أبو معمر وسريج بن يونس قالوا : ثنا الحسن بن يزيد الأصم به .

○ **سند الحديث :**

١ - عبيد الله بن سعيد هو اليشكرى أبو قدامة السرخسى ثقة مأمون سنى ، وفى التهذيب قال أبو حاتم : كان من الثقات ، وقال أبو داود : ثقة ، وقال النسائى : ثقة مأمون ، قلّ من كتبنا عنه مثله . وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : هو الذى أظهر السنة بسرخس ودعا إليها ، وقال ابن عدى : فاضل من أهل السنة ، وقال مسلمة فى الصلة : ثقة مأمون ، وقال ابن عبد البر : أجمعوا على ثقته .

٢ - ويحيى بن سعيد هو القطان تقدم ذكره فى سند الحديث الثانى .

٣ - وسفيان هو ابن سعيد الثورى أبو عبد الله ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة قاله الحافظ فى التقريب .

وقال الخطيب : كان إماما من أئمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين ، مجمعاً على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته مع الإتقان والحفظ والمعرفة والضبط والورع والزهد . قاله فى التهذيب .

وله ترجمة نيرة فى مقدمة كتاب ابن أبى حاتم ، وكذا فى السير للذهبى (ج٧/٢٢٩، ٢٨٠) .

٤ - أبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعى تقدم ذكره فى سند الحديث الخامس .

٥ - وأما ناجية بن كعب فهو الأسدى ثقة، وفى التهذيب : قال العجلى :

ثقة ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال الجوزجانى : مذموم .

أقول : ولا يضره لأن الجوزجانى يحمل كثيراً على الشيعة ، ثم إنه قد تابعه فى رواية هذا الحديث أبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب وهو ثقة ثبت فرواه عن علىٍّ ، والحمد لله .

٦ – وأما علىٌّ فهو ابن أبى طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه وأرضاه ، صهر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وابن عمه ، أبو الحسنين وأبو تراب ومناقبه كثيرة وفضائله جمة ، له ترجمة مطولة فى تاريخ دمشق تناولها بعض الشيعة فلوثها ، نسأل الله أن يقيض لها من ينقيها من تلك الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ومن تلك الحكايات والخرافات ، ويذب مع ذلك عمن تعرض من الصحابة للشتم والتنقص من قبلهم ، وأما علىٌّ رضى الله عنه فحسبه ما صح من فضائله ففيها غنى عما لم يصح ، وقد ألف الإمام النسائى صاحب السنن فى خصائصه كتاباً مفرداً[1] .

فأهل السنة أولى الناس بحب على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وبحب ذريته وأهل بيته حباً شرعياً لا إفراط ولا تفريط ، فبعضهم أفرط فى حبهم وتعظيمهم حتى أفضى بهم ذلك إلى أن وصفوا بعضهم بصفات لا تليق إلا بالله سبحانه وحده ، كما فى عيون المعجزات وكتاب سلونى قبل أن تفقدونى وقد ذكروا أن سبب قول على رضى الله عنه :

لما رأيت الأمر أمراً منكرا أجججت نارى ودعوت قنبرا

---

(١) قال الحاكم (ج٣/١٠٧) : سمعت القاضى أبا الحسن على بن الحسن الجراحى وأبا الحسين محمد بن المظفر الحافظ يقولان : سمعنا محمد بن منصور الطوسى يقول : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما جاء لأحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الفضائل ما جاء لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ،

وقال الحافظ فى الفتح (٧/٧٤) : وقد روينا عن الإمام أحمد قال : ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن على بن أبى طالب .

أن بعضهم كانوا يقولون : أنت هو ، فقال : من هو ؟ فقالوا : أنت الله ، فحرَّقهم وقال قوله ذلك .

والقائلون بهذا هم عبد الله بن سبأ وأتباعه ، قال فى لسان الميزان فى ترجمته : من غلاة الزنادقة ، ضال مضل ، وزعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء ، قال ابن عساكر فى تاريخه : كان أصله من اليمن وكان يهودياً فأظهر الإسلام ، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر . إلى آخره .

وفيه أيضاً قال : حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن زيد بن وهب قال : قال على رضى الله : عنه مالى ولهذا الخبيث الأسود – يعنى عبد الله بن سبأ – كان يقع فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .

وقال أبو إسحاق الفزارى عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبى الزعراء عن زيد بن وهب : أن سويد بن غفلة دخل على علىّ فى إمارته فقال : إنى مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك ، منهم : عبد الله بن سبأ ، وكان عبد الله أول من أظهر ذلك ، فقال علىٌّ : مالى ولهذا الخبيث الأسود ، ثم قال : معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ، ثم أرسل إلى عبد الله بن سبأ فسيره إلى المدائن ، وقال : والله لا يساكننى فى بلدة أبداً ، ثم نهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس . فذكر القصة فى ثنائه عليهما بطوله ، وفى آخره: لا يبلغنى عن أحد يفضلنى عليهما إلا جلدته حد المفترى(١) .

فأهل السنة لا يصل بهم حبهم لأهل البيت إلى هذه الدرجة ولا يقولون كما قال بعضهم :

---

(١) **قلت** : وبعضهم يدعى نبوة على بن أبى طالب ويتهم جبريل عليه السلام بالخيانة ، وبعضهم يدعيها فى جعفر الصادق كما قال هارون بن سعد العجلى رحمه الله :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا ... فكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا إمام ومنهم ... طوائف سمته النبى المطهرا

دخول النار فى حب الوصى وفى تفضيل أولاد النبى
أحب إلىّ من جنات عدن أخلدها بتيم أو عدى

فهذا إفراط وتجاوز للحد ، ولا يقولون أيضاً كما قال بعضهم :

أبرأ إلى الله من عمرو وشيعته ومن علىّ ومن أصحاب صفين
ومن معاوية الطاغى وشيعته لا بارك الله فى القوم الملاعين

وهذا تفريط بل يدلك على أن بعضهم ليس همه الدين ولا معاوية ولا على ، يكون خبيثاً همه زرع الفتنة وتوسيع الخلاف بين المسلمين ، فقد تظاهر العبيدى صاحب مصر بحب أهل البيت ، فلما تمكن ووصل إلى البيت الحرام جعل يطعن الحجر الأسود بدبوس فى يده ويقول : لا محمد ولا علىّ .

ولقد أحسن الأخ عبد العزيز بن يحيى أبو ذر البرعى فى مخاطبته الشيعة ، وبيان ما هم عليه من فساد فى المنهج فى أبيات له ذكرها فى قراع الأسنة فى نفى التطرف والشذوذ عن أهل السنة ، وأنهم يحبون أهل البيت وغيرهم لصلاحهم حبّاً شرعيّاً . فمنها قوله حفظه الله :

والصالحون نحبهم لصلاحهم وخلافهم نبغض وتلك عقيدتى
أما علىّ فإن حبه واجب بل بغضه يا قوم رأس بلية
فيما روى مسلم عن المختار أن البغض من سيما عدة الملة
فالله أسأل من لدنه مثوبة يحظى بها متمسك بالسنة

وإن أردت المزيد من معرفة بعدهم عن أهل البيت وعن محبتهم ، فارجع إلى الفصل فى الملل والنحل لابن حزم رحمه الله تعالى ، وإلى رياض الجنة فى الرد على أعداء السنة ، وإرشاد ذوى الفطن لإبعاد غلاة الروافض من اليمن ، والإلحاد الخمينى فى أرض الحرمين ثلاثتها لشيخنا مقبل بن هادى الوادعى حفظه الله

تعالى . وأحسن من هذه كلها منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

قال الشيخ العلامة السندى رحمه الله تعالى فى تعليقه على حديث عليٍّ عند قوله : « فاغتسلت » مبنى على أنه غسله وأن من يغسل الميت ينبغى له أن يغتسل ، ويحتمل أن يخص ذلك بالكافر لقوله تعالى ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ ، لكن الأحاديث تقتضى العموم نعم ، لو قيل : إن اغتساله من جهة المواراة ، ومواراة الكافر توجب الغسل لنجاسته لكان له وجه ، والله تعالى أعلم اهـ .

وقال الشيخ الألبانى حفظه الله تعالى فى أحكام الجنائز (ص ١٣٤) عند الكلام على هذا الحديث : هذا صريح فى أن أبا طالب مات كافراً مشركاً .

وفى الباب أحاديث كثيرة منها حديث المسيب ابن حزن المتقدم فى المسألة (٦٠) وقد قال الحافظ فى شرحه له : ووقفت على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الأحاديث الواهية الدالة على إسلام أبى طالب ولا يثبت من ذلك شىء وبالله التوفيق .

□ **الحديث التاسع** : عن أبى سعيد الخدرى .

قال الإمام أحمد رحمه الله (ج ٣ / ١٣) : ثنا حسن وعفان قالا : حدثنا حماد بن سلمة عن سعيد الجُريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أهون أهل النار عذاباً رجل فى رجليه نعلان يغلى منهما دماغه ، ومنهم فى النار إلى كعبيه مع إجراء العذاب ، ومنهم من فى النار إلى ركبتيه مع إجراء العذاب ، ومنهم من اغتمر فى النار إلى أرنبته مع إجراء العذاب ، ومنهم من هو فى النار إلى صدره مع إجراء العذاب ، ومنهم من قد اغتمر فى النار** » .

قال عفان : مع إجراء العذاب قد اغتمر . رواه (ص ٧٨) من الجزء نفسه .

ورواه البزار كما فى كشف الأستار (٤ / ١٨٦) قال البزار : لا نعلمه بهذا الإسناد إلا عن حماد ، قال الهيثمى : قلت : فى الصحيح طرف منه ، وقال فى مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٥) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

ورواه الحاكم (ج ٤ / ٥٨١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

فائدة : والجريرى اختلط بآخره قال الحافظ : روى عنه فى الاختلاط يزيد بن هارون وابن المبارك وابن أبى عدى ، وكلما روى عنه مثل هؤلاء الصغار فهو مختلط ، إنما الصحيح عنه حماد بن سلمة والثورى وشعبة وابن علية ، وعبد الأعلى من أصحهم سماعا منه قبل أن يختلط بثمان سنين .

وفى الكواكب النيرات فى معرفة من اختلط من الرواة الثقات : عن أبى داود : كل من أدرك أيوب فسماعه من الجريرى جيد .

أقول : فالحديث صحيح والحمد لله .

○ **سند الحديث** .

حسن هو ابن موسى الأشيب : ثقة .

وعفان هو ابن مسلم الصفار : ثقة ثبت . وقد تقدمت ترجمته فى الكلام على سند الحديث السادس .

وحماد بن سلمة : ثقة عابد أثبت الناس فى ثابت ، وتغير حفظه بآخره . وقد تقدم أيضاً .

والجريرى هو سعيد بن إياس ثقة اختلط قبل موته بثلاث سنين .

وأبو نضرة هو المنذر بن مالك بن قطعة- بضم القاف وفتح المهملة- ثقة

مشهور بكنيته . انتهى ملخصاً من التقريب .

وأما أبو سعيد ، فقد تقدمت ترجمته عند الحديث الرابع .

□ **الحديث العاشر** : عن أبي هريرة .

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى (٢ / ٤٣٢) : ثنا يحيى عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أهون أهل النار عذاباً رجل له نعلان يغلى منهما دماغه** » ورواه (ص ٤٣٩) بلفظ أدنى .

ورواه الدارمى (ج ٢ / ٣٤٠) فقال : أخبرنا أبو عاصم عن ابن عجلان فذكره .

ورواه ابن حبان فى صحيحه كما فى الإحسان (ج ٩ / ٢٧٩) فقال : أخبرنا إسماعيل بن داود بن وردان بمصر ثنا عيسى بن حماد ثنا الليث بن سعد عن ابن عجلان فذكره .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ١٠ / ٣٩٥) : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير يزيد بن خالد بن موهب وهو ثقة .

قلت : وهو يروى عن الليث بن سعد كما فى التهذيب .

ورواه الحاكم فى المستدرك (ج ٤ / ٥٨٠) فقال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا بكار بن قتيبة القاضى حدثنا صفوان بن عيسى القاضى ثنا محمد بن عجلان فذكره .

وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وله شواهد عن عبد الله بن عباس والنعمان بن بشير وأبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بألفاظ مختلفة .

فهذا حديث حسن إن شاء الله .

عجلان مولى فاطمة بنت عتبة قال النسائى : لا بأس به ، وذكره ابن حبان فى الثقات .

أما ولده محمد فصدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبى هريرة ، قاله الحافظ فى التقريب .

وفى التهذيب قال أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائى : ثقة ، وقال ابن عيينة : حدثنا محمد بن عجلان وكان ثقة . وقال أبو زرعة : ابن عجلان من الثقات ، وقال العجلى : مدنى ثقة ، وقال يعقوب بن شيبة : صدوق وسط ، وقال الساجى : هو من أهل الصدق لم يحدث عنه مالك إلا يسيراً ، وقال العقيلى : يضطرب فى حديث نافع .

أقول : وأما ما ذكروه من اختلاطه ففى التهذيب قال : كان داود بن قيس يجلس إلى ابن عجلان يتحفظ عنه ، وكان يقول : إنما اختلطت على ابن عجلان يعنى أحاديث سعيد المقبرى .

وفيه أيضاً: قال يحيى القطان : كان سعيد المقبرى يحدث عن أبى هريرة ، وعن أبيه عن أبى هريرة ، وعن رجل عن أبى هريرة ، فاختلطت عليه فجعلها كلها عن أبى هريرة ، قال الحافظ : ولما ذكر ابن حبان فى كتابه الثقات هذه القصة قال : ليس هذا بوهن يوهن الإنسان به ، لأن الصحيفة كلها فى نفسها صحيحة ، وربما قال ابن عجلان عن سعيد عن أبيه عن أبى هريرة فهذا مما حمل عنه قديماً قبل اختلاط صحيفته ، فلا يجب الاحتجاج إلا بما يروى عنه الثقات .

أقول : وهذا مما روى عنه الثقات ، فقد روى هذا الحديث عنه أربعة من ثقات المسلمين وحفاظهم :

١ - يحيى بن سعيد القطان ، عند أحمد .

٢ - أبو عاصم الضحاك بن مخلد الملقب بالنبيل ، عند الدارمى .

٣ - الليث بن سعد أبو الحارث الفهمى ، عند ابن حبان ، غير أنى لم أجد ترجمة شيخه إسماعيل بن داود .

٤ - صفوان بن عيسى القاضى ، عند الحاكم .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **قل نار جهنم أشد حرّاً** ﴾ عقب ذكر هذا الحديث : وهذا إسناد جيد قوى رجاله على شرط مسلم . والله أعلم . والأحاديث والآثار النبوية فى هذا كثيرة .

□ **الحديث الحادى عشر** : عن جابر بن عبد الله .

قال الحافظ أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى الموصلى رحمه الله تعالى فى مسنده (٤ / ٤١) : حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسماعيل عن مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أبى طالب : هل تنفعه نبوتك ؟ قال : « **نعم أخرجته من غمرة جهنم إلى ضحضاح منها** » ، وسئل عن خديجة لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن ؟ فقال : « **أبصرتها على نهر من أنهار الجنة فى بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب** » .

وسئل عن ورقة بن نوفل قال : « **أبصرته فى بطنان الجنة عليه سندس** » وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال : « **يبعث يوم القيامة أمة وحده بينى وبين عيسى عليهما السلام** » .

ورواه ابن عدى فى الكامل (ج ١ / ٣١٣) فقال : ثنا محمد بن إبراهيم بن ميمون السراج ثنا سريج بن يونس . فذكره مقتصراً على ما يتعلق بأبى طالب ، وكذا رواه البزار كما فى كشف الأستار (٤ / ١٨٦) ونقله عنه ابن كثير فى البداية والنهاية (٣ / ١٢٥) : ثنا عمرو وهو ابن إسماعيل بن مجالد حدثنى أبى عن مجالد كذا عندهما عمرو بالواو وفى التقريب والتهذيب لابن حجر والميزان والكاشف والمغنى للذهبى عمر بضم المهملة وهو

الصواب إن شاء الله . وعمر بن إسماعيل متروك وكذبه ابن معين وقال : ابن عدى : يسرق الحديث .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٩ / ٢٢٣) : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير باختصار ، ورجالهما رجال الصحيح غير مجالد بن سعيد ، وقد وثق وخاصة فى أحاديث جابر .

وقال (ص ٤١٦) من الجزء نفسه بعد ذكر هذا اللفظ : رواه أبو يعلى وفيه مجالد وهذا مما مدح من حديث مجالد وبقية رجاله رجال الصحيح .

أقول : فالحديث ضعيف . إسماعيل بن مجالد صدوق يخطىء ، قاله فى التقريب ، وقال البخارى : هو صدوق ، وقال ابن عدى : وقد حدث عنه يحيى بن معين وقد وثقه ، وهو خير من أبيه مجالد يكتب حديثه .

وأما مجالد فهو ابن سعيد الهمدانى ، قال الذهبى : مشهور صاحب حديث على لين فيه ، وقال البخارى : كان يحيى بن سعيد يضعفه ، وكان ابن مهدى لا يروى عنه ، وقال الحافظ : ليس بالقوى ، وقد تغير فى آخر عمره .

وأما الشعبى فهو عامر بن شراحيل قال فى التقريب : ثقة مشهور فقيه فاضل ، قال مكحول : ما رأيت أفقه منه .

وأما جابر بن عبد الله ، فهو ابن عمرو بن حرام ، صحابى ابن صحابى رضى الله عنهما ، وأحد المكثرين عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وفى التهذيب : وقال زكرياء بن إسحاق : ثنا الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسع عشرة غزوة . وقال جابر : لم أشهد بدراً ولا أحداً ، منعنى أبى ، فلما قتل عبد الله لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى غزوة قط ، رواه مسلم .

□ **الحديث الثانى عشر** : عن أبى هريرة .

رواه الحاكم أيضاً (ج ٢ / ٣٣٥) فقال : حدثنا أبو الفضل الحسن بن يعقوب العدل ثنا يحيى بن أبى طالب ثنا يزيد بن هارون أنبأ سفيان بن حسين عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة أتاه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعنده عبد الله بن أبى أمية وأبو جهل بن هشام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أى عم إنك أعظمهم علىّ حقّاً وأحسنهم عندى يداً ولأنت أعظم حقّاً علىّ من والدى فقل كلمة تجب لك علىّ بها الشفاعة يوم القيامة . قل : لا إلـه إلا الله** » فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فسكت ، فأعادها عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فقال : أنا على ملة عبد المطلب فمات ، فقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك** » فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** .... ﴾ الآية : ﴿ **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه** .... ﴾ إلى آخر الآية .

ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، فإن يونس وعقيلاً أرسلاه عن الزهرى عن سعيد ، قال الذهبى فى التلخيص : صحيح أرسله يونس وعقيل .

قلت : كأنه يشير إلى تضعيف الموصول .

قال شيخنا حفظه الله فى تعليقه على المستدرك عند قول الحاكم صحيح : لا ، ليس بصحيح لأن سفيان بن حسين ضعيف فى الزهرى جداً كما فى الميزان ، فكيف يكون صحيحاً وقد أرسله من هو أوثق منه ؟

قلت : فعلى هذا تكون رواية سفيان بن حسين لهذا الحديث منكرة ، والمنكر لغة ضد المعروف ، واصطلاحاً : مخالفة الضعيف للمقبول ، ثم إنى لا أحتج به ولكن أذكره فائدة للقارىء .

□ **الحديث الثالث عشر** : عن جابر .

رواه الحاكم فى مستدركه (ج ٢ / ٣٣٥) فقال : حدثنا أبو على الحسين بن على الحافظ أنبأ الفضل بن محمد الجندى بمكة ثنا أبو حمة اليمانى ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن جابر رضى الله عنه قال : لما مات أبو طالب قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **رحمك الله وغفر لك يا عم ، ولا أزال أستغفر لك حتى ينهانى الله عز وجل** » ، فأخذ المسلمون يستغفرون لموتاهم الذين ماتوا وهم مشركون ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ ثم قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وقال: لنا أبو علىّ على إثره : لا أعلم أحداً وصل هذا الحديث عن سفيان غير أبى حمة اليمانى وهو ثقة ، وقد أرسله أصحاب ابن عيينة .

قلت : فعلى هذا يكون رفع الحديث شاذّاً لأن الشاذ فى اللغة : المنفرد ، وفى الاصطلاح : مخالفة المقبول لمن هو أولى منه بالقبول ، وقد تقدم التنبيه أننى لا أحتج بمثل هذا .

❋ ❋ ❋

□ الباب الثالث □

وهو مناقشات لما فى أسنى المطالب وهى كذلك أيضاً لكل من قال بإسلام أبى طالب ، وفى خضم ذلك خمسة فصول :

الفصل الأول : بيان حجج القائلين بنجاة الأبوين والعم وأنها ضعيفة .

الفصل الثانى : بيان ضعف مروياتهم وما يحتجون به فى نجاة عبد المطلب .

الفصل الثالث : فى اختلاط أمر الشرك بالتوحيد عند المبتدعة .

الفصل الرابع : فى بدعة تقسيم الدين إلى أصول وفروع أو لباب وقشور .

الفصل الخامس : فى أن بيان هذه المسألة ليس من باب السب والأذية لأحد .

❋ ❋ ❋

وأخيراً فهذه مناقشات لما فى أسنى المطالب ومؤاخذات ، وبيان لما فى كلامه وما نقله عن غيره من مخالفة لأدلة الكتاب والسنة ، وما فيه– أيضاً– من تعمية ومغالطة . وهى مرتبة على النحو التالى :

١ – على أولى صفحات أسنى المطالب أربع أبيات من شعر أبى طالب :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم   حتى أوسد فى التراب دفينا

ولم يذكر قوله :

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

وزعم فى موضع آخر أنها مزيدة من بعضهم ، هب سلمنا أنها مزيدة من بعضهم فما نقول فى قوله :

فوالله لولا أن أجىء بسبة   تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا تبعناه على كل حالة   من الدهر جداً غير قول التهازل

فهل هى مدرجة فى قصيدته ؟ وأيضاً ماذا نقول فى قوله الذى ثبت فى الصحيحين وغيرهما حين قال آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب .

وقوله كما فى حديث أبى هريرة عند مسلم وغيره ، وذلك لما قال له النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ياعم قل : لا إلـه إلا الله أشهد لك بها عند الله** » قال: لولا أن تعيرنى قريش يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك، فهل نقول: إن هذا كله مدرج وأن القول ما قلتموه وزعمتموه؟.

فالصحيح هنا هو ما ثبت عنه فى كتب الصحاح ، وإنما المدرج والمزيد هو قولكم ، وزعمكم أنه مات على الإسلام فلا حاجة لنا به ، فقد أغنانا الله

عنه بكتابه وبسنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

والمراد من إيراد الأبيات اللاتى فى أوائل الكتاب هو أنه أشار عقبها بقوله (ع) وهى عبارة– عند الشيعة– عن قولهم : عليه السلام ، ولو ثبت إسلام أبى طالب فإن تخصيص أهل البيت من بين الصحابة بقولهم : عليه السلام ، ليس لهم عليه دليل .

وهل ترى نفسك يا هذا أرحم بأبى طالب من خالقه سبحانه وتعالى ، وأرحم به وأشد محبة له من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ فلا تستهوينكم الأهواء فتحملكم على مخالفة الكتاب والسنة أو تظنون أن أهل السنة يكرهون ذلك لو كان ؟ لا والله وما هو إلا كما قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : ولولا ما نهانا الله عنه من الاستغفار للمشركين لاستغفرنا لأبى طالب وترحمنا عليه .

فالمسألة ليست على هوى الإنسان إنه دين وأدلة شرعية فلا بد من الإذعان والانقياد لها ، وأبو طالب وإن كان المؤمن يتألم لما صار إليه لا لأنه أبو طالب وانما لمناصرته النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقربه منه ، فاقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يكون كذلك . ثم إن أبا طالب ليس بدعاً من الهالكين فكم أهلك الله من الأمم ؟ فما هو إلا واحد فى تلك الأعداد الهائلة التى لا يحصيها إلا خالقها سبحانه وتعالى .

ثم إنه قد خفف عنه بسبب شفاعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بخلاف غيره من الكفار والمشركين الذين قال الله فى شأنهم : ﴿ **لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها** ﴾ وقال : ﴿ **لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون** ﴾ إلى غير ذلك .

ذكر الشيخ العلامة الكاندهلوى– رحمه الله– فى تعليقه على بذل المجهود عند

قول الشارح : وقد صنف السيوطى الرسائل الثلاثة فى نجاة والديه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : وفى وشى الديباج صنفت سبع رسائل فى ذلك .

أقول : مع هذا كله يُسْكِتُون من أراد أن يبين الحق فى ذلك ، ويَلْمِزُونه بأنه يسب الأموات ، أو بأنه يبغض قرابة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولكن نقول : هذا اللمز أهون علينا من أن نسكت عن التلبيسات والتضليلات والبدع والخرافات وتصحيح الأحاديث الواهيات والتضعيف والتشكيك فى الصحيح من الروايات التى نقلها إلينا الثقات الأثبات ، ثم الله أعلم بمن يريد الشين لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويكذب عليه وعلى آل بيته والذين يحبونهم حبّاً شرعيّاً ، والذين يقولون الحق ولا يكذبون لا لهم ولا عليهم ، فالكذب عليهم كبيرة من الكبائر ، والكذب لهم أكبر من ذلك إذ هى فى حقيقة الأمر استدراك لشىء لم يأت به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأتى به هؤلاء ، كأن الدين ناقص فى نظرهم حتى جاء فلان ببدعته فكمل بها ما نقص ، وهذا اعتداء على شرع الله القائل : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ .

فما هو إلّا ذب عن دين الله ومحاولة فى سد باب الذرائع من التجرؤ على تفسير آياته وتأويل أحاديثه على ما يوافق الهوى .

ثم أنا لا أتهم كل من صحح أحاديث أو ألف شيئاً فى هذه المسألة بالتلبيس لكن أقول : بعضهم قد يكون عمل على اجتهاد ولم يكن عن بدعة ، فالمجتهد قد يخطىء وقد يصيب ، ومتى نعرف أنه قد أصاب أو أخطأ ؟ نعرف ذلك عند أن نستوعب الأدلة من جميع جهاتها ثم نعرضها على قواعد علوم الحديث ، لننظر الذى صح من الذى لم يصح ، فنأخذ الصحيح وننظر هل بينه تعارض ؟ فإن كان هناك تعارض لجأنا إلى الجمع بين ما صح من الروايات . وأما الضعيف فيترك جانباً ، وهكذا . وما وقع المبتدعة فيما وقعوا فيه من مخالفة لكثير

من أدلة الكتاب والسنة إلا حينما أعرضوا عن هذا المنهج فيأتون بحديث ضعيف بل موضوع- أى لم يقله النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من الأحاديث التى توافق أهواءهم ، فيجعلونه فى رتبة ذلك الذى فى الصحيحين بل أرفع ، ويقدحون فى رواية الصحيحين بالأوهام والشكوك والاحتمالات .

ويستدلون بمراسيل ومقاطيع ومعاضيل ويأولونها على غير مرادها ، ولا يدركون خطر ذلك على الدين بعامة وعلى الأحاديث الصحيحة بخاصة ، ومع هذا كله فهم يلمزون أهل الحديث وطلبة العلم قديماً بأنهم لا يفهمون ، وحديثاً بقولهم : ليس هذا وقت حديث صحيح وضعيف ، لا قاموا بواجب هذا العلم ولا سكتوا عمن أراد أن يقوم به، بل بعضهم يقول: ليس هذا وقت سنة وبدعة.

إذن فوقت ماذا هذا الوقت ؟ أهو وقت : نافق توافق ؟ أو وقت : إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب ؟ أم هو وقت : الدجل والتلبيس والتعمية والتضليل ؟ أم وقت : سهرات وسمرات فيما لا يعود على الإسلام بشىء يجد ؟ . فيخشى على من أضاع الليالى فى سهرات على غير حفظ القرآن وأحاديث النبى عليه الصلاة والسلام ، بل ذهبت عليه فى ألاعيب وأهازيج وتمثيليات وغير ذلك من الملهيات ، يخشى عليهم من قوله تبارك وتعالى: ﴿**بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون . حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون . لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون . قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون . مستكبرين به سامراً تهجرون**﴾ .

فنسأل الله السلامة مما يورث الندامة .

فلو صرف هذا السهر وذلك السمر لحفظ القرآن وحفظ السنة وذب البدع والأهواء عن هذا الدين ، بل لو صرف جهد المبتدعة أنفسهم وأصحاب الأهواء إلى ذلك ، ولم يتعبوا أنفسهم ولا غيرهم لكان حسناً ، ونكتفى جميعاً

بكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ونعمل فى إطار واحد عملاً مؤيداً بالدليل من الكتاب والسنة ، غايته إرضاء الله عز وجل وإعزاز دينه وشرائعه حتى لا تتبدد الجهود ، فنقول للمبتدعة : اتقوا الله ولا تشغلوا إخوانكم أهل السنة بالردود عليكم ، بل أقصروا أنتم عن الأهواء حتى يتفرغوا لمقارعة أعداء الإسلام من شيوعيين وغيرهم[1] ، وكذا أصحاب الأهواء والعاذلون لأهل السنة نقول لهم : إن كنتم لا تريدون أهل السنة أن يتكلموا فيكم فلا تحملوهم أنتم على ذلك بركوب البدع والأهواء ، لأن صاحب الحق لا بد أن يبين ما عليه الناس من بعد عن الدين ومن مخالفات له ، فليتق الله كل امرىء فى نفسه ، ولينظر ماذا يقف به غداً بين يدى ربه ، فوالله إنها لخسارة أن يأتى الإنسان فى ذلك اليوم بتلبيسات وبدع وخرافات كان يعيش بها فى هذه الحياة الدنيا ، وكانت تجد هذه البضاعة رواجاً ، ولكن كسدت هناك بين يدى اللطيف الخبير الناقد البصير الذى لا يرضى من الدين إلا ما شرع ويرد كل ما خالف ذلك سواء عن قصد ، أو غير قصد كما قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » ، فيشمل هذا اللفظ أعمال القلوب فمن اعتقد غير ما يعتقده رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو رد ، وكذا أعمال الجوارح .

ورحم الله ابن دقيق العيد فقد قال كلمة تهز الإنسان هزاً ، ألا وهى مقالته المشهورة : ما قلت قولاً ولا عملت عملاً إلا أعددت لذلك جواباً بين يدى الله تعالى .

---

(١) فأهل السنة بحمد الله كما قيل :

قوم إذا أخذوا الأقلام فى غضب ... ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وإن بعدوا ... ما لم ينالوا بحد المشرفيات

فهل أعد كل قائل جواباً لماذا قال هذا القول ؟ وهل أعد كل عامل جواباً على ذلك العمل ؟ هل قال ذلك القول وعمل ذلك العمل لله ، ولنصرة دينه ، والذب عن سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ أو هو مداهنة لبعض الناس وتعمية على آخرين ؟ أو هو خوف وخور من أن يصدع بالحق ويبين الباطل ؟ ففى أسنى المطالب (ص ٨٢ - ٨٣) سؤال حول هذه المسألة وفى آخره : فإن القائلين بنجاته أهل شوكة وشكيمة فى هذا البلد .

أقول : وإن كانوا أهل شوكة وشكيمة فهل يسقط عنا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بسبب كونهم كذلك ؟ وهل يحملنا كونهم أهل شوكة وشكيمة على السكوت على التلبيس ؟ فإنكم لم تكتفوا بالسكوت فحسب ؛ بل تعديتم الحد فى ذلك ؛ فضعفتم الأحاديث الصحيحة ، وقويتم الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

والخلاصة فى هذا : أن المجتهد المخطىء لا يجوز لنا أن نتابعه على خطئه ، وخاصة بعد ظهور الدليل ومعرفته ، وإن كان مبتدعاً فالحرمة فى اتباعه أشد .

٢ - قول أحمد بن زينى دحلان (ص ٣) من أسنى المطالب : قد وقفت على تأليف جليل للعلامة النبيل - يعنى البرزنجى - فى نجاة أبوى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وذيله فى آخره بخاتمة فى نجاة أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأثبت نجاته ، وأقام أدلة على ذلك وبراهين من الكتاب والسنة وأقوال العلماء يحصل لمن تأملها أنه ناج بيقين .

أقول : وهذا التأليف الذى وقف عليه دحلان يشتمل على مخالفات لكثير من أدلة الكتاب والسنة ، فقد ثبت فى الصحيح من حديث أنس بن مالك ما يرد على هذا التأليف فى شأن أبى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن حديث أبى هريرة وبريدة فى شأن والدته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وما ذكرناه قبل فى شأن أبى طالب .

قال مسلم رحمه الله تعالى (ج ٣ / ٧٩) بشرح النووى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : أن رجلاً قال : يا رسول الله أين أبى ؟ قال : « **فى النار** » ، **فلما قفى دعاه** فقال : « **إن أبى وأباك فى النار** » .

ورواه أبو داود (ج ١٨ ص ٢٥١ ، ٢٥٢) من بذل المجهود : فقال : حدثنا موسى بن إسماعيل نا حماد عن ثابت به فذكره . ورواه أحمد فى المسند (ج ٣ / ١١٩) .

وقال مسلم أيضاً (٧/ ٤٥ / ٤٦) بشرح النووى : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب قالا : حدثنا محمد بن عبيد عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : زار النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ، فقال : « **استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى ، واستأذنته فى أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فإنها تذكر الموت** » .

ورواه أبو داود (ج ١٤ / ٢٠٢) بذل المجهود .
والنسائى (ج ٤ / ٩٠) .
وابن ماجه (ج ١ / ٥٠١) .
والحاكم فى المستدرك (ج ١ / ٣٧٥) كلهم من طريق يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة ، وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه .

وهذا من أوهامه رحمه الله تعالى ، فقد أخرجه مسلم كما رأيت .

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى (ج ٥ ص ٣٥٥) من المسند : حدثنا حسن بن موسى وأحمد بن عبد الملك قالا : حدثنا زهير ، قال أحمد بن عبدالملك فى حديثه : حدثنا زبيد بن الحارث اليامى عن محارب بن دثار عن ابن بريدة

عن أبيه قال : كنا مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فنزل ونحن معه قريب من ألف راكب فصلى ركعتين ، ثم أقبل علينا بوجهه وعيناه تذرفان ، فقام إليه عمر بن الخطاب ففداه بالأب والأم يقول : يا رسول الله ما لك ؟ قال : « **إنى سألت ربى عز وجل فى الاستغفار لأمى فلم يأذن لى فدمعت عيناى رحمة لها من النار ، وإنى كنت نهيتكم عن ثلاث : عن زيارة القبور فزوروها لتذكركم زيارتها خيراً ، ونهيتكم عن لحوم الأضاحى بعد ثلاث فكلوا وأمسكوا ما شئتم ، ونهيتكم عن الأشربة فى الأوعية فاشربوا فى أى وعاء شئتم ولا تشربوا مسكراً** » .

وهذا إسناد صحيح رجاله رجال الصحيح ، زهير هو ابن معاوية الجعفى وابن بريدة هو عبد الله ، وجاء من حديث أخيه سليمان .

ورواه أحمد أيضاً (ج ٥ / ٣٥٦ ، ٣٥٧) فقال : حدثنا حسين بن محمد حدثنا أيوب بن جابر عن سماك عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن بريدة عن أبيه قال : خرجنا مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى إذا كنا بودان ، قال : « **مكانكم حتى آتيكم** » فانطلق ثم جاءنا وهو سقيم فقال : « **إنى أتيت قبر أم محمد فسألت ربى الشفاعة فمنعنيها ، وإنى كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ونهيتكم عن هذه الأشربة فى هذه الأوعية فاشربوا فيما بدا لكم** » .

وهذا سند ضعيف لضعف أيوب بن جابر لكن المتن صحيح كما تقدم ، ورواه البيهقى فى سننه (ج ٤ / ٧٦) وقال : رواه مسلم فى الصحيح عن يحيى بن يحيى عن زهير دون قصة أمه ، قلت : وهكذا رواه أبو داود (ج ١٤ / ٣٣) من بذل المجهود ، والنسائى (ج ٧ ص ٢٣٤) و (ج ٤ / ٨٩) ، ورواه الحاكم (ج ٣٧٦/١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

قال النووى رحمه الله تعالى (ج ٣ / ٧٩) فى شرح حديث أنس :

باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين . وفيه أن مات على الكفر فهو فى النار ولا تنفعه قرابة المقربين ، وفيه أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار وليس هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم . وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن أبى وأباك فى النار** » هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك فى المصيبة .

ومعنى قوله : قفّى : أى ولى قفاه منصرفاً .

وفى بذل المجهود (ج١٤ / ٢٠٢ ، ٢٠٣) فى شرح حديث أبى هريرة قال : قال النووى قوله : « **استأذنت ربى ....** » إلخ فيه جواز زيارة المشركين فى الحياة وقبورهم بعد الوفاة ؛ لأنه إذا جازت زيارتهم بعد الوفاة ففى الحياة أولى ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **وصاحبهما فى الدنيا معروفاً** ﴾ وفيه النهى عن الاستغفار للكفار . انتهى .

وقد بالغ السيوطى فى إثبات إيمان أبوى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قال القارى : ثم إن الجمهور على أن والديه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ماتا كافرين ، وهذا الحديث أصح ما روى .

وأما قول ابن حجر وحديث إحيائهما حتى آمنا به ثم توفيا ، حديث صحيح ، وممن صححه الإمام القرطبى والحافظ ابن ناصر الدين فعلى تقدير صحته لا يصلح أن يكون معارضاً لحديث مسلم ، مع أن الحفاظ طعنوا فيه ومنعوا جوازه لأن إيمان اليأس غير مقبول إجماعاً ، كما يدل عليه الكتاب والسنة ، وبأن الايمان المطلوب من المكلف إنما هو الإيمان الغيبى ، وقد قال تعالى : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** ﴾ وهذا الحديث الصحيح صريح أيضاً فى رد ما تشبث به بعضهم بأنهما كانا من أهل الفترة ولا عذاب عليهم مع اختلاف فى المسألة ، وقد صنف السيوطى الرسائل الثلاث فى نجاة والديه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قلت : وفى التعليق على الشرح المذكور أنه صنفت فى ذلك سبع رسائل .

أقول : ولو لم يرد فى الباب سوى حديث واحد لكان كافياً فى ثبوت الحكم ، فكيف وقد وردت أدلة كثيرة ، ثم إن أدلة القائلين بإسلام الأبوين وكذا من قال بإسلام أبى طالب واهية لا تثبت ، فهى ما بين مرسل ومعضل وضعيف وموضوع ، أو اجتهادات لبعضهم وتعمية وتلبيسات لآخرين ، لكن القائلين بعدم نجاتهم عندهم أدلة متكاثرة من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، لا يجوز لمن تأملها أن يعرض عنها إلى غيرها مما لم يصح ، فضلاً عن معارضتها بمثل تلك الروايات ، كما تقدم بيان ذلك فى مواضعه ، وما سأذكره لك من حججهم التى يحتجون بها .

وأما قوله : وأقام على ذلك أدلة وبراهين من الكتاب والسنة . فقد عرفت فيما تقدم من أدلتهم التى يأتون بها ، ويريدون من وراء ذلك إغراء الناس بأن هذه أدلة من الكتاب والسنة ، وقد رأيت أن الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة فى وادٍ وهم فى وادٍ .

***

□ الفصـل الأول □

○ فيما يحتجون فى نجاة الأبوين والعم وأنها ضعيفة ○

□ **حديث إحيائهما** ، رواه الخطيب وغيره .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى (ج ٢ / ٢٦١) من البداية : وأما الحديث الذى ذكره السهيلى ، وذكر أن فى إسناده مجهولين إلى ابن أبى الزناد عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما وآمنا به . فإنه حديث منكر جدّاً ، وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى ، لكن الذى ثبت فى الصحيح يعارضه والله أعلم . انتهى .

وقال ابن ناصر الدين :

حبا الله النبى مزيد فضل على فضل وكان به رؤفا
فأحيا أمه وكذا أباه لإيمان به فضلاً لطيفاً
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفاً

وقال السيوطى فى أبيات له :

وجماعة ذهبوا إلى إحيائه أبويه حتى آمنا لا خوف
وروى ابن شاهين حديثاً مسنداً فى ذاك لكن الحديث مضعف

وقال صاحب التاج الجامع للأصول (ج ١/٣٨٢) : بل قد ورد وصح

عند أرباب الكشف ، أن الله تعالى أحيا أبوى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد رسالته ، فآمنا به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فلهذا كانا من أهل الجنة قطعاً ، قال بعضهم :

أيقنت أن أبا النبى وأمه أحياهما الرب الكريم البارى
حتى شهدا له بصدق رسالة صدّق فتلك كرامة المختار
هذا الحديث ومن يقل بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عارى

ثم قال : ولا بعد ولا غرابة ، ففضل الله واسع وإكرامه لحبيبه أجلّ وأوسع والله أعلم . انتهى المراد من كلامه .

ونحن نقول : لو ثبت الحديث فعلى أعيننا ورؤوسنا ، ولكن الحديث ضعيف ، لم يصح عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فأخذنا بما صح وتركنا ما لم يصح . والله الموفق .

فيقال لهم : ثبت عرشك ثم انقش ، ثم لماذا ترد أحاديث الصحيحين وغيرهما بمثل هذه الروايات الواهية .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره (٢ / ٣٩٤) بعد أن ذكره حديثاً وقال فيه : وهذا حديث غريب وسياق عجيب ، وأغرب منه وأشد نكارة ما رواه الخطيب البغدادى فى كتاب السابق واللاحق بسند مجهول عن عائشة فى حديث فيه قصة أن الله أحيا أمه فآمنت ثم عادت .

وكذلك ما رواه السهيلى فى الروض بسند فيه جماعة مجهولون : أن الله أحيا له أباه وأمه فآمنا به .

وقد قال الحافظ ابن دحية فى هذا الاستدلال بما حاصله : أن هذه حياة جديدة كما رجعت الشمس بعد غيبوبتها فصلى علىٌّ العصر .

قال الطحاوى : وهو حديث ثابت يعنى حديث الشمس .

قال القرطبى : فليس إحياؤهما يمتنع عقلاً ولا شرعاً، قال: وقد سمعت أن الله أحيا عمه أبا طالب فآمن به .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : قلت : وهذا كله متوقف على صحة الحديث فإذا صح فلا مانع منه . والله أعلم .

وقال أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتابه الموضوعات (٢٨٣/١) : أنبأنا يحيى بن على المدبر ، قال : أنبأنا أبو بكر أحمد بن على بن ثابت ، قال : أنبأنا القاضى أبو العلاء الواسطى ، قال : حدثنا الحسين بن على بن محمد الحنفى قال : حدثنا أبو طالب عمر بن الربيع الزاهد ، قال : حدثنى عمر بن أيوب الكعبى ، قال : حدثنى مالك بن أنس عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : حج بنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حجة الوداع ، فمر بى على عقبة الحجون وهو باكٍ حزين مغتم ، فبكيت لبكاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم إنه نزل فقال : « **يا حميراء استمسكى** » فاستندت إلى البعير فمكث عنى طويلاً ، ثم إنه عاد إلىّ وهو فرح مبتسم فقلت له : بأبى أنت وأمى يا رسول نزلت من عندى وأنت حزين مغتم فبكيت لبكائك ، ثم إنك عدت إلىّ وأنت فرح مبتسم فعم ذا يا رسول الله ؟ فقال : « **ذهبت لقبر أمى آمنة فسألت الله أن يحييها فأحياها ، فآمنت بى وردها الله عز وجل** » .

ثم قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى : هذا حديث موضوع بلا شك والذى وضعه قليل الفهم عديم العلم ، إذ لو كان له علم لعلم أن من مات كافراً لا ينفعه أن يؤمن بعد الرجعة ، لا ؛ بل لو آمن عند المعاينة لم ينتفع ويكفى رد هذا الحديث قوله تعالى : ﴿ **فيمت وهو كافر** ﴾ .

وقوله فى الصحيح : « **استأذنت ربى فى أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى** » ومحمد بن زياد هو النقاش وليس بثقة ، وأحمد بن يحيى ومحمد بن يحيى

مجهولان ، وقد كان أقوام يضعون أحاديث ويدسونها فى كتب المغفلين فيرويها أولئك ، قال شيخنا أبو الفضل بن ناصر : هذا حديث موضوع وأم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة ودفنت هناك وليست بالحجون . انتهى كلامه رحمه الله .

وقال الزركشى فى التذكرة (ص ١٧٤ / ١٧٥) : أخرجه بعضهم بإسناد ضعيف وليس هو فى شيء من الكتب الستة .

وقال ملا على القارى فى كتابه الأسرار المرفوعة فى الأخبار الموضوعة (ص ٨٣) حديث (١٦) بعد ذكر حديث إحياء أبوى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : موضوع كما قال ابن دحية ، وقد وضعت فى هذه المسألة رسالة مستقلة .

وقال الشوكانى رحمه الله تعالى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة (ص ٣٢٢) حديث : « **ذهبت لقبر أمى فسألت الله أن يحييها فأحياها فآمنت بى وردها الله تعالى** » :

رواه الخطيب عن عائشة مرفوعاً ، ورواه ابن شاهين عنها ، قال ابن ناصر : هو موضوع وفى إسناده : محمد بن زياد النقاش ليس بثقة ، وأحمد بن يحيى الحضرمى ومحمد بن يحيى الزهرى مجهولان .

قال ابن حجر فى اللسان : أما محمد بن يحيى فليس بمجهول بل معروف ، وقال فى الميزان فى ترجمة أحمد بن يحيى الحضرمى : روى عن حرملة التجيبى ولينه ابن يونس ، وأما النقاش : فقال الذهبى : صار شيخ المقرئين فى عصره على ضعف فيه .

وقد أطال فى اللآلىء الكلام على هذا الحديث ، وقال : الصواب الحكم عليه بالضعف لا بالوضع ، قال : وقد ألفت فى ذلك جزءاً . انتهى .

وقال العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمى معقباً على هذا الكلام : كثيراً

ما تجمح المحبة ببعض الناس فيتخطى الحجة ويحاربها ، ومن وفق علم أن ذلك مناف للمحبة المشروعة . والله المستعان .

والنقّاش : كذاب وضّاع راجع كلام الذهبى فى ذلك فى ترجمة محمد بن مسعر من الميزان ، وكذلك محمد بن يحيى الزهرى ترجمته فى لسان الميزان (٥ / ٤٢٠) رقم (١٣٨٠) وراجع اللسان (٤ / ٩١) رقم (١٧١) و (٤ / ١٩٢) رقم (٥١٠) و(٥ / ٣٩٨) رقم (١٢٩٥) اهـ .

قال الشوكانى : وفى بعض ألفاظ الحديث : أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما فآمنا به ثم أماتهما .

وقد أخرج أحمد من حديث أبى رزين العقيلى قال : قلت : يا رسول الله ! أين أمك ؟ قال : « **أمى مع أمك فى النار** » قال : فأين من مضى من أهلك ؟ قال : « **أما ترضى أن تكون أمك مع أمى** » .

قلت : رواه أحمد وهو ضعيف ؛ لأنه من طريق وكيع بن حَدَس وهو مقبول - يعنى إن توبع وإلا فلين - وكذا ما جاء معناه من حديث ابن مسعود وفيه : عثمان بن عمير أبو اليقظان : متروك ، قال : جاء ابنا مليكة إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالا : إن أمنا كانت تكرم الزوج وتعطف على الولد ، قال : وذكر الضيف غير أنها كانت وأدت فى الجاهلية ، قال : « **أمكما فى النار** » فأدبرا والشر يرى فى وجوههما ، فأمر بهما فرجعا والسرور يُرى فى وجوههما رجيا أن يكون قد حدث شىء ، فقال : « **أمى مع أمكما** » فقال رجل من المنافقين : وما يغنى هذا عن أمه شيئاً ونحن نطأ عقبيه ؟ فقال رجل من الأنصار ولم أر رجلاً قط أكثر سؤالاً منه : يا رسول الله هل وعدك ربك فيها أو فيهما ؟ قال : فظن أنه من شىء قد سمعه منه ، فقال : « **ما سألته ربى وما أطمعنى فيه** » الحديث .

رواه أحمد (١/ ١٩٨ -١٩٩) والبزار كما فى كشف الأستار (١٧٥/٤)

من طريق محمد بن الفضل ثنا سعيد بن زيد ثنا على بن الحكم عن عثمان بن عمير عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله فذكر الحديث . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ١٠ / ٣٦٢) : رواه أحمد والبزار والطبرانى ، وفى أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير وهو ضعيف .

قلت : بل هو أضعف من ضعيف .

قال الحافظ فى التهذيب : قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قال أبى : عثمان بن عمير أبو اليقظان ويقال : عثمان بن قيس : ضعيف الحديث ، كان ابن مهدى ترك حديثه ، وقال أبى : خرج فى الفتنة مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، قال عمرو بن على : لم يرض يحيى ولا عبد الرحمن أبا اليقظان ، وقال الدورى عن ابن معين : ليس حديثه بشىء ، وقال ابن أبى حاتم : ثنا أبى : سألت محمد بن عبد الله بن نمير عن عثمان بن عمير؟ فضعفه. قال: وسألت أبى عنه فقال : ضعيف الحديث منكر الحديث ، كان شعبة لا يرضاه ، وذكر أنه حضره فروى عن شيخ فقال له شعبة : كم سنك ؟ فقال : كذا وكذا ، فإذاً قد مات الشيخ وهو ابن سنتين .

وقال إبراهيم بن عرعرة عن أبى أحمد الزبيرى : كان الحارث بن حصين وأبو اليقظان يؤمنان بالرجعة ، ويقال : كان يغلو فى التشيع . وقال البخارى : منكر الحديث ، ولم يسمع من أنس .

وقال ابن عبد البر : كلهم ضعفه . وقال ابن عدى : ردىء المذهب غال فى التشيع يؤمن بالرجعة ، ويكتب حديثه مع ضعفه ، وقال ابن حبان : اختلط حتى كان لا يدرى ما يقول ، لا يجوز الاحتجاج به .

وقال السيوطى بعد ذكره الحديث فى الحاوى (٢ / ٢٣٠) ، وفى اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة (ج ١ / ٢٦٦) : وهذا الحديث ضعيف باتفاق الحفاظ بل قيل: إنه موضوع ، لكن الصواب ضعفه .

وأورده السهيلى فى روضه بسند فيه مجهولون .

أقول : فالسيوطى رحمه الله تعالى عالم بقواعد المصطلح ، ولكن عند التحقيق والتمحيص حاطب ليل ، يجمع فى حزمته الحية والعقرب ، وهذا لا يمنع أن نستفيد من علومه ، فنحن نستفيد من كتبه فى المصطلح وفى النحو ، ولكن الحق أحق أن يتبع .

ولا نغتر بقول السيوطى رحمه الله أنه أُعطى الفقه واللغة والحديث و .... و .... إلخ .

لو كان التقليد جائزاً لقلدنا من هو أكثر منه فقهاً وحديثاً ولغة وأعظم جلالة وقدراً : على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس رضى الله عنهما . لَكِنَّا تركنا تقليد العلماء واتباعهم فى القول بهذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، لما صح عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ، وهو المعصوم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويدرى ما يقول ، وكيف يستدل ؛ لأن السيوطى رحمه الله قال : وأنا أدرى ما أقول وكيف أستدل ، وهذا وإن كان كما قيل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره   إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرفع وأجل من أن يقرن بأحد من أفراد أمته بأبى هو وأمى ولكن لعل من غط[1] فى التقليد يستيقظ وينتبه وينظر وراءَ مَنْ هُوَ يمشى ، فالأحاديث التى فيها أن آباءه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ناجين ، وأنه شفع فى أناس منهم ، ولا يبدأ فى شفاعته إلا بهم ، وأن الله حرم عليهم النار ... إلى غير ذلك ؛ جُلُّها من وضع الرافضة الغلاة فى الرفض كما سيأتى بيانها إن شاء الله تعالى .

---

(١) أى نام .

ومما يثير العجب أن يجعل هذا الحديث الضعيف الشديد الضعف ناسخاً لكثير من الأحاديث الصحيحة فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنة المعتمدة ، ومتى كان الحديث الضعيف ينسخ الحديث الصحيح ؟ فلا بد فى النسخ من تكافىء الحديثين فى الصحة .

فالمسألة مسألة دين وعقيدة وجنة ونار ، وليست مسألة تقليد واتباع هوى أو حسن ظن ، ولو لم يرد إلا هذه الروايات لم نقل بها لشدة ضعفها ، فكيف وقد وردت أدلة متكاثرة من آيات قرآنية وأحاديث نبوية صحيحة ، ثم يعرض عنها أناس ، ويعارضها ويقدح فيها آخرون ، ويسكت عنها أناس ، ويحرفها آخرون ، فكيف نسكت ، ثم إنى ذكرت ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونفيت عنه ما لم يصح فى هذا وهو من الأدب معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فليس من الأدب معه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن ترد أحاديثه وتقدم أحاديث غيره مما وضعته الرافضة وغيرها ، يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم** ﴾ .

○ التوبة والإيمان بعد الموت ○

قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم . يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ .

وقال : ﴿ **والله لا يهدى القوم الكافرين** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً . إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً . إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً** ﴾ .

وقال فى الآية الأخرى : ﴿ ..... **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً** ﴾ .

وفى الصحيح من حديث أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **يقول الله لأهون أهل النار عذاباً : لو أن لك ما فى الأرض من شئ أكنت تفتدى به ؟ قال : نعم ، قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا ، وأنت فى صلب آدم : أن لا تشرك بى ، فأبيت إلا الشرك** » .

رواه البخارى (ج٦/٣٦٣) ، ومسلم (١٧/١٤٧) .

فهذه أدلة من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تبين أحوال الكافرين فى الآخرة ، وأن الله لا يهديهم ولا يوفقهم ولا يقبل منهم عذراً ، كما قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾ ، وقال فى المنافقين : ﴿ **فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا** ﴾ ولا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً .

فلو صح ما ذكروه من حديث الإحياء لقلنا بالخصوصية ، ولكن حديث الإحياء ضعيف كما رأيت ، فلم يبق إلا التسليم للأدلة الصحيحة والإذعان لها ، والحمد لله رب العالمين .

○ ومما يحتجون به كذلك ○

□ حديث : « **سألت ربى أبناء العشرين من أمتى فوهبهم لى** » .

قال الشيخ الألبانى حفظه الله تعالى فى السلسلة الضعيفة (ج٣/٦٦٥) حديث (١٤٧٣) :

ضعيف . أخرجه ابن أبى الدنيا قال : ثنا القاسم بن هاشم السمسار ثنا مقاتل بن سليمان الرملى عن أبى معشر عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فذكره . كذا فى الحاوى (٤١١/٢) .

ثم قال الألبانى : قلت : وهذا إسناد واهٍ ، أبو معشر واسمه نجيح ضعيف ، ومقاتل بن سليمان الرملى أظنه البلخى الخراسانى صاحب التفسير وهو كذاب ، وعليه فقوله : « الرملى » محرف من « البلخى » ، فإن يكن هو

فالحديث موضوع . والله أعلم .

وأما السمسار فصدوق وله ترجمة فى تاريخ بغداد اهـ .

أقول : حتى لو صح لم يكن لهم فيه حجة .

قال المنذرى رحمه الله تعالى فى فيض القدير (٧٥/٤) : سألت ربى أبناء العشرين ، أى سألته قبول الشفاعة فيمن مات من أمتى على الإسلام ؟ فوهبهم لى ، أى شفعنى فيهم بأن يدخل صلحاءهم الجنة ابتداءً ، ويخرج من شاء تعذيبه من عصاتهم من النار فلا يخلدهم فيها .

☐ ومما يحتجون به أيضاً حديث :

« **سألت ربى عز وجل أن لا يدخل أحداً من أهل بيتى النار فأعطانيها** » .

قال الشيخ الألبانى حفظه الله تعالى فى الضعيفة (٣٣١/١) حديث (٣٢٢) : موضوع .

أخرجه ابن بشران فى الأمالى (١/٥٦) أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن عبد الله بن زياد القطان ثنا محمد بن يونس ثنا أبو على الحنفى ثنا إسرائيل عن أبى حمزة الثمالى عن أبى رجاء عن عمران بن حصين مرفوعاً

ثم قال : قلت : وهذا إسناد موضوع ، أبو حمزة الثمالى اسمه ثابت بن أبى صفية ليس بثقة كما قال النسائى وغيره ، ومحمد بن يونس هو الكديمى وهو وضاع مشهور .

أقول : وهذا أيضاً لو صح فليس لهم فيه حجة ، فيكون محمولاً على أن المراد به المؤمنون الذين ألموا بشىء من الذنوب . أما المشركون فالحكم

فيهم أنه لا يشفع فيهم أحد كما تقدم .

فالحديث مع ضعفه فيه نكارة شديدة حيث إنه يخالف القرآن ، فمن أهل بيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم- وهو منهم برىء- كفار ومشركون ، بل بعضهم شيوعيون ويزعمون أنهم من أهل البيت، ولو شئت لسردت من أسمائهم وأنا لا أقدح فى انتسابهم إلى أهل البيت ، فإن صدقوا فالإثم عظيم حيث أكرمهم الله بتلك السلالة المباركة فأسقطوا أنفسهم وإن كذبوا فالإثم أعظم.

وإنما أقدح فى أعمالهم التى تصدر منهم فهى تضرهم من جهة وتشوه تلك السلالة الطاهرة التقية من جهة أخرى .

ولا يزال كفار وزنادقة وملاحدة إلى يومنا هذا من المنتسبين إلى آل بيت النبوة ومن غيرهم فهل معنى ذلك أن المنتسبين إلى آل بيت النبوة يكون مغفوراً لهم كفرهم وزندقتهم وغيرهم لا يغفر لهم ذلك؟ هذا ما لا يقوله عاقل فضلاً عن مسلم .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله وليّاً ولا نصيراً** ﴾ .

ومن مخالفة هذا الحديث للقرآن هو أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم سأل الله المغفرة لأبى طالب فحسب بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ .

وأيضاً هو كذلك مخالف لما ثبت عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الصحيح أنه قال : « **استأذنت ربى فى أن أستغفر لأمى فلم يأذن لى** »[1].

---

(١) وكذلك يخالف ما ثبت فى الصحيح من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول جهاراً غير سر : «ألا إن آل أبى فلان ليسوا =

ولو لم يكن فيه من العبر والعظات إلا إظهار صبره وتحمله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وشدة يقينه وتسليمه ورضاه بقضاء الله وقدره إذ لو يصاب كثير من المسلمين أو يبتلى ربما يرتد والعياذ بالله ويكفر ويتسخط على أحكام الله تعالى ويشتد ويجادل عن عواطفه ولكن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم استسلم وامتثل ورضى بالقضاء والقدر .

وكذلك أيضاً يحتجون بـ :

حديث : « هبط على جبريل فقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول : إنى حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك فقال : يا جبريل بين لى ، فقال : أما الصلب فعبد الله ، وأما البطن فآمنة بنت وهب وأما الحجر فعبد يعنى عبد المطلب وفاطمة بنت أسد » .

قال ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى الموضوعات (٢٨٣/١) : هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده كما ترى يعنى أن فيه الحسنى العلوى وهكذا قال بعض حفاظ خراسان : كان أبو الحسين يحيى بن الحسين العلوى رافضيّاً غالياً وكان يدعى الخلافة بجيلان ، واجتمع عليه خلق كثير ، ولا يختلف المسلمون أن عبد المطلب مات كافراً ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يومئذ ثمان سنين ، وأما عبد الله فإنه مات ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حمل ، ولا خلاف أنه مات كافراً ، وكذلك آمنة ماتت ولرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ست سنين ، فأما فاطمة بنت أسد فإنها أسلمت وبايعت ولا تختلط بهؤلاء .

وقال الشوكانى رحمه الله تعالى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة (ص ٣٢١) : فى إسناده مجاهيل وهو موضوع .

= لى بأولياء إنما وليى الله وصالحو المؤمنين » .

ومما يحتجون به أيضاً على نجاتهما :

حديث ابن عباس : أين كنت يا رسول الله وآدم فى الجنة ؟ قال : « **كنت فى صلبه ، وأهبط إلى الأرض وأنا فى صلبه ، وركبت السفينة فى صلب أبى نوح ، وقذفت فى النار وأنا فى صلب أبى إبراهيم ، لم يلتق لى أبوان على سفاح ، لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية** » . الحديث .

قال أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى كتابه الموضوعات (ج١/٢٨١) : هذا حديث موضوع ، وقد وضعه بعض القصاص ، وهناد – يعنى ابن إبراهيم النسفى – لا يوثق به ، ولعله من وضع شيخه أو من شيخ شيخه ، على أن على بن عاصم قد قال فيه يزيد بن هارون : ما زلنا نعرفه بالكذب ، وقال يحيى : ليس بشىء . إلا أن التهمة به للمتأخرين أليق.

أقول : وهذا لو صح فليس فيه حجة لما ذهبوا إليه لأنه قال : لم يلتق لى أبوان على سفاح ، لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية .

فالمراد فى الحديث طهارة الأرحام بخلاف ما ذهبوا إليه ، ومعلوم أن قوله تعالى : ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ أن المراد نجاسة الشرك الذى تلبسوا به .

قال البغوى رحمه الله تعالى فى معالم التنزيل (ج ٣/٣٠) عند قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس** ﴾ قال : وأراد نجاسة الحكم لا نجاسة العين ، سموا نجساً على الذم ، وقال قتادة : سماهم نجساً لأنهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضئون .

وقال أبو عبد الله القرطبى رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ١٠٣/٨) : واختلف العلماء فى معنى وصف المشرك بالنجس ، فقال قتادة ومعمر بن راشد وغيرهما : لأنه جنب إذ غسله من الجنابة ليس بغسل ، وقال ابن عباس وغيره : بل معنى الشرك هو الذى نجسه ، وقال الحسن البصرى : من صافح مشركاً فليتوضأ . إلى آخره .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٣٤٦/٢) : ودلت هذه الآية الكريمة على نجاسة المشرك كما ورد فى الصحيح : « **المؤمن لا ينجس** » وأما نجاسة بدنه فالجمهور على أنه ليس بنجس البدن والذات ؛ لأن الله تعالى أحل طعام أهل الكتاب ، وذهب بعض الظاهرية إلى نجاسة أبدانهم . انتهى المراد .

وقال أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى المالكى رحمه الله تعالى فى كتابه القيم أحكام القرآن (ج ٢ / ٩١٣) المسألة الثالثة قوله : ﴿ **إنما المشركون نجس** ﴾ : اعلموا وفقكم الله أن النجاسة ليست حسية ، وإنما هى حكم شرعى أمر الله بإبعادها ، كما أمر بإبعاد البدن عن الصلاة عند الحدث ، وكلاهما أمر شرعى ليس بعين حسية . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

□ ومما يحتجون به أيضاً حديث :

« **أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى ثم الأقرب فالأقرب ، ثم الأنصار ثم من آمن بى واتبعنى ثم اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولاً أفضل** » .

رواه ابن عدى فى الكامل (ج٢/٧٩٠) وهو ضعيف لأنه من طريق حفص بن سليمان أبو عمر الأسدى ، قال ابن معين : ليس بثقة . وقال البخارى : سكتوا عنه ، وقال مرة : تركوه ، وقال ابن عراق فى تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة (ص٣٧٨) (قط) من حديث ابن عمر وفيه حفص بن أبى داود تفرد به واتهم به .

قلت : وشيخه فيه ليث بن أبى سليم قال فى التقريب : صدوق اختلط أخيراً ولم يتميز حديثه فترك ولو صح لم يكن لهم فيه حجة لأن المعنى يكون لمن آمن منهم والحمد لله .

ومما يحتجون به كذلك حديث :

« **يا معشر بنى هاشم والذى بعثنى بالحق نبيّاً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم** » .

رواه الخطيب فى تاريخه (٤٣٩/٩) ، وهو ضعيف ؛ لأنه من طريق يغنم بن سالم بن قنبر ، وهو ضعيف ، بل أضعف . ذكره الحافظ فى لسان الميزان فى من اسمه نعيم بالنون والعين المهملة بعدها ياء تحتانية ، قال : قال ابن القطان : لا يعرف ، قلت : تصحف عليه اسمه وإلا فهو معروف مشهور بالضعف متروك الحديث ، وأول اسمه ياء مثناة من تحت ثم غين معجمة ثم نون. وسيأتى، ثم قال هناك : أتى بعجائب ، قال أبو حاتم : مجهول ضعيف الحديث ، وقال ابن حبان : كان يضع على أنس بن مالك .

وقال ابن يونس : حدث عن أنس فكذب ، وقال ابن عدى : عامة أحاديثه غير محفوظة .

وقال أبو الفرج ابن الجوزى فى العلل المتناهية (ج ٢٨٦/١) : هذا حديث لا يصح .

قلت : وأما حديث على بن أبى طالب ، فقد نقل السيوطى فى الحاوى (٢ / ٢٠٨) عن المحب الطبرى عزوه لأحمد فى المناقب ، وهذا العزو فيه إيهام شديد ، إنما رواه القطيعى فى زياداته على المناقب من غير طريق شيخه عبد الله بن الإمام أحمد ، والإمام أحمد رحمه الله تعالى أرفع وأجل من أن يروى مثل ذلك السند الهالك .

قال القطيعى رحمه الله تعالى (ج ٢ / ٦١٩) من فضائل الصحابة : حدثنا محمد بن محمد الواسطى نا عباد بن يعقوب نا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن عليّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **يا معشر بنى هاشم** ... » فذكره .

ورواه (ص ٦٦٨) من الجزء نفسه ، قال : حدثنا عبد الله بن سليمان السجستانى نا عباد بن يعقوب نا موسى بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على . فذكر الحديث كما تقدم ، وهذا إسناد هالك ؛ ففيه عدة علل : محمد بن محمد الواسطى لا أدرى من هو ، إلا أن يكون الباغندى ، فهو ثقة ، وعبد الله بن سليمان فى السند الثانى هو ابن أبى داود السجستانى ، قال الدارقطنى : ثقة إلا أنه كثير الخطأ فى الكلام على الحديث ، قال الذهبى : وأما كلام أبيه فلا أدرى أيش تبين له منه . يعنى قول أبى داود : ابنى عبد الله كذاب ، قال ابن صاعد : كفانا ما قال أبوه فيه .

وذكر ابن عدى عن إبراهيم الأصبهانى : أبو بكر بن أبى داود كذاب .

عن عباد بن يعقوب هو الرواجنى ، قال الذهبى : من غلاة الشيعة ورءوس البدع لكنه صادق فى الحديث ، وقال أبو حاتم : شيخ ثقة ، وقال الحاكم : كان ابن خزيمة يقول : حدثنا الثقة فى روايته المتهم فى دينه عباد بن يعقوب ، قال فيه الحافظ : ذكر الخطيب أن ابن خزيمة ترك الرواية عنه آخراً ، وقال ابن عدى : وعباد فيه غلو فى التشيع ، وروى أحاديث أنكرت عليه فى الفضائل والمثالب .

وقال القاسم بن زكرياء المطرز : وردت الكوفة فكتبت عن شيوخها كلهم غير عباد بن يعقوب ، فلما فرغت دخلت عليه ، وكان يمتحن من يسمع منه ، فقال لى : من حفر البحر ؟ قلت : الله ، قال : هو كذلك ، ولكن من حفره ؟ قلت : يذكر الشيخ ، فقال : حفره علىّ ، ثم قال : فمن أجراه ؟ قلت : الله قال : هو كذلك ولكن من أجراه ؟ قلت : يفيدنى الشيخ فقال : أجراه الحسين . وكان مكفوفاً فرأيت سيفاً معلقاً ، فقلت : لمن هذا ؟ قال : أعددته لأقاتل به مع المهدى ، فلما فرغت من سماع ما أردت وعزمت على السفر دخلت عليه فقال : من حفر البحر قلت : معاوية ، وأجراه عمرو بن العاص ، ثم وثبت وعدوت فجعل يصيح أدركوا الفاسق عدو الله فاقتلوه .

قال الذهبى عقبها كما فى السير : إسنادها صحيح ، وما أدرى كيف تسمّحوا فى الأخذ عمن هذا حاله وإنما وثقوا بصدقه .

وقال محمد بن جرير : سمعت عباداً يقول : من لم يتبرأ فى صلاته كل يوم من أعداء آل محمد حشر معهم . قال الذهبى عقبها : قلت : فقد عادى آل على آل عباس والطائفتان آل محمد قطعاً فممن نتبرأ ، بل نستغفر للطائفتين ونتبرأ من عدوان المعتدى ، كما تبرأ النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مما صنع خالد لما أسرع فى قتل بنى جذيمة ، ومع ذلك قال فيه : «**خالد سيف سله الله على المشركين**»، فالتبرى من ذنب سيغفر لا يلزم منه البراءة من الشخص.

وقال ابن حبان : مات سنة خمسين ومائتين ، وكان داعية إلى الرفض ، ومع ذلك يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك .

هذا مما ذكروه فى ترجمة عباد بن يعقوب الرواجنى من التهذيب والميزان .

واسمع إلى ما ذكروه فى شيخه موسى بن عمير وهو القرشى الكوفى قال فى التهذيب : قال ابن معين : ليس بشىء ، وقال ابن نمير وأبو زرعة والدارقطنى : ضعيف ، وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث كذاب ، وقال النسائى : ليس بثقة ، وقال يعقوب بن سفيان : ضعيف ، وقال العقيلى : منكر الحديث ، وقال الحاكم أبو أحمد : ليس حديثه بالقائم ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات ، وقال الذهبى فى السير (ج١١/٥٣٨) : ورأيت له جزءاً من كتاب المناقب جمع فيها أشياء ساقطة ، قد أغنى الله أهل البيت عنها وما أعتقده يتعمد الكذب أبداً . انتهى .

وأما بقية السند ؛ فإنهم أئمة سنة ، وهم بريئون من البدع والأحاديث الضعيفة والموضوعة ، إلا أن فيه انقطاعين ، أحدهما : محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب لم يسمع من جديه الحسن والحسين ولا من جده الأعلى علىّ بن أبى طالب .

والثانى : على بن الحسين زين العابدين ، قال أبو زرعة : لم يدرك جده علياً رضى الله عنه .

☐ ويحتجون أيضاً بحديث :

« **شفعت فى هؤلاء النفر أبى وعمى أبى طالب وأخى من الرضاعة** – يعنى ابن السعدية – **ليكونوا من بعد البعث هباء** » .

رواه الخطيب (ج ١٣ / ١٦١) من تاريخ بغداد ، وحديث : يا رسول الله للنار جواز ؟ قال : « **نعم حب على بن أبى طالب** » . ثم قال : هذان الحديثان باطلان ، ولم أكتبهما إلا بهذين الإسنادين .

قلت : وكلاهما من طريق محمد بن فارس المعبدى ، قال الخطيب : سألت أبا نعيم عنه فقال : كان رافضياً غالياً فى الرفض ، وكان أيضاً ضعيفاً فى الحديث.

ثم قال : حديث : « **شفعت** » : رواه خطاب بن عبد الدايم وهو ضعيف ، يعرف برواية المناكير ، عن يحيى بن المبارك الشامى الصنعانى وهو مجهول ، وقال فيه : عن منصور عن ليث ، ومنصور بن المعتمر لا يروى عن ليث بن أبى سليم . والله أعلم .

حدثت عن أبى الحسن محمد بن العباس بن الفرات قال : توفى أبو بكر محمد بن فارس بن حمدان المعبدى فى ذى الحجة سنة إحدى وستين وثلاثمائة ، وكان غير ثقة ولا محمود المذهب ، وكذلك قال محمد بن أبى الفوارس .

وقال أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله تعالى فى الموضوعات (ج١/٢٨٤) بعد ذكره الحديث : هذا موضوع بلا شك ، فأما ليث فضعيف ، ومنصور لم يرو عنه شيئاً لضعفه ، ويحيى بن المبارك شامى مجهول ، وخطاب ضعيف ، قال أبو الحسن بن الفرات ومحمد بن فارس ليس بثقة ولا محمود المذهب ، قال أبو نعيم : كان رافضياً غالياً فى الرفض ، ضعيفاً فى الحديث .

وفى الصحيحين : أن أبا طالب ذُكر لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : « **هو فى ضحضاح من النار** » .

أقول : ولو صح فليس فيه دليل على نجاتهم ، وذلك لأنه قال فى الحديث: ليكونوا من بعد البعث هباء، ألا تعجب معى من هذا التناقض زعموا- قبل- أن الله أحيا له أبويه وعمه أبا طالب فآمنوا به ، ويزعمون - أيضاً - أن أبا طالب آمن بما ذكروه عنه من أقوال وأشعار ، ثم هنا يروون حديث : « **شفعت فى هؤلاء النفر أبى وعمى أبى طالب وأخى من الرضاعة ليكونوا من بعد البعث هباء** » .

وهذا يؤيد ما ذكرته عن المبتدعة أنهم لا يزالون فى تناقض .

***

□ الفصل الثانى □

○ فيما يحتجون به فى قولهم بنجاة عبد المطلب ○

فمن ذلك : ما رواه أبو داود (١٤/ ٨٦، ٨٧) والنسائى (٤ / ٢٧ ، ٢٨) وأحمد (٢ / ١٦٨ / ١٦٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لفاطمة : « **ما أخرجك من بيتك يا فاطمة ؟**» قالت : أتيت أهل هذا الميت فترحمت إليهم وعزيتهم بميتهم ، قال : « **لعلك بلغت معهم الكدى** » ؟ قالت : معاذ الله أن أكون بلغتها وقد سمعتك تذكر فى ذلك ما تذكر فقال لها : « **لو بلغتها معهم ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك** » .

الكدى بضم الكاف وفتح الدال المهملة جمع كدية .

قال السيوطى رحمه الله تعالى فى شرحه لسنن النسائى : أقول : لا دلالة فى هذا على ما توهمه المتوهمون ؛ لأنه لو مشت امرأة مع جنازة إلى المقابر لم يكن ذلك كفراً موجباً للخلود فى النار كما هو واضح ، وغاية ما فى ذلك أن يكون من جملة الكبائر التى يعذب صاحبها ، ثم يكون آخر أمره إلى الجنة، وأهل السنة يؤولون ما ورد من الحديث فى أهل الكبائر أنهم لا يدخلون الجنة ، والمراد لا يدخلونها مع السابقين الذين يدخلونها بغير عذاب ، فأكثر ما يدل الحديث المذكور على أنها لو بلغت معهم الكدى لم تر الجنة مع السابقين بل يتقدم ذلك عذاب أو شدة أو ما شاء الله من أنواع المشاق ،

ثم يـؤول أمرها إلى دخـول الجنة قطعـاً ، ويكون المَعْنِـيّ بـه كذلك – يعنى عبد المطلب – لا يـرى الجنة مع السابقيـن ، بـل يتقـدم ذلـك الامتحان وحـده ، أو مع مشـاق أخـر ، ويكـون معنـى الحديث: لم تـر الجنـة حتى يأتـى الوقـت الـذى يراهـا فيه جد أبيـك، فترينها حينئذ، فتكـون رؤيتك لها متأخـرة عن رؤيـة غيرك من السابقيـن لهـا ، هـذا مدلـول الحديـث لا دلالة له علـى قواعد أهـل السنـة غير ذلـك ، والذى سمعتـه من شيخنـا شيخ الإسـلام شرف الديـن المنـاوى وقد سئـل عن عبد المطلب فقـال : هـو من أهـل الفترة الذين لم تبلغ لهم الدعوة وحكمهم فى المذهب معروف . انتهى كلام السيوطى رحمه الله تعالى .

وقال السندى رحمه الله تعالى فى الحاشية عند قوله : حتى يراها جد أبيك ، ظاهر السوق (السياق) يفيد أن المراد ما رأيت أبداً كما لم يرها فلان وأن هذه الغاية من قبيل (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) ، ومعلوم أن المعصية غير الشرك لا تؤدى إلى ذلك ، فإما أن يحمل على التغليظ فى حقها ، وإما أن يحمل على أنه علم فى حقها أنها لو ارتكبت تلك المعصية لأفضت بها إلى معصية تكون مؤدية إلى ما ذكر . والسيوطى رحمه الله تعالى مشربه القول بنجاة عبد المطلب ثم ذكر قوله المتقدم .

وقال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى فى عون المعبود شرح سنن أبى داود (ج ٣٩٤/٨) : قلت : القول فى هذا الحديث ما قاله العلامة السندى ، وأما القول بنجاة عبد المطلب كما هو مذهب السيوطى كلام ضعيف خلاف لجمهور العلماء المحققين إلا من شذ من المتساهلين ولا عبرة بكلامه فى هذا الباب . والله أعلم .

قال المنذرى : والحديث أخرجه النسائى وربيعة هذا الذى هو فى إسناد هذا الحديث هو ربيعة بن سيف المعافرى من تابعى أهل مصر وفيه مقال .

انتهى المراد من كلامه رحمه الله .

قلت : فالحديث ضعيف من حيث هو ، فقد كان السيوطى رحمه الله تعالى فى غنى عن تقويته والاستدلال به ، وهو شارح سنن النسائى ، فالنسائى رحمه الله تعالى قال عقب روايته للحديث : قال أبو عبد الرحمن - يعنى نفسه - : ربيعة ضعيف ، فمر عليها السيوطى رحمه الله تعالى مر الكرام ولم يعقب ، وربيعة بن سيف وثقه العجلى وابن حبان ، وقال : يخطىء كثيراً ، وقال الدارقطنى : مصرى صالح ، وقال النسائى - يعنى فى غير السنن - : ليس به بأس . وهذا كله قد يكون توثيقاً إذا لم يأت ما يعارضه ، فقد قال البخارى : عنده مناكير ، وقال فى موضع آخر : روى أحاديث لا يتابع عليها ، وقال أيضاً : منكر الحديث كما فى التاريخ الصغير (١ / ٣٣٧ / ٣٤٤) . وقال ابن يونس : فى حديثه مناكير ، وقال الذهبى فى الميزان وقال الترمذى : لا نعرف لربيعة سماعاً من عبد الله ، وضعفه الحافظ عبد الحق الأزدى عندما روى له حديث : « **يا فاطمة أبلغت معهم الكداء ؟** » قالت : لا ، قال : « **لو بلغت معهم الكداء ما دخلت الجنة حتى يدخلها جد أبيك** » فقال : هو ضعيف الحديث عنده مناكير ، وقال ابن حبان : لا يتابع ربيعة على هذا وفى حديثه مناكير ، وقال الحافظ فى التقريب : صدوق له مناكير ، قلت : وما تغنى عنه صدوق بجانب قول البخارى رحمه الله : منكر الحديث ، وقد عد هذا الحديث من مناكيره والله أعلم .

ثم لو صح يكون معناه كما قال الحافظ أبو حاتم ابن حبان رحمه الله تعالى كما فى الإحسان (٦ / ٧١) قال أبو حاتم : قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لفاطمة : « **لو بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة** » ، يريد ما رأيت الجنة العالية التى يدخلها من لم يرتكب ما نهى رسول الله صلى الله عليه

وعلى آله وسلم عنه ، لأن فاطمة علمت النهى فيه قبل ذلك ، والجنة هى جنات كثيرة لا جنة واحدة ، والمشرك لا يدخل جنة من الجنان أصلاً لا عالية ولا سافلة ولا ما بينهما - انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

ومن عجب لم أقضه ، أن السيوطى رحمه الله تعالى يركض وينطح فى شرح الأحاديث التى فيها تقوية لما يذهب إليه ، وعند الأحاديث الصحيحة لم نسمع له همساً ، وهاك أمثلة على ذلك ما ذكره فى مسالك الحنفاء وفى اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة وفى الأحاديث التى ذكرتها فى جملة ما يحتجون به فى نجاة الأبوين ، وما ذكرناه هنا فى هذا الحديث ، وقد رأيت شرح السيوطى له فى شرحه لسنن النسائى .

وفى المقابل : حديث المسيب بن حزن فى وفاة أبى طالب ، رواه النسائى (ج ٤ / ٩٠ / ٩١) فإنه لم يتكلم عليه ولا حتى بعشر معشار كلمة ، وكذلك حديث أبى هريرة فى زيارة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قبر أمه . رواه النسائى (ج ٤ / ٩٠) ولم يشرحه السيوطى ، وكذلك أيضاً حديث على بن أبى طالب الذى فيه : إن عمك الشيخ الضال مات ، رواه النسائى (ج ٤ / ٧٩) كل هذه ولم أستقص ، لم يتكلم على شىء منها وكأنها ليست فى سنن النسائى ، وكأنه ليس شارحاً لها فالله المستعان .

ومما يحتجون به أيضاً :

قول على بن أبى طالب رضى الله عنه : والله ما عبد أبى ولا جدى عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط . قيل : فما كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم متمسكين به .

ذكره صاحب تأملات وهى فى الحقيقة « تخرصات » على الصحيحين من رواية أصبغ بن نباتة قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : .... فذكره ثم ذكر المرجع (بحار الأنوار) (ج ١٥ / ص ١٤٤) ، وهاك ترجمة أصبغ ابن نباتة من الميزان والتهذيب : قال أبو بكر بن عياش : كذاب ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مَرَّةً : ليس بشىء ، وقال النسائى وابن حبان : متروك ، وقال ابن عدى : بيِّن الضعف ، وقال أبو حاتم : لين الحديث ، وقال العقيلى : كان يقول بالرجعة ، وقال ابن حبان : فتن بحب علىّ فأتى بطامات فاستحق من أجلها الترك . وقال ابن معين : ليس يساوى حديثه شيئاً ، وقال النسائى أيضاً : ليس بثقة ، وقال الدارقطنى : منكر الحديث ، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه عن على لا يتابعه أحد عليه وهو بيِّن الضعف ، ثم قال : وإذا حدث عنه ثقة فهو عندى لا بأس بروايته ، وإنما أتى الإنكار من جهة من روى عنه ، وقال العجلى : كوفى تابعى ثقة ، وقال ابن سعد : كان شيعيّاً وكان يضعف فى روايته ، وكان على شرطة علىّ ، وقال أبو أحمد الحاكم : ليس بالقوى عندهم ، وقال الساجى : منكر الحديث ، وقال ابن عمار : ضعيف ، وقال الجوزجانى : زائغ ، وقال البزار : أكثر أحاديثه عن علىّ لا يرويها غيره .

أقول : العجلى معروف بالتساهل فى التوثيق ، وقوله يصطدم مع أقوال هؤلاء الأئمة ، وهم أثبت منه فى هذا الشأن . ثم - أيضاً - يبقى النظر فى سند الأثر إلى علىّ فإن صح كانت علته ما ذكرنا ، وإن ظهرت علل أخرى فينضم إليه ضعف مع ضعفه ، ثم - أيضاً - هو أثر عن على رضى الله عنه ، فإنه لو صح لم يجز لنا أن نأخذ به ونترك ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . والله الموفق .

□ ويحتجون أيضاً بحديث :

« **يا على إن عبد المطلب لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام ولا يأكل ما ذبح على النصب ويقول : أنا على دين إبراهيم** » .

ذكره فى « تأملات » فى الصحيحين وهى كما تقدم « تخرصات على الصحيحين » ذكره بدون سند ، ومرجعه (بحار الأنوار ١٥ ص ١٢٧) ومن (لا يحضره الفقيه) باب النوادر .

أقول : وهذان مرجعان من مراجع الرافضة ونحن لا نعتمد عليهما فى شيء والحمد الله .

○ (ومما يحتجون به أيضاً زعمهم أنهم من أهل الفترة) ○

وهو زعم فاسد ؛ لأن هؤلاء - أعنى الأبوين وأبا طالب - جاء النص فيهم أنهم فى النار ، فلا يسعنا العدول عن النص إلى آراء العلماء ، وأما ما يتعلقون به من أنهما لم يدركا زمن نبوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وكل هذا له وجه لو لم يأت فيهما نص صحيح عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ثم الله أعلم بما كانوا يصيرون إليه ، فهذا أبو طالب أدرك زمن النبوة فهل آمن ؟ بل قال آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب .

وهكذا أبو لهب أدرك زمن النبوة فهل آمن ؟ وهذا آزر والد إبراهيم أدرك نبوة ولده إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهل آمن ؟ .

وأما ما زعمه السيوطى رحمه الله تعالى : أنهما - يعنى الأبوين - لم يثبت عنهما شرك ، فالرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو الذى أخبرنا أنهما فى النار ، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا ينطق عن الهوى ، ثم إن

عموم قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ يشملهما، والأخذ بالآية والحديث الصحيح أسلم من الآراء ، والحمد لله رب العالمين .

وقد وردت أحاديث تبين مصير من هلك فى الجاهلية ما لم يأت فيه نص صحيح صريح يخرج صاحبه من هذا العموم ؛ كزيد بن عمرو بن نفيل وغيره ، ممن جاء فيهم النص أنهم من أهل الفترة ، وأما ما عدا ذلك فقد وردت فيهم أحاديث تبين أنهم من الهالكين ، فمن ذلك ما رواه الطبرانى فى الكبير (١ / ١٤٥ رقم ٣٢٦) قال : حدثنا على بن عبد العزيز نا محمد ابن أبى نعيم الواسطى نا إبراهيم بن سعد عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه قال : جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : إن أبى كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو ؟ قال : « **فى النار** » فكأن الأعرابى وجد من ذلك ، فقال : يا رسول الله فأين أبوك ؟ قال : « **حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار** » قال: فأسلم بعد، فقال : لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعناء ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار .

ورواه ابن ماجه (ج ١/ ٥٠١) من حديث ابن عمر ، وقال فى الزوائد (١ / ٤٣) : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، محمد بن إسماعيل وثقه ابن حبان والدارقطنى والذهبى ، وباقى رجال الإسناد على شرط مسلم . اهـ .

وقد ظهر للشيخ الألبانى حفظه الله تعالى فى الصحيحة حديث (١٨) أن محمد بن إسماعيل هذا أخطأ فى إسناده ، فقال : .... عن سالم عن أبيه قال : والصواب عن عامر بن سعد عن أبيه كما فى رواية ابن أخزم وغيره . انتهى المراد .

ورواه البيهقى فى دلائل النبوة (ج١/١٩١/١٩٢) .

وابن السنى فى عمل اليوم والليلة (ص ١٧٢) حديث (٥٩٥) فقال : حدثنا محمد بن صاعد والقاضى أبو عبيد على بن الحسين بن حرب قالا : حدثنا زيد بن أخزم حدثنا يزيد بن هارون حدثنا إبراهيم بن سعد به .

ورواه البزار فقال : حدثنا زيد بن أخزم ومحمد بن عثمان بن مخلد قالا : ثنا يزيد بن هارون أنا ابراهيم بن سعد به إلى قوله: فبشره بالنار ، قال البزار: لا نعلم روى هذا إلا سعد، ولا عن إبراهيم إلا يزيد . انتهى من كشف الأستار (٦٥/١).

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج١/١١٨): رواه البزار والطبرانى فى الكبير وزاد: فأسلم الأعرابى فقال : لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعناء، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار. ورجاله رجال الصحيح .

وقال الشيخ الألبانى حفظه الله تعالى فى الصحيحة (٢٥/١) : قلت : وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون - يعنى سند الطبرانى - فالحديث صحيح ، والحمد لله رب العالمين .

وقال أيضاً فى شرحه للحديث المذكور : وفى هذا الحديث فائدة هامة أغفلتها عامة كتب الفقه، ألا وهى مشروعية تبشير الكافر بالنار إذا مر بقبره، ولا يخفى ما فى هذا التشريع من إيقاظ المؤمن وتذكيره بخطورة جرم هذا الكافر حيث ارتكب ذنباً عظيماً تهون ذنوب الدنيا كلها تجاهه ولو اجتمعت، وهو الكفر بالله عز وجل والإشراك به ، الذى أبان الله تعالى عن شدة مقته إياه حين استثناه من المغفرة فقال : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾، ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أكبر الكبائر أن تجعل لله نداً وقد خلقك** » . متفق عليه .

وأن الجهل بهذه الفائدة مما أودى ببعض المسلمين إلى الوقوع فى خلاف

ما أراد الشارع الحكيم منها؛ فإننا نعلم أن كثيراً من المسلمين يأتون بلاد الكفر لقضاء بعض المصالح الخاصة أو العامة، فلا يكتفون بذلك حتى يقصدوا زيارة بعض قبور من يسمونهم بعظماء الرجال من الكفار، ويضعون على قبورهم الأزهار والأكاليل ويقفون أمامها خاشعين محزونين، مما يشعر برضاهم عنهم وعدم مقتهم إياهم، مع أن الأسوة الحسنة بالأنبياء عليهم السلام تقتضى خلاف ذلك كما فى هذا الحديث الصحيح، واسمع قول الله عز وجل : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً** ﴾ الآية .

هذا موقفهم منهم وهم أحياء فكيف وهم أموات ؟ . اهـ .

٣ - ومن جملة تلبيساتهم ما ذكره دحلان (ص ٥٢) : من أسنى المطالب . قال : فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال : من نبى إلى نبى ومن نبى إلى نبى حتى أخرجتك نبيّاً .

قال : وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية إبراهيم أوضح ليشمل غير الأنبياء .

أقول : الحديث عند البزار كما فى كشف الأستار (ج ٣ / ٦٢ / ١١٠) عن عمرو بن على وهو الفلاس قال: ثنا أبو عاصم وهو الضحاك بن مخلد النبيل عن شبيب وهو ابن بشر ويقال: ابن عبد الله، وثقة ابن معين ، ولينه أبو حاتم عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ : ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال: من صلب نبى إلى صلب نبى حتى صرت نبياً .

قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (ج ٧ ص ٨٦) رواه البزار والطبرانى

ورجالهم رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة . وقال (ج ٨ / ٢١٤) رواه البزار ورجاله ثقات . وأما أبو نعيم فرواه فى دلائل النبوة ... (ج ١ / ٦٦ / ٦٧) عن شيخه محمد بن الحسن أبى بحر قال فى لسان الميزان : معروف واهٍ ، قال البرقانى : كان كذاباً ، وقال أبو نعيم : كان الدارقطنى يقول لنا : اقتصروا من حديث أبى بحر على ما انتخبته فحسب .

قلت : فقد صح الأثر كما رأيت عن البزار، وليس فيه أن آباءه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عبد الله بن عبد المطلب وأبا طالب وغيرهم كانوا أنبياء، أو كانوا من المصلين، فالمراد بالآباء فى الأثر إسماعيل وإبراهيم ونوح وآدم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وانظر كيف حمل الآية على أعم من الأنبياء، ليقرر ما ذهب إليه، وأن آباء النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كانوا على التوحيد وكانوا من الساجدين أى المصلين ، لكن انظر إلى فهم المفسرين للآية .

قال ابن جرير رحمه الله تعالى (ج١٩/٧٦) ط دار المعرفة : يقول تعالى ذكره : فإن عصتك يا محمد عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان والإشراك بالرحمن ، فقل لهم : إنى برىء مما تعملون من عبادة الأصنام ومعصية بارىء الأنام، وتوكل على العزيز فى نقمته من أعدائه، الرحيم بمن أناب إليه وتاب من معاصيه، الذى يراك حين تقوم يقول: الذى يراك حين تقوم إلى صلاتك، وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك : أينما كنت . وتقلبك فى الساجدين ، اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم : معنى ذلك ويرى تقلبك فى صلاتك حين تقوم ثم تركع وحين تسجد ، ثم ذكر أنه قول ابن عباس وعكرمة .

وقال آخرون : بل معنى ذلك: ويرى تقلبك فى المصلين وإبصارك منهم

من هو خلفك كما تبصر من هو بين يديك منهم ، ثم ذكر بالأسانيد إلى مجاهد قوله .

قال : وقال آخرون : بل معنى ذلك: وتقلبك مع الساجدين أى تصرفك معهم فى الجلوس والقيام والقعود ، ثم ذكر بأسانيده أنه قول ابن عباس وقتادة وابن زيد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك: ويرى تصرفك فى الناس وذكر أنه قول الحسن .

وقال آخرون : بل معنى ذلك: وتصرفك فى أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك تفعله، والساجدون فى قول قائل هذا القول الأنبياء، وذكر أنه قول سعيد بن جبير .

ثم قال: قال أبو جعفر: وأولى الأقوال فى ذلك بتأويله قول من قال: تأويله ويرى تقلبك مع الساجدين فى صلاتهم معك حين تقوم معهم وتركع وتسجد؛ لأن ذلك هو الظاهر من معناه، فأما قول من وجهه إلى أن معناه: وتقلبك فى الناس فإنه قول بعيد من المفهوم بظاهر التلاوة، وإن كان له وجه لأنه وإن كان لا شىء إلا وظله يسجد لله، فإنه ليس المفهوم من قول القائل فلان مع الساجدين أو فى الساجدين أنه مع الناس أو فيهم؛ بل المفهوم بذلك أنه مع قوم سجود – السجود المعروف– وتوجيه معانى كلام الله إلى الأغلب أولى من توجيهه إلى الأنكر، وكذلك– أيضاً– فى قول من قال : معناه تتقلب فى أبصار الساجدين، وإن كان له وجه فليس ذلك الظاهر من معانيه، فتأويل الكلام إذاً: وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم إلى صلاتك ويرى تقلبك فى المؤتمين بك فيها بين قيام وركوع وسجود وجلوس . انتهى المراد من كلامه رحمه الله .

وقال أبو عبد الله القرطبى رحمه الله تعالى (ج ١٣ / ١٤٤) من

تفسيره : ﴿ **الذى يراك حين تقوم** ﴾ أى حين تقوم إلى الصلاة فى قول أكثر المفسرين ، ابن عباس وغيره . وقال مجاهد : يعنى حين تقوم حيثما كنت. ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال مجاهد وقتادة : فى المصلين ، وقال ابن عباس : أى فى أصلاب الآباء آدم ونوح وإبراهيم حتى أخرجه نبيّاً . وقال عكرمة: يراك قائماً وراكعاً وساجداً، وقاله ابن عباس أيضاً ، وقيل : المعنى أنك ترى بقلبك فى صلاتك من خلفك كما ترى بعينك من قدامك . وروى عن مجاهد، ذكره الماوردى والثعلبى، وكان عليه السلام يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ، وذلك ثابت فى الصحيح ، وفى تأويل الآية به بعد .

وقال الزمخشرى رحمه الله تعالى (ج ٣ / ١٣٢) من تفسيره : والمراد بالساجدين : المصلون، وقيل معناه: يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة، وتقلبه فى الساجدين : تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده إذا أمَّهم .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى (ج ٥ / ٢١٥) ط دار الفكر : وقوله تعالى : ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال : فى الصلاة يراك وحدك ويراك فى الجمع، وهذا قول عكرمة وعطاء الخراسانى والحسن البصرى، وقال مجاهد: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرى من خلفه كما يرى من أمامه . ويشهد لهذا ما صح فى الحديث : « **سووا صفوفكم فإنى أراكم من وراء ظهرى** » .

وروى البزار وابن أبى حاتم من طريقين عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية : يعنى تقلبه من صلب نبى إلى صلب نبى حتى أخرجه نبيّاً .

وقال الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسيره (ج ٤ / ١٢٢) ط دار الفكر : وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **الذى يراك حين تقوم** ﴾ قال : للصلاة ، وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه: ﴿ **الذى يراك**

حين تقوم وتقلبك فى الساجدين ﴾ يقول : قيامك وركوعك وسجودك .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أيضاً: ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال : يراك وأنت مع الساجدين تقوم وتقعد معهم .

وأخرج ابن مردويه عنه أيضاً فى قوله: ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرى إذا قام إلى الصلاة من خلفه كما يرى من بين يديه، ومنه الحديث فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **هل ترون قبلتى ها هنا فوالله ما يخفى علىَّ خشوعكم ولا ركوعكم وإنى لأراكم من وراء ظهرى** » .

وأخرج ابن أبى عمر العدنى فى مسنده والبزار وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال : من نبى إلى نبى حتى أخرجت نبيّاً .

وقال الشنقيطى رحمه الله تعالى فى تفسيره أضواء البيان (ج ٦/٣٨٨): قوله: ﴿**وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم . وتقلبك فى الساجدين**﴾: قد قدمنا فى ترجمة هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التى تضمنها: أن يقول بعض العلماء فى الآية قولاً وتكون فى الآية قرينة تدل على عدم صحته، وذكرنا أمثلة متعددة لذلك فى الترجمة وفيما مضى من الكتاب، وإذا علمت ذلك فاعلم أن قوله هنا : ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ قال فيه بعض أهل العلم: المعنى: تقلبك فى أصلاب آبائك الساجدين ، أى المؤمنين بالله كآدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل، واستدل بعضهم لهذا القول فيما بعد إبراهيم من آبائه بقوله تعالى عن إبراهيم : ﴿ **وجعلها كلمة باقية فى عقبه** ﴾، وممن روى عنه هذا القول ابن عباس نقله عنه القرطبى، وفى الآية قرينة تدل على عدم صحة هذا القول، وهى قوله تعالى قبله مقترناً به: ﴿ **الذى يراك حين تقوم** ﴾ فإنه لم يقصد به أنه يقوم فى أصلاب الآباء إجماعاً، وأول الآية مرتبط

بآخرها: أى الذى يراك حين تقوم إلى صلاتك وحين تقوم من فراشك ومجلسك، ويرى تقلبك فى الساجدين أى فى المصلين على أظهر الأقوال، لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتقلب فى المصلين قائماً وساجداً وراكعاً، وقال بعضهم: الذى يراك حين تقوم أى إلى الصلاة وحدك ، وتقلبك فى الساجدين أى المصلين إذا صليت بالناس، وقوله هنا : ﴿ **الذى يراك حين تقوم** ﴾ الآية يدل على الاعتناء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويوضح ذلك قوله تعالى : ﴿ **فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ الآية .

فهذه بعض أقوال المفسرين فى الآية ، وعلى تقدير صحتها من جهة المعنى، فليس فيها دليل على ما ذهب إليه دحلان وغيره ممن قال بإسلام أبى طالب، فانظر إليهم كيف يفسر أحدهم الآيات على ما تهوى نفسه وتدعوه إليه بدعته.

قال فى أسنى المطالب (ص ٥٣ – ٥٤) : وقد صح فى أحاديث كثيرة أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « **لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات** » وفى رواية : « **لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الحسيبة إلى الأرحام الطاهرة** »، وعلى هذا حمل بعضهم قوله : ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات، فآباء النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر[1] .

أقول : فهذا هو علم المبتدعة تفسيراً للآيات والأحاديث، تفسيراً يوافق أهواءهم ورد وتأويل للأدلة الصحيحة، وعدم التفات إلى فهم علماء الأمة لأدلة المسألة، وإن نظروا فيها لا يأخذون إلا بما فيه تقوية لبدعتهم لغرض التعمية بها على الناس .

---

(١) قد ذكرت هذه الرواية وبينت ضعفها فى الفصل قبل هذا والحمد لله .

٤ – وأما قوله فآباء النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر .

ففيه مخالفة ومغالطة فإن من أعمامه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب، ومعروف فى اللغة أن العم أب فيلزمهم على قولهم هذا إثبات الإيمان لأبى لهب، وغيره من أعمام النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذين لم يؤمنوا، وهكذا إلى إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإن فى سياق نسبه آزر أبو إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو كافر قطعاً لورود الأدلة من الكتاب والسنة بذلك، فعلى قولهم يلزمهم إثبات الإيمان لآزر والد إبراهيم، وإن قالوا هو عمه كما قال بعض السلف وهو مأخوذ عن أهل الكتاب فيقال لهم: العم أب، والصحيح هو ما فى القرآن ﴿**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر**﴾، وما فى السنة كما تقدم فى حديث أبى هريرة مرفوعاً : « **يلقى إبراهيم آباه آزر** ... » الحديث ، والحمد الله رب العالمين .

٥ – وأما قوله : لأن الكافر لا يوصف بأنه طاهر . فقد ذكرنا عن البيهقى : أن أنكحة الكفار صحيحة ، وأن كفرهم لا يقدح فى نسبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وهذا من تخبطاتهم فحملهم قولهم بإسلام أبى طالب على القول بإسلام جميع آبائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهذا شأن من لم يقيد نفسه بالدليل بل شأن العاطلين من علم الكتاب والسنة، فهم عندهم علم بالتلبيس والتعمية على الناس، ولعل هذه الأشياء التى نذكرها عنهم من أكبر الأدلة على ذلك ، والله أعلم .

فإن صحت الروايات فالمراد طهارة الأرحام مما كان يعترى المجتمعات، فيكون المعنى أنه من نكاح لا من سفاح والله أعلم .

٦ – ومن أجل أن تزداد معرفة لتعمية المبتدعة وتلبيساتهم ولتزداد يقيناً

فيما أذكره لك عنهم اقرأ معى ما ذكره دحلان (ص ٥٤) من أسنى المطالب قال : وحيث إن أبا طالب قال : هو على ملة عبد المطلب فنذكر بعض ما ذكروه فى عبد المطلب لتعلم علماً يقيناً أنه كان على التوحيد .

أقول : ماذا ستذكر ؟ ستذكر أنه كان يستقسم بالأزلام، وأنه كان يأتى الكهان، وأنه كان يذبح عند أساف ونائلة، وكان إذا حزبه أمر فزع إلى هبل يدعو عنده ؟!!! .

وزعمهم هذا يزيد ما سيأتى قوة، وهو أنهم لم يعرفوا التوحيد على حقيقته فهم يخلطونه بالشركيات، أو أنهم عرفوه ولكن أعمتهم البدعة وأصمهم التقليد، وهذا قصارى جهدهم ومبلغ علمهم .

فعبد المطلب، وأبو طالب، وأبو لهب، وعبد الله بن عبد المطلب، وغيرهم من الذين هلكوا فى الجاهلية، وخرجوا من الدنيا بدين قومهم وملة أشياخهم، يشملهم قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لذلك الأعرابى : « **حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار** ». وقد تقدم ذكره بسنده والحمد لله رب العالمين .

فقولهم: إن عبد المطلب كان على التوحيد، مجانب للصواب وليت شعرى هل عرف أصحاب هذا القول التوحيد من الشرك أم لا؟ والذى ينظر فى عبادتهم وما يصدر منهم يدرك جيداً أنهم لم يعرفوا التوحيد على حقيقته، فلذا تراهم يتلبسون بالشركيات ويروجونها ويدعون إليها، فالقوم عرفوا الشرك لا ليحذروه ويحذروا الناس منه وإنما ليضللوا به على الناس ويستنزفوا به أموالهم .

❋ ❋ ❋

□ الفصل الثالث □

○ فى اختلاط أمر الشر بالتوحيد عند المبتدعة ○

والمقصود هنا هو معرفة موقف عبد المطلب من التوحيد؛ لأن المبتدعة يلبسون على الناس ويقولون :

قول أبى طالب هو على ملة عبد المطلب فيه إيهام من أبى طالب لكفار قريش، وإشارة إلى أن عبد المطلب كان على التوحيد؛ بل إن جميع الآباء كلهم موحدون. فليت شعرى هل عرف هؤلاء المبتدعون الشرك من التوحيد؟

أقول : إنهم لا يعرفون ذلك، والدليل على هذا أنهم يتوسلون إلى الله بالأموات؛ بل ربما دعوهم من دون الله، ويزعمون أن للأموات والأحياء من الأولياء سراً، وهذا السر لو سألتهم وقلت لهم : ما هو أى شيء هو؟ ما حقيقته؟ إلى غير ذلك من الأسئلة لا يزيدون على قولهم: عندهم سر، أصحاب سر، وهكذا. فينذرون لهم من دون الله ويحلفون بهم من دون الله، ويذبحون لهم من دون الله، ويخافونهم من دون الله ويحبون كحبهم لله؛ بل قد يكون أشد من حبهم لله، وهذا شائع ذائع بين طائفتى الشيعة والصوفية، فهل عرفوا معنى قوله تعالى : ﴿ **ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾، فعبد المطلب لم يدع هبل، ولم يذبح عند إساف ونائلة، وكذا غيره من المشركين لم يفعلوا ذلك إلا ليقربوهم إلى الله زلفى، فلما كانت الشيعتان تسلك طريقاً يشبه الطريق تحاشوا أن يقولوا: هذا شرك

للحلف بغير الله، وللاستعاذة بغير الله، ولدعاء غير الله، وللذبح لغير الله إلى غير ذلك من أنواع الشرك وأصنافه، ففاقد الشيء لا يعطيه، وكل إناء ينضح بما فيه، فلما كانوا كذلك ظنوا أن القوم على هدى؛ بل تجاوزوا الحد إلى أن قالوا: قوله تعالى : ﴿ **وتقلبك فى الساجدين** ﴾ معناه فى أصلاب آبائه ، وكانوا من الساجدين، فلمن كانوا يسجدون لهبل لكى يقربهم إلى الله زلفى أم لله بواسطة هبل، فقد كان هذا معروفاً مشهوراً حتى على مستوى القرابين. قال الله عز وجل : ﴿ **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون** ﴾، ولا يخفى على كثير من الناس أمر الزيارات والموالد والحضرات والنذورات، وما يعود عليهم من خلالها من أموال من ظهور أولئك المساكين رعاع الناس، الذين وثقوا بهم فكانوا هم الضحية الأولى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم إن بعضهم قد يكون فى مسألة الأبوين وأبى طالب يميل إلى حسن الظن بالناس، فيلزمه أن يحسن ظنه بفرعون، فإنه ثبت بإخبار الله عز وجل لنا عنه أنه قال : آمنت أنه لا إلـه إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . فحسنوا ظنكم به وأنا على يقين أنه لو طلب من أحد المبتدعة أن يؤلف رسالة فى نجاة فرعون لفعل؛ بل قد فعل ما هو أطم من ذلك، فهذا ابن عربى الطائى الصوفى شيخ أهل الكشف وإمام أهل الحلول يقول: إن فرعون كان مصيباً حين قال : ﴿ **ما علمت لكم من إلـه غيرى** ﴾، وحين قال : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾، وإن موسى كان مخطئاً حين أنكر على فرعون قوله ، ودعاه إلى الله، وحين أنكر على بنى إسرائيل عبادتهم العجل، ويقول: إنهم ما عبدوا إلا الله. وهكذا الدجل والتضليل والتلبيس على الناس.

قال الحافظ الذهبى رحمه الله تعالى (٢٣ / ٤٨) من السير فى ترجمة ابن عربى : محمد بن على إلى قوله : ومن أردإ تواليفه كتاب الفصوص، فإن

كان لا كفر فيه فما فى الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله .

وقال : ولا ريب أن كثيراً من عباراته له تأويل إلا كتاب الفصوص .

أقول : والخلاصة: أن المبتدعة وأصحاب الأهواء مستعدون أن يقولوا المحال، ويأتوا بالقبيح من الفعال؛ لأنهم يدورون فى فلك أهوائهم، ولا يتقيدون فى ذلك بكتاب ولا بسنة؛ فلما كانوا كذلك صار لا يستغرب أن يصدر منهم مثل هذه الأمور .

قال الذهبى رحمه الله تعالى (١٤ / ٣٣١) من السير فى ترجمة الحلاج بعد أن ذكر كلاماً لشخص مغرور بالحلاج فنقول : بل من زرن نفسه وزمها بالكتاب والسنة فهو صاحب برهان وحجة فما أخيب سهم من فاته ذلك .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى البداية (ج ٢ / ٢٦١): والمقصود أن عبد المطلب مات على ما كان عليه من دين الجاهلية، خلافاً لفرقة الشيعة وفى ابنه أبى طالب، على ما سيأتى فى وفاة أبى طالب وقد قال البيهقى بعد روايته هذه الأحاديث فى كتابه دلائل النبوة : وكيف لا يكون أبواه وجده عليه الصلاة والسلام بهذه الصفة فى الآخرة، وقد كانوا يعبدون الوثن حتى ماتوا، ولم يدينوا دين عيسى ابن مريم عليه السلام، وكفرهم لا يقدح فى نسبه عليه الصلاة والسلام؛ لأن أنكحة الكفار صحيحة، ألا تراهم يسلمون مع زوجاتهم فلا يلزمهم تجديد العقد ولا مفارقتهن إذا كان مثله يجوز فى الإسلام وبالله التوفيق . انتهى كلامه .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى قلت : وإخباره صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهل النار لا ينافى الحديث الوارد عنه من طرق متعددة؛ أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصم يمتحنون فى العرصات يوم القيامة كما بسطناه سنداً ومتناً فى تفسيرنا عند قوله تعالى : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾، فيكون منهم من يجيب ومنهم من

لا يجيب، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة، ولله الحمد والمنة.

وأما الحديث الذى ذكره السهيلى، وذكر أن فى إسناده مجهولين إلى ابن أبى الزناد عن عروة عن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سأل ربه أن يحيى أبويه فأحياهما وآمنا به ، فإنه حديث منكر جداً، وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى، لكن الذى ثبت فى الصحيح يعارضه . والله أعلم .

أقول أيضاً : وهل ينفع عبد المطلب قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب** »، كما ثبت ذلك فى الصحيح من حديث البراء .

فالجواب: أن ذلك لا ينفعه، فالقرابة لا عبرة بها، كما لا تنفع قرابة ولد نوح من نوح عليه السلام، وكما لا تنفع قرابة تلك المرأتين من زوجيهما كما أخبرنا الله تبارك وتعالى عن ولد نوح بقوله : ﴿ **ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين. وقيل ياأرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقُضِىَ الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين. ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين. قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين** ﴾ وقال فى شأن المرأتين : ﴿ **ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين** ﴾ .

وهذا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول كما فى الصحيح من حديث أبى هريرة : « **يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذى نفسك من النار فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً ، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلاها** » .

رواه البخارى (٨ / ٥٠١) ومسلم (٣ / ٧٩ /٨٠) مع النووى وهذا لفظ مسلم، وفى لفظ آخر لهما : « **يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً، يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئاً** » . الحديث .

وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم من حديث أبى هريرة مرفوعاً: « ..... **ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه** » .

وأما حديث : «**ما بال أقوام يقولون : إن رحمى لا تنفع، بلى والله إن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة** » .

فرواه أحمد فى المسند (٣ /١٨ – ٦٢) والحاكم فى المستدرك (٤ / ٧٤) من طريق محمد بن عبد الله بن عقيل عن حمزة بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه .

عبد الله بن محمد بن عقيل صدوق فى حديثه لين، ويقال: تغير بآخره، وحمزة بن أبى سعيد: قال الحافظ فى تعجيل المنفعة: روى عن أبيه وعنه عبد الله بن محمد بن عقيل وثقه ابن حبان ، ثم قال الحافظ : قلت : لم يذكر فيه ابن أبى حاتم جرحاً ولا ذكروا له راوياً غير ابن عقيل .

قلت : فالحديث ضعيف لذلك، ورواه أبو يعلى (ج٢ / ٤٣٣ /٤٣٤) من طريق زهير عن عبد الله بن محمد عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى

عن أبيه .

زهير رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها قال أبو حاتم : حدث بالشام من حفظه فكثر غلطه . **قلت** : وشيخه ابن عقيل تقدم أنه تغير بآخره، فكأن الوهم فيه منه . ورواه البزار كما فى كشف الأستار (٣ / ١٥٣) من طريق شريك عن ابن عقيل عن حمزة بن أبى سعيد وسعيد بن المسيب وشريك ضعيف ساء حفظه لما ولى القضاء، ورواه البزار من حديث بن عباس مطولاً كما فى كشف الأستار (٣ / ١١١) وهو من طريق إبراهيم بن اسماعيل حدثنى أبى عن سلمة بن كهيل .

إبراهيم ضعيف وأبوه متروك، لكن إسماعيل لم تذكر له رواية عن جده سلمة بن كهيل، فلعل فى السند سقطاً؛ إذ هو يروى عن أبيه يحيى بن سلمة بن كهيل وعمه محمد بن سلمة بن كهيل وفى ترجمة سلمة قال روى عنه ابناه يحيى ومحمد . فإن كان كذلك فيحيى بن سلمة بن كهيل متروك، وكان شيعياً .

وكذلك حديث : « **ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تغنى شيئاً** ... » الحديث ذكره ابن عدى فى الكامل (٤ / ١٤٩٦) فى ترجمة عبد الله بن جعفر بن نجيح والد على بن المدينى، قال النسائى : متروك الحديث . وقال مرة : ليس بثقة .

وعند أحمد فى المناقب (ج ١٧٨/٢) عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال : رأى عمر امرأة – يعنى متبرجة – فقال : أترين قرابتك تغنى عنك شيئاً، فجاءت إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأخبرته فقال : « **ما بال أقوام يزعمون أن شفاعتى لا تنال أهل بيتى وأن شفاعتى تنال خا وحكم** » – قبيلتان – أو كما قال . وهو ضعيف لأن قتادة لم يسمع من عمر ولا أدرك زمانه ، ثم إن رواية معمر عن البصريين ضعيفة وقتادة بصرى.

ورواه أيضاً (ص ١٧٩) من الجزء نفسه من طريق عبد الرزاق عن

معمر عن خلاد بن عبد الرحمن عن أبيه عن أم هانىء فذكره .

وقال : خا وحكم، قال عبد الرزاق : خاء وحكم قبيلتان ، خا : خولان ، وحكم : مذحج .

أقول : خلاد بن عبد الرحمن بن جندة الصنعانى الأبناوى ذكره الحافظ ولم تُذكر له رواية عن أبيه، سئل عنه أبو زرعة فقال : صنعانى ثقة .

وأما أبوه فلم أعثر له على ترجمة ولا ذكر له فى شيوخ خلاد، ولا فى الرواة عن أم هانىء، لكن ذكر الحديث الهيثمىُّ فى مجمع الزوائد (٩ / ٢٥٧) من رواية عبد الرحمن بن أبى رافع أن أم هانىء بنت أبى طالب ثم قال : رواه الطبرانى وهو مرسل ورجاله ثقات .

وفى قوله احتمالان: إما أن يريد أن عبد الرحمن بن أبى رافع لم يسمع من أم هانىء فهو متأخر، أو إيهامه فى قوله إن أم هانىء خرجت متبرجة فيوهم أنه حضر القصة والله أعلم .

ومما يؤكد ما قلناه هذه المؤاخذة :

٧ - وهى أنه ذكر أشعاراً، ولا تكاد تجد قصيدة أو مديحة لشيعى أو صوفى إلا وفيها غلو وتجاوز للحد، من إطراء ورفع الشخص فوق منزلته وطلب والغوث من المخلوق دون الخالق سبحانه وتعالى، وهذا هو الشرك بعينه؛ لأنه طلب من غير الله شيئاً لا يقدر عليه إلا الله ومتعاطيه يكون كافراً إلا أن يكون جاهلاً بهذا الحكم، فيكون آثماً لتقصيره فى تعلم عقيدته .

والمؤاخذة عليه هنا هى أنه ذكر فى أسنى المطالب (ص ٧٧ - ٨٠) قصيدة فى مدح أبى طالب وفى ضمنها قوله :

فيا سعيد المساعى فى متاجره   قد جئت ربعك أستهمى غواديه
مستمطراً منك مزن الخير معترفاً   بأن غرس المنى ينع بصافيه

ومنك مستعطفاً خير الأنام ومن تكن وسيلته فالفوز يأتيه
فيا نبى الهدى عطفاً على دنف الشوق يدنيه والأوزار تقصيه
ألغوث ألغوث يا طه فخذ بيدى من ورطة النفس والشيطان والتيه

إلى آخره. ففى هذه الأبيات توسل بمخلوق إلى مخلوق، وفيها استسقاء حسى أو معنوى، وتوسل بما هو محرم، وفيها شطح وقطع الله بغير علم، والقول عليه بغير علم عديل الشرك به فى الحرمة . وفيها استغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله .

أما التوسل بالمخلوق إلى المخلوق فقوله : ومنك مستعطفاً خير الأنام .... فيطلب من أبى طالب استعطاف خير الأنام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلأى شيء يستعطف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ ألغفران للذنوب ؟ فالله تبارك وتعالى يقول فى كتابه الكريم ﴿ **ومن يغفر الذنوب إلا الله** ﴾، أى هل هناك أحد يغفر الذنوب غير الله عز وجل، فمن هو ذا الذى يغفر الذنب ويقبل التوبة ويعفو عن السيئات غيره سبحانه وتعالى، قال عز من قائل : ﴿ **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون** ﴾ .

وقال : ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده** ﴾ الآية .

أو أنه يستعطف لأجل الشفاعة فقد تقدم أنه لابد من الإذن للشافع والرضى عن المشفوع إلى غير ذلك، قال الله عز وجل : ﴿ **يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً** ﴾ .

وقال :﴿ **ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾ .

إذن فلأى شيء يستعطف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويستغاث به، ألأن له من الأمر شيئاً؟ فليس له من الأمر شيء كما قال الله

عز وجل : ﴿ **ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون** ﴾، فلو كان له من الأمر شيء لأخذ بيد عمه عبد العزى فيصير وليّاً حميماً بعد أن كان عدوّاً لدوداً؛ لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان أحرص وأطمع فى هداية قرابته قبل غيرهم، فلقد كان أخذه بيد عمه أبى لهب أولى وأحرى من أخذه بيدك أيها المستغيث .

ثم ما فائدة استعطاف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم والاستنجاد به وطلب الغوث منه بعد قوله فى أبى طالب : ..... ومن تكن وسيلته فالفوز يأتيه، فما فائدة طلب الغوث من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولأى شيء يطلب الغوث وقد حصل الفوز بسبب كون أبى طالب وسيلته كما زعم ؟ .

وهذا تلبيس شديد وتضليل عظيم للمسلمين من قرنى الضلال : الشيعة والصوفية .

فأبو طالب لم ينج بنفسه فضلاً عن أن يكون وسيلة لنجاة غيره .

ثم إن طلب الغوث من النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو من غيره من الأنبياء أو الأولياء يعتبر دعاء من دون الله وهو شرك فى ألوهية الله، والداعى يكون مشركاً، وهذا ليس شيئاً من زبالة فكرى .

قال الله تبارك وتعالى مبيناً أن الدعاء عبادة، وهى لا تصرف إلا لله وحده لا شريك له : ﴿ **وقال ربكم ادعونى أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين** ﴾، سماه دعاء ثم سمى الدعاء عبادة. وأخيراً إن من استكبر عن دعائه أنه سيدخله جهنم داخراً أى حقيراً ذليلاً، فما ظنك بمن دعا غير الله تعالى، نسأل الله السلامة والعافية .

وقال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **الدعاء هو العبادة** » رواه أصحاب السنن من حديث النعمان بن بشير، وهو حديث صحيح .

ففى الآية والحديث أن الدعاء عبادة، والعبادة لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ، إذ هو سبحانه المستحق لها دون غيره ، قال الله عز وجل : ﴿ **وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ .

وقال : ﴿ **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين** ﴾ أى المشركين، كما قال : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى مبيناً أن من دعا إلـٰهاً آخر مع الله أو من دون الله أنه كافر : ﴿ **ومن يدع مع الله إلـٰهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ فسمى الداعى مع الله إلـٰهاً آخر : كافراً .

فمن جعل غير الله فى الدعاء مثل الله يستسقيه ويستغيث به ويستجير به، سواء كان ذلك المدعو من دون الله ملكاً مقرباً أو نبيّاً مرسلاً أو وليّاً لله صالحاً، جنيّاً أو إنسيّاً، حيّاً أو ميتاً، فإنه كافر بالله العظيم، وإن غالط نفسه، فقد كان فرعون يعلم أن موسى مرسلٌ، وأن تلك البصائر أنزلها الله وكان على يقين من ذلك، كما قال تعالى : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً** ﴾، وقال فى محاورة موسى لفرعون : ﴿ **قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾، فقد كان عالماً بذلك مستيقناً له، لكنه غالط نفسه وقومه فقال : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾، وقال : ﴿ **ما علمت لكم من إلـٰه غيرى** ﴾ إلى غير ذلك .

فإن قالوا : نحن ما ندعوهم؛ وإنما نتوسل بهم إلى الله، نقول : الحمد لله قد علم الله الأشياء قبل أن يخلقها بخمسمائة عام، فقد علم الله أنه سيأتى أناس يسترون شركهم بقولهم: هذا توسل، فقد عيرهم الله تعالى فى كتابه الكريم بقول من سبقهم فى ذلك حيث قال : ﴿ **ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم**

بينهم فى ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار ﴾ .

فأولئك قالوا : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء قالوا : نحن ما ندعوهم ، ما أشبه الغراب بالغراب .

ثم سمى الله تعالى من فعل تلك الأفعال واعتذر بتلك الأقوال كاذباً كافراً ، فأتى فى ذلك بصيغة المبالغة فقال : ﴿ **إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار** ﴾ فذكر كفاراً بصيغة المبالغة كما ترى .

وقال سبحانه وتعالى مبيناً أن دعاء غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله سواء فى ذلك الأنبياء والأولياء يسمى شركاً ، قال : ﴿ **يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ .

يعرفنا الله تبارك وتعالى قدرته وعظمته بأنه يدخل الليل فى النهار ويدخل النهار فى الليل وبأنه ذلل الشمس والقمر فجعلهما مسخرين مطيعين لا يتجاوزان ما سمى وما حد لهما ، ثم قال : ﴿ **ذلكم الله ربكم** ﴾ فكأنه يقول : هل من إلٰه غير الله يفعل ذلك فيستحق ما تصرفون له من العبادة ؟ .

ثم قال : ﴿ **له الملك** ﴾ أى هو خالق كل شىء ومالكه - فكأنه يقول : هل من إلـٰه من هذه الآلهة التى تؤلهونها من دون الله يملك شيئاً من هذا الملك العظيم ، فيستحق شيئاً من هذه العبادة التى تصرفونها لهم ؟

الجواب : لا ليس أحد يملك شيئاً ؛ بل الله خالق كل شىء ومليكه .

ثم قال مؤكداً ذلك : ﴿ **والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير** ﴾ كل من يعبد من دون الله ، ويدعى من دون الله ، ويعظم من دون الله،

سواء كان ملكاً أو نبيّاً أو وليّاً لله صالحاً ، فإنهم لا يملكون قطميراً ، والقطمير : هو تلك اللفافة الرقيقة تكون بين التمرة والنواة ، فإذا كان هذا فى حق هؤلاء فما الظن بغيرهم ؟ .

ثم قال : ﴿ **إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم** ﴾ أى لأنهم أموات والله قد قال : ﴿ **إنك لا تسمع الموتى** ﴾ ، وقال : ﴿ **وما أنت بمسمع من فى القبور** ﴾ ، فإذا كان هذا فى حق سيد ولد آدم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فما ظنك بغيره ، أو لأنهم غائبون عنكم غافلون عن دعائكم .

ثم قال : ﴿ **ولو سمعوا ما استجابوا لكم** ﴾ الأصل أنهم لا يسمعون لأنهم أموات ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم كقوله : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه** ﴾ والأصل أنهم إليها لا يرجعون .

ولو سمعوا ، أى بأن كانوا أحياء : ﴿ **ما استجابوا لكم** ﴾ لأن طلبكم فوق طاقتهم ومقدرتهم ، كطلب الشفاعة منهم فلا يشفعون إلا بإذنه ولا يشفّعون إلا فيمن ارتضى ، أو كطلب الغيث ، فهذا من خصوصيات الله تعالى كما قال : ﴿ **وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد** ﴾ أى هو يفعل ذلك وحده لا شريك له .

أو كطلب المال والولد فإنهم لا يستجيبون ولا يستطيعون ، قال الله تعالى : ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق** ﴾ أى : هو الذى فعل ذلك بكم وحده لا غير .

وقال : ﴿ **ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ وقال : ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ .

أى : هو وحده فعل بكم ذلك ، أفتعبدون غيره فتطلبون منه المال والولد لا يقدر على إعطائكم ذلك أحد إلا الله وحده لا شريك له .

أو يدعونه من دون الله لجلب نفع أو دفع ضر أو ردغائب أو إخراج مخبوء إلى غير ذلك ، مما لا يقدر عليه أحد إلا الله وحده لا شريك له .

ثم قال : ﴿ **ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير** ﴾ سماه دعاء فى أول الآية ، وسماه هنا شركاً ، ولم يقل يكفرون بدعائكم ، ليبين أنه لما صرف لغير الله صار شركاً ومتعاطيه يكون مشركاً .

وقال الله عز وجل : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون** ﴾ ، ويقول تعالى مبيناً بطلان ألوهية من يدعى من دون الله : ﴿ **ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض** ﴾ أى : سل هؤلاء الذين يدعون غير الله ، سلهم من خلق السماء أجبريل ، أم ميكائيل ، أم الملائكة كلهم أجمعون ، أم غيرهم من الجن والإنس ، فمن هو ذا الذى خلق السموات والأرض فيستحق أن يدعى من دون الله ؟

فالجواب : أنه لا أحد خلق السموات والأرض غير الله وحده لا شريك له فكذلك هو المستحق أن يدعى وحده لا شريك له فاحتج عليهم بالربوبية لإثبات الألوهية .

ثم قال : ﴿ **قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله** ﴾ أى لجلب النفع ودفع الضر : ﴿ **إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله** ﴾ أى هو كافينى وحده لا شريك له ، فهو الخالق الرازق القابض الباسط الممرض الشافى المحيى المميت مالك الملك بيده كل شىء وإليه يرجع الأمر كله وهو على كل شىء قدير ، فكيف تدعون غيره ممن لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا رزقاً ولا موتاً، ولا حياة ولا نشوراً،

ولا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، ولا يستطيعون لكم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ، أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ؟.

وهنا شيء لا بد من التنبه له والتنبيه عليه ، وهو أن المبتدعة– والقبوريين خصوصاً– يجن جنونهم وتضج أبواقهم عندما يسمعون أهل السنة يطرقون مثل هذه المواضيع بالبيان لما يشرع للأمة أن تفعله وتتقرب به إلى خالقها ، وتحذيرها من الشركيات والبدع والخرافات ، فلا يجدون فى صدورهم شيئاً يشفى غليلهم من أهل السنة سوى الافتراء عليهم والتنفير عنهم بكل ما عندهم من عدم خوف وحياء .

فتراهم يرمون أهل السنة بأنهم يكفرون الأمة أو يكفرون المسلمين إلى غير ذلك من البهتان ، لكن الحقيقة كما قيل : رمتنى بدائها وانسلت ، فهم يكفرون من لم يقل بقولهم ، ويلزمونه بما لا يلزم ، فخذ مما نحن فيه على سبيل المثال أن فى فتاويهم وفى كتبهم : أن بغض أبى طالب كفر ، انظر (ص ٦٠) و (ص ٨٣) من أسنى المطالب فى نجاة أبى طالب ، ثم يلزمونه بأنه يؤذى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومن ثم يستحلون لعنه بل وقتله ، لأنه فى نظرهم مبغض لأبى طالب فهو إذن مبغض لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والقول بأن أبا طالب كافر فيه إيذاء للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ومؤذى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كافر يقتل بل وصل الأمر ببعضهم إلى أن يقول :

ومن يقل فى النار والدا النبى   فهو لعين قاله ابن العربى

وبأمثال هذا يستحل المبتدعة وأصحاب الأهواء قتل ولعن وتكفير من لم يقل بقولهم ولم يوافقهم على أهوائهم .

ولنا هنا أن نسألهم من الذى قال : والدا النبى فى النار ألم يقل

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لذلكم الذى سأله : « **إن أبى وأباك فى النار** » والحديث فى الصحيح كما تقدم .

وكذا فى شأن أمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ففى الصحيح أنه أراد أن يستغفر لها فلم يأذن له الله تبارك وتعالى .

لكن بقى أنه من المستحسن أن نقف على لفظ قول ابن العربى بحروفه ؛ لأن المبتدعة وأصحاب الأهواء لا يؤتمنون على نقل النصوص ، فقد اشتهر عنهم بتر النصوص وتلفيقها ، فإن ثبت عنه ذلك قلنا- وبالله التوفيق- لهذا وأمثاله : حرم الله تعالى التقليد وحتم الاتباع والاقتداء برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وأمرنا بأخذ جميع ما أتانا به ، وأمرنا بترك جميع مانهانا عنه.

وأما غيره فنأخذ من قوله ما وافق الحق ، ونترك ما خالف ، سواء كان إماماً من أئمة المسلمين ، أو تابعيًا من التابعين ، أو صحابيًا من صحابة سيد المرسلين رضى الله عنهم أجمعين .

فهذا الله تبارك وتعالى ذكر ذلك الصنف ، وذكر أعمالهم وأقوالهم ، ثم كفرهم بها وسماهم مشركين، فلم نأت بشىء من عندنا . والحمد لله رب العالمين.

وفى مسألة أبى طالب والأبوين كذلك لم نأت بشىء من عندنا أو من اجتهادنا ، إنما ذكرنا ما ورد فى ذلك من كتاب الله وما صح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وبحمد الله ما كذبنا على أحد لا بالافتراء ولا بالبتر ولا بالتلفيق بخلاف ما عليه كثير من المبتدعة وأصحاب الأهواء .

٨ - أى من المؤاخذات قول أحمد بن زينى دحلان فى وصف البرزنجى :

قال ص (٣) : وكل دليل استدل به القائلون بعدم نجاته قلبه عليهم وجعله دليلاً لنجاته .

وقال (ص ٦٨) فى الثناء عليه : أنه فى أكثر محاوراته يغلب حجة خصمه ويجعلها حجة عليه .

أقول : والمعتبر فى ذلك كله هو الحق ، أما أن يكون ذلك لأجل الباطل أو الهوى فلا يعتبر ذلك ، وإن وجد رواجًا عند بعض الناس ، فإن الكساد يدركه عند رب الناس ، ثم إن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أشار لنا إلى هذا الصنف بقوله كما فى الصحيح من حديث ابن عمر : « **إن من البيان لسحراً** » ، وبقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إنكم تختصمون إلَّى ولعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له بحق أخيه فمن قضيت له بحق أخيه فإنما أقطع له نار جهنم** » .

وهذا فى شأن الخصومات الدنيوية ، فكيف إذا كان هذا فى مسائل تتعلق بالدين ؟ فهى وصمة عار وليست من مسائل الافتخار أن تقلب الأدلة الصحيحة عن وجهتها إلى ما تشتهيه النفس من الهوى ، فهذا شأن المعاندين من المبتدعين وغيرهم من المقلدين ، وقد أحسن من قال :

فى زخرف القول تزيين لباطله والحق قد يعتريه سوء تعبير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن تشأ قلت ذا قئ الزنابير

٩ - قال ص (٤) من أسنى المطالب : إن العلامة البرزنجى أثبت أولاً حصول الإيمان لأبى طالب بالحجج والبراهين ، ثم أثبت له النجاة .

أقول : قد عرَّف الإيمان بما يلزمه أن يثبت به الإيمان لفرعون ؛ بل ولإبليس وجميع المشركين ، وقد بسطنا القول فى الرد على من عرف الإيمان بأنه التصديق فيما تقدم بما يغنى إن شاء الله عن ذكره هاهنا ؛ فإن الإيمان قول وعمل واعتقاد لا يجزىء أحدهما عن الآخر إلا ما استثنى من ذلك ، وهو أنه ما إذا أقر وصدق ثم أدركه الموت أن ذلك ينفعه عند الله يوم القيامة ، وكذلك ما إذا أقر وصدق ثم أدركه الموت قبل أن يأتى بالإقرار ، وعلم الله منه أنه

لو أُخِرَّ شيئاً من الوقت لأقر ، ولو أُخِرَّ كذلك لعمل ، لرجونا أن ينفعه ذلك عند الله ، هذا فيما لم يأت فيه نص صحيح صريح ، فكيف بأبى طالب وقد جاء فيه من الأخبار ما قد ذكرناه ، مما يدل على إعراضه عن الإقرار؟! ولو سلمنا أنه مصدق، لكن قد جاءت نصوص كثيرة من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تقضى بأن أبا طالب لم يمت على الإقرار ، ولا على التصديق ، وإنما مات على الشرك كما فى آية النهى عن الاستغفار للمشركين ، وكان نزولها فى أبى طالب ، وحديث أسامة بن زيد ، فلا يسعنا بعد مجيء هذه الأدلة إلا أن نسلم ونرضى بقضاء الله تبارك وتعالى ، لكن بقى الذين لم يأت نص من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهم أنهم من الناجين أو من الهالكين ، ولم يأت أنهم كانوا على دين أى من الأنبياء المتقدمين ، وهلكوا قبل أن تصل إليهم دعوة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فهؤلاء يكونون من أهل الفترة ، الذين يدلون بحجتهم بأنهم لم يأتهم رسول ولو جاءهم لآمنوا به ، فيختبرهم الله بنار يؤمرون بالدخول فيها ، فإن دخلوها كانت عليهم برداً وسلاماً ، وإن أبوا الدخول فيها ، يقول الله تعالى لهم : عصيتمونى فأنتم لرسلى أشد عصياناً - أى لو جاءوكم ، فتغشاهم النار ، أو كما جاء فى الحديث . وكذا الأصم والشيخ الفانى والمعتوه كل هؤلاء ثبت فى حقهم الاختبار فى عرصات القيامة ، نسأل الله السلامة ، فنرجو أن من لم يأت فيه نص من الكتاب والسنة من آباء النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يكون من الذين يختبرهم الله فيوفقهم الله للدخول فيها طوعاً حتى تصير عليه برداً وسلاماً .

١٠ - ومنها أيضاً قوله (ص ٥) : وينفرد الإيمان عن الإسلام فيمن يصدق بقلبه ولا ينطق بالشهادتين عناداً ، ولا ينقاد للأفعال الظاهرة الشرعية ، وذلك ككثير من علماء اليهود الذين عرفوا أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم رسول صادق ، ولم ينطقوا بالشهادتين ولم يتبعوه ولم ينقادوا لما جاء به ، وقد قال الله تعالى فيهم : ﴿ **يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ فهم لم يقروا

برسالته عناداً ، ويعتقدون فى قلوبهم صدقه فى دعوى الرسالة ، فهؤلاء مؤمنون به فى الباطن مكذبون به فى الظاهر عناداً ، فلا ينفعهم الإيمان الباطنى حيث كان تكذيبهم الظاهرى عناداً .

أقول : ما الفرق بين كفر أهل الكتاب وكفر أبى طالب ، فالكفر هو الكفر إلا أن كفر اليهود نشأ عن طريق الحسد والعناد ، وكفر أبى طالب ناشىء عن الكبر والأنفة ، كما هو معلوم من أقواله فى ذلك نظماً ونثراً .

ثم لتعلم التناقض فى هذا الكلام ، وهو أنه عرَّف الإيمان فيما تقدم بأنه التصديق القلبى بواحدانية الله تعالى ورسالة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم والتصديق بكل ما جاء به عن الله تعالى .

ثم قال هنا : فهؤلاء– يعنى اليهود– مؤمنون به فى الباطن ، فهذا كلام متناقض ، ولا يزال شأن المبتدعة فى تناقض ، فتعريف الإيمان عندهم هو التصديق على مذهب الأشاعرة والأحناف ، وتعريفهم منقوض بما ذكرنا فى المقدمة .

وتعريف الايمان عندهم– كما فى القول المذكور هنا– هو المعرفة ، وهو تعريف جَهْم ، حيث إنه استدل على إيمان اليهود الباطنى بقوله تعالى : ﴿ **كما يعرفون أبناءهم**﴾ .

وقد تقدم نقده وبيان فساده ، فالمبتدعة يتخبطون تارة هنا وتارة هناك .

ثم أيضاً ليتضح لك التلبيس من قوله : فلا ينفعهم يعنى الإيمان فكيف لم ينفعهم ونفع أبا طالب ، والكفر ملة واحدة ، إلا أنه هنا اختلفت أسبابه من عناد وحسد إلى كبر وأنفة .

قال أبو حاتم ابن حبان رحمه الله تعالى فى محمد بن كرام السجستانى : خذل حتى التقط من المذاهب أرداها ، ومن الأحاديث أوهاها . فما أحق المبتدعة بهذا القول وأنه لصادق عليهم .

ثمَّ إن اليهود لا يعرفونه كلهم ، وإنما الذين يعرفونه هم الأحبار .

١١ - زعمهم أن أبا طالب انما امتنع من قول : لا إله إلا الله لتبقى حمايته ونصرته لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهم ، ويكون هذا عذراً له فى عدم نطقه بها .

وقولهم هذا منقوض من عدة وجوه :

* أحدها : أن أبا طالب أدرى بنفسه من غيره ، فقد ذكر السبب المانع له من النطق بلا إله إلا الله أنه يخشى السبة والملامة والتعيير ، وقد تقدم ذكر ذلك فى الأحاديث الصحيحة الواردة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

* ثانيها : قولهم لتبقى حمايته للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيهم ، يرده قولهم الذى ذكره (ص ٣٨ - ٣٩) من أسنى المطالب ، وقد تقدم بيان تناقضه وضعف أحاديثه عند الكلام على الحديثين الأول والثانى بما يغنى إن شاء الله عن إعادته هاهنا .

* ثالثها : لو كان ما ذكروه صحيحاً لكان ذلك عذراً وسبباً للنجاة ، لكن جاءت الأخبار بأنه فى النار ، ولولا أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم شفع فيه حتى صار فى ضحضاح لكان فى الدرك الأسفل من النار ، فإذا كان عذره هو ما ذكروه فعلى أى شىء يعذب فى طمطام لولا الشفاعة التى خفف عنه بسببها ، ثم على أى شىء يعذب فى الضحضاح فإن كان بسبب سيئات فعنده حسنات لعلها تغمر تلك السيئات وزيادة ، وهى مدافعته ومناصرته ومحبته وحمايته لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فلا شك أنه كان عنده شىء آخر غير السيئات ألا وهو الشرك كما وردت بذلك أدلة كثيرة من الكتاب والسنة كما تقدم ، فبطل بذلك قولهم .

* رابعها : ما سبب نهى الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الاستغفار لعمه أبى طالب وذلك بعد قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **أما والله لأستغفرن لك مالم أُنْهَ عنك** » ، فإن كان المانع له من النطق

إنما هو لتبقى حماية النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلأى شيء النهى عن الاستغفار ؟ فإن قلتم : النهى هنا للناس الذين كانوا يستغفرون لآبائهم المشركين ، قلنا : ما معنى قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك** » . قوله : « **مالم أُنْهَ عنك** » لماذا ينهى عنه وهو مؤمن أو مسلم كما تزعمون .

١٢ - قال (ص ٧) من أسنى المطالب : ثم ذكر البرزنجى اختلاف العلماء فى النطق بالشهادتين هل هو شطر - أى جزء - من مسمى الإيمان أو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فيترتب على كونه شطراً - أى جزءاً - أن تارك ذلك مع القدرة يكون كافراً مخلداً فى النار ، وعلى كونه شرطاً لإجراء الأحكام الدنيوية يكون غير مخلد .

عليه فى هذا مؤاخذتان : .

❋ الأولى : روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قلت : يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « **يا أبا هريرة لقد ظننت أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد قبلك لما علمت من حرصك على العلم ، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال : لا إلـٰه إلا الله خالصاً من قلبه** » . فجمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى جوابه هذا بين التصديق والإقرار ، وهو كقوله تعالى : ﴿ **ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون** ﴾ ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أى لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم ، وقال الشوكانى رحمه الله فى فتح القدير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **إلا من شهد بالحق** ﴾ قال : أى التوحيد ﴿ **وهم يعلمون** ﴾ أى هم على علم وبصيرة بما شهدوا به . إلى آخره .

فعلمنا من الآية والحديث أن الإقرار شطر - أى جزء - وليس شرطاً فحسب.

❋ الثانية : قوله : فيترتب على كونه شطراً أى جزءاً أن تارك ذلك مع القدرة

يكون كافراً مخلداً فى النار ، وقد علمت مما تقدم أن الإقرار شطر من الإيمان ، وقد علمت أيضاً- مما تقدم- أن أبا طالب طُلِبَ منه أن يقر ، فلم يقر مع قدرته على ذلك ، وأما الأعذار التى ذكروها فقد تقدم أيضاً بيانها ، وتوضيح الصحيح منها وهو قول أبى طالب أنه يخشى المسبة والعار ، وهذا هو الصحيح دون غيره ؛ لأنه أعلم بنفسه من غيره .

١٣ - نقلهم تعريف الإيمان عن بعض العلماء دون ذكر قول غيرهم ولا حتى الإشارة إليه ، وليس هذا من الإنصاف ففى أسنى المطالب (ص ٧) نقل تعريف الإيمان عن أبى حنيفة ومن قال بقوله .

فأبو حنيفة رحمه الله تعالى فقيه من فقهاء المسلمين ، لا يجوز تقليده ولا من هو أفقه منه وأجل ممن عاصره أو تقدم زمانه عليه كشيوخه من التابعين وطبقتهم ، بل ولا يجوز تقليد من قبلهم من الصحابة ممن هو أولى من التابعين وأعلم وأجل ، فنترك التقليد لهؤلاء ونتبع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد تقدم بسط القول فى التقليد عند الكلام على وجوب الانقياد لشرع الله تعالى ، فأبو حنيفة رحمه الله تعالى وإن كان إماماً ، فإنه لا يجوز لنا أن نتابعه فى جميع اجتهاداته ، وكذا بقية إخوانه من العلماء الأئمة ، فإن المعتبر هو الدليل لا الرجال ، وقد نُقلت عنهم أقوال فيها تنفيرٌ عن التقليد وأمر بالاتباع ، فأبو حنيفة رحمه الله تعالى اجتهد فى هذه المسألة فخالف الكتاب والسنة وبقية الأئمة ، وقد تقدم القول فى ذلك فى تعريف القوم للإيمان . ولسنا هنا فى صدد تعريفه للإيمان وبيان مخالفته ؛ لكن نقول : لو كان الحق مع أبى حنيفة لأذعنا له واتبعناه ، ولكن الحق أحق أن يتبع ، ولا يسعنا أن نحيد عنه ولا نميل ، والفضل فى هذا لله وحده لا شريك له ، هو الذى بصرنا من العمى وهدانا من الضلال ، ثم لفضيلة شيخنا العلامة أبى عبد الرحمن مقبل بن هادى الوادعى حفظه الله وبارك فيه ، فقد ربانا على الاعتصام بالدليل والمصير إليه والأخذ به من أينما جاء ، فجزاه الله عنا خير الجزاء إذ لم يربطنا بالتقليد له

ولا لغيره ، فنسأل الله أن يجزيه خير ما جزى معلماً عن طلبته ، ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونعوذ به من الحور بعد الكور .

* ثم قوله : وإليه ذهب الإمام أبو الحسن الأشعرى فى أصح الروايتين عنه .

أقول : أما أبو الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى ، فالذى استقر عليه أمره هو الرجوع إلى السنة ، والقول بما يقوله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، وقد أبان ذلك فى كتابه « الإبانة عن أصول الديانة » ، فلا يسوغ لأحد أن يعزو إليه قولاً أو مذهباً أو فكرة قد رجع عنها وتبرأ منها وقوله : أصح الروايتين عنه ، فيه تلبيس ، فقد علمت من هذا أن الصحيح هو تبرؤه من الأهواء ، والاعتصام بالسنة ، والقول بما يقوله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى .

فالمبتدعة وكذا المقلدة مثلهم مثل الغريق يتشبث بما وقعت يده عليه .

١٤ - قال (ص ٨ -٩) من أسنى المطالب : ونقل التفتازانى فى شرح المقاصد ، والكمال بن الهمام فى المسايرة ، وابن حجر فى شرح الأربعين أن شرط النجاة فى الآخرة إذا لم يطالب به ، أى النطق بالشهادتين فإذا طولب به وامتنع عناداً وكراهة للإسلام - أى امتنع امتناعاً على وجه الإباء عن الإسلام والكراهية والعناد فلا ينجو .

أقول : لنا هنا سؤال وهو : هل طُلِبَ من أبى طالب أن ينطق بلا إله إلا الله أم لا ؟

والجواب : نعم طلب منه ذلك فامتنع ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، هكذا بلفظ : أَبَى ، كما ثبت ذلك فى حديث المسيب بن حزن ، وأما قولهم : إنه لم ينطق بذلك لأجل التعمية على الكفار ، فقد تقدم نقض قولهم ، وأن أبا طالب عبر عن حقيقة تركه لذلك بقوله : لولا أن تعيرنى قريش .

١٥ - ذكر دحلان (ص ١٠) من أسنى المطالب ما خلاصته أنه لا يشترط فى النطق بالشهادتين أن يأتى باللفظ المعروف ؛ بل لو أداه بمعناه لأجزأه

ذلك ، ثم خرَّج على ذلك ما جاء من أشعار أبى طالب الذى يقول فيه :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً

وقوله :

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً رسولاً كموسى صح ذلك فى الكتب

وذكر كلاماً لأبى طالب زعم أنها وصية أبى طالب ، وكذا ما ذكره عند أن خطب أبو طالب خديجة للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فنقول : أنت مطالب أولاً بثبوت أسانيد هذه الأشعار والقصص .

وليس فى كلامه ما يدل على الشهادتين ولا حتى على معناهما لكن انظر إلى استنباط دحلان واستنتاجه ، فإنه قال بعد ذكر ما تقدم (ص ١٣) :

فانظر كيف تفرس فيه أبو طالب كل خير قبل بعثته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فكان الأمر كما قال وذلك من أقوى الدلائل على إيمانه وتصديقه بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين بعثه الله تعالى .

أقول : فهل فى قول أبى طالب : ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً . ما يدل على الشهادتين أو معناهما ، وإن أراد أن يجعله دليلاً على إيمان أبى طالب ، فيكون قد عرف الإيمان بتعريف جَهْمٍ حيث عرفه بأنه العلم ، وأن الكفر هو الجهل ، وقد قدمنا بيانه ورده .

وهذا يضاف إلى ما تقدم من تخبطاتهم ومن تلبيساتهم .

١٦ - استدلالهم بأحاديث ضعاف بل موضوعات انظر (ص ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧) وقارن بين ما يستدلون من هذه الأحاديث وبين ما نقله دحلان (ص ٦٩) من أسنى المطالب فى ترجمة البرزنجى قال : كان علامة المعقول والمنقول ، وإمام أهل الفروع والأصول ، والجامع للفنون العلمية ، المتضلع من أذواق الأسانيد النبوية . إلى آخره .

فمن هذه الأسانيد التى يستدلون ما ذكره دحلان (ص ١٤) بقوله :

وقد روى أبو طالب أحاديث عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكلمات تدل على إيمانه وامتلاء قلبه من التوحيد ، فمن ذلك ما رواه الخطيب البغدادى بإسناده إلى جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه على بن أبى طالب قال: سمعت أبا طالب يقول : حدثنى محمد ابن أخى وكان والله صدوقاً قال : قلت له : بم بعثت يا محمد ؟ قال : « **بصلة الأرحام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** » ، فهذا السند ضعيف . قال السيوطى رحمه الله تعالى (ج١/٨٣) من تدريب الراوى مبيناً لسبب ضعفه الذى هو الانقطاع :.. فإن الضمير فى جده عائد إلى جعفر فجده علىّ لم يسمع من علىّ بن أبى طالب ، أو إلى محمد فهو لم يسمع من الحسين .

قلت : فالانقطاع حاصل لا محالة سواء عاد الضمير إلى جعفر أو إلى محمد الذى هو على بن الحسين بن أبى طالب فإنه لم يسمع جديه الحسن والحسين ولا من جده الأعلى على بن أبى طالب . كما فى جامع التحصيل فى أحكام المراسيل ، فعرفنا من هذا أنه سند ضعيف من جعفر إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه لا يُحتج به ، وذلك بسبب الانقطاع . وبقى أيضاً النظر فى السند من الخطيب إلى جعفر الصادق رحمه الله تعالى ، فإن صح إلى جعفر كانت علته ما ذكرناه والحمد لله .

فيقال لدحلان : ثَبِّتْ عَرْشَكَ ثم انقُشْ . فإنه ذكر للحديث شرحاً وأنه يحمل على صلاة ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين قبل غروبها أو صلاة التهجد ، ولا يصح حمله على الصلوات الخمس لأنها إنما فرضت ليلة الإسراء وكان بعد موت أبى طالب ...... وقال فى الزكاة : المراد بها مطلق الصدقة بعد الهجرة فى المدينة ، وكل ذلك كان بعد موت أبى طالب اهـ . فلو أنه قال : الحديث لم يصح من هذا وسلم من هذا العناء لكان أولى به .

١٧ – وقال أيضاً : وأخرج ابن سعد والخطيب وابن عساكر عن عمرو

ابن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى المجاز مع ابن أخى فأدركنى العطش فشكوت إليه ولا أرى عنده شيئاً، قال : فثنى وركه ثم نزل فأهوى بعقبه إلى الأرض ، فإذا بالماء فقال : « **اشرب يا عم** » فشربت .

أقول : الحديث رواه الخطيب فى تاريخه (٣١٢/٣) من طريق سفيان بن وكيع وهو ضعيف عن أزهر بن سعد السمان ثقة كما فى التقريب عن ابن عون قال : قال عمرو بن سعيد : قال أبو طالب .

وعمرو بن سعيد تابعى فتكون القصة مع ضعفها مرسلة .

قال البرزنجى : فلو لم يكن موحداً لما رزقه الله الماء الذى نبع للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذى هو أفضل من ماء الكوثر ومن ماء زمزم .

قال البرزنجى : الذى يرى مثل هذه المعجزة كيف لا يقع التصديق فى قلبه ، وقد كثرت القرائن الدالة على التصديق .

قلت : لم يكتف العلامة المتضلع من أذواق الأسانيد النبوية بالاستدلال بهذه الأحاديث وأمثالها من الأحاديث الواهيات من مقاطيع ومعاضيل ومراسيل إلى غير ذلك من أنواع الضعف ، لم يكتف بذلك فحسب ؛ بل أخذ يبنى عليها أحكاماً عقدية وكأنهما- أعنى دحلان والبرزنجى- لم يسمعا قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذى يقول فيه : « **من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين** » . رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه وكأنهما لم يسمعا بقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **لا تكذبوا علىّ فإنه من يكذب علىّ فليلج النار** » . متفق عليه من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه . قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى (ج١/ ٢٠٠) فى الفتح : جعل الأمر بالولوج مسبباً عن الكذب لأن لازم الأمر الإلزام والإلزام بولوج النار سببه الكذب عليه ، أو هو بلفظ الأمر ، ومعناه الخبر ويؤيده رواية مسلم من طريق غندر عن شعبة بلفظ : « **من يكذب علىَّ يلج النار** » .

ولابن ماجة من طريق شريك عن منصور قال : « **الكذب عليَّ يولج** – أى يدخل – **النار** » . انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

فان كان مستدلاً وشارحاً لتلك الأحاديث ، ويرى أنه لابد له من ذلك فكان الأولى به وقد جمع تلك الأوصاف أن يأتى بالأحوط كما يفعل علماء الحديث فيقول : إن صح الحديث أو إن ثبت الخبر أو ما يرادف ذلك .

وكان الأولى به ؛ بل إنه لواجب عليه ، وهكذا كل من تصدر لمثل هذا ، أن لا يستدلوا بحديث حتى يعلموا صحته أو ضعفه؛ فإن صح نشر بين الناس للعمل ، وإن لم يصح فلا يذكر إلا على وجه البيان والنصح للأمة ، لما سمعت من النهى الأكيد والوعيد الشديد فى الرواية عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم من غير تثبت ونظر هل صح عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أم لم يصح ؟

ولم يكتف باستدلاله بالحديث دون بيان له بل زعم أن ذلك الماء أفضل من زمزم التى يقول فيها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **زمزم طعام طعم وشفاء سقم** »[1] .

---

(١) رواه البزار كما فى كشف الأستار (ج٢/٤٧) فقال : حدثنا أبو كامل ثنا عبد العزيز بن المختار ثنا خالد الحذاء عن حميد بن هلال عن عبد الله بن الصامت عن أبى ذر مرفوعاً : « **زمزم طعام طعم وشفاء سقم** » .

وقال الهيثمى : قلت : طعام طعم فى الصحيح وكذا قال فى مجمع الزوائد وهو كما قال ، وذلك فى قصة إسلام أبى ذر رضى الله عنه ، وذلك أنه قال : مكثت ثلاثين بين ليلة ويوم وما كان لى طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عُكَن بطنى ، وما أجد على كبدى سخفة جوع ، قال : « **إنها مباركة إنها طعام طعم** » . مسلم (٤/١٩٢٢) بترتيب محمد فؤاد عبد الباقى .

فائدة : قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى الفتح (٣/٤٩٣) : وقد وقع فى مسلم من حديث أبى ذر أنها طعام طعم . زاد الطيالسى من الوجه الذى أخرجه منه مسلم : « وشفاء سقم » ، وفى المستدرك من حديث ابن عباس =

وقال فى شأن الكوثر كما فى صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك : « **أتدرون ما الكوثر** » قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فى السماء فيختلج العبد منهم ، فأقول : رب إنه من أمتى فيقول : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك** » .

أقول : وأى حدث أبشع وأشنع بعد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من هذه الأحاديث الضعاف والموضوعات والبدع والخرافات ، وقد صدرت من بعض هذه الأمة لأنه عرفهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وقد جاء من حديث أبى هريرة كما فى الصحيح أنه يعرفهم بآثار الوضوء فإن الأمة المحمدية تأتى يوم القيامة وعليها سيما ليست لأحد من الأمم المتقدمة يأتون غرّاً محجلين ، فكان بينهم فى ذلك مَنْ هذه صفته ، ولكنه يأتى وقد أحدث فى الدين ما لم يأذن به الله ، ويأتى وقد غير وبدل ، فلا يسعه صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا أن يقول : « **سحقاً لمن غَيَّرَ وبَدَّلَ سحقاً لمن غَيَّرَ وبَدَّلَ** » .

وانظر إلى شفقته ورحمته ؛ فإنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يقل ذلك

= مرفوعاً : « **ماء زمزم لما شرب له** » ، رجاله موثقون إلا أنه اختلف فى إرساله ووصله وإرساله أصح ، وله شاهد من حديث جابر وهو أشهر منه أخرجه الشافعى وابن ماجة ، ورجاله ثقات إلا عبد الله بن المؤمل المكى فذكر العقيلى أنه تفرد به ، لكن ورد من رواية غيره عند البيهقى من طريق إبراهيم بن طهمان ومن طريق حمزة الزيات كلاهما عن أبى الزبير عن جابر ، ووقع فى فوائد ابن المقرى من طريق سويد بن سعيد عن ابن المبارك عن ابن أبى الموالى عن ابن المنكدر عن جابر ، وزعم الدمياطى أنه على رسم الصحيح ، وهو كما قال من حيث الرجال إلا أن سويداً وإن أخرج له مسلم فإنه خلط وطعنوا فيه ، وقد شذ بإسناده والمحفوظ عن ابن المبارك عن ابن المؤمل . وقد جمعت فى ذلك جزءاً . والله أعلم .

القول إلا بعد أن تقبل شفاعته فيهم حين قال : « **يا رب إنه من أمتى** » . والضمير هنا للمفرد والمراد به الجنس ، والله أعلم .

ثم هب أنا سلمنا بصحة هذا الحديث فالدنيا حقيرة ، ولحقارتها لم يختص الله بها أناساً دون آخرين ، فلذلك شركهم فيها مؤمنهم وكافرهم ومطيعهم وعاصيهم؛ بل لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ، بل لو صح لما كان هناك شيء يستغرب فقد أعطى الله تبارك وتعالى أشياء تذهل العاقل وتحير الجاهل لأعتى كافر ، فلشدة كفره كتب ذلك عليه بين عينيه كافر- أعنى الدجال- ، فقد أعطاه الله تبارك وتعالى فى هذه الحياة الدنيا المحتم مصيرها فى قوله تعالى : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً** ﴾ أعطاه جنة وناراً – للابتلاء – فالتى يزعم أنها جنة هى نار تحرق ، والتى يزعم أنها نار فإنها ماء بارد ، كما أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؛ بل أعظم من ذلك ما أقدره الله عليه حيث يأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، ويأمر بالخربة فتخرج كنوزها ، ويأمر كنوز من عصاه ورد عليه قوله فتخرج تتبعه كيعاسيب النحل ، ويحيى من أقدره الله على إحيائه من الآباء والأجداد الهالكين فى قديم العصور والآباد ، فهل يكون هذا العطاء من الله سبحانه وتعالى للدجال دليلاً على إيمانه وتوحيده؟! فهل نستغرب بعد هذا العطاء إتباع ماء لإغاثة كافر ، فإنباع الماء أهون على الله تبارك وتعالى من ذلك كله .

ثم أيضاً لو صح ذلك فهو دليل من دلائل نبوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم وليست كرامة أو منقبة لأبى طالب ، والحمد لله رب العالمين .

١٨ – وقال دحلان أيضاً : وأخرج ابن عدى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مرض أبو طالب فعاده النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : يابن أخى ادع الله أن يعافينى ، فقال : « **اللهم اشف عمى** » ، فقام كأنما نشط من عقال .

أقول : وهذا أيضاً إن صح فليس فيه كرامة لأبى طالب ولا فضيلة؛ لأن

النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو الذى دعا الله له فشفاه الله . بل قد يستجيب الله دعاء الكافر كما قال تعالى : ﴿ **فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ .

فالحديث ضعيف لا يصح ؛ لأنه من طريق الهيثم البكاء ، قال النسائى : متروك الحديث ، وقال ابن عدى : أحاديثه أفراد غرائب ، وفيها ما ليس بالمحفوظ ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : ضعيف ، زاد أبو حاتم : منكر الحديث ، وقال البزار : لا يحتج بما انفرد به ، وقال الجوزجانى : كان قاضياً ضعيفاً ، روى عن ثابت معاضيل ، وقال الساجى : متروك جداً ، ذكره البرقى فى الكذابين . انتهى مختصراً من لسان الميزان.

والحديث عند الخطيب فى التاريخ (ج٨/٣٧٧ و ٣٧٨) وعند ابن عدى فى الكامل (٢٥٦١/٧) .

وأيضاً فإن الله يعافى ويرزق من هو أشد كفراً وأكثر أنفة من أبى طالب ، فلا يستغرب أن يمرض أبو طالب فيدعو له النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيشفى ؛ والحديث ضعيف كما رأيت .

فهل يدل هذا لو صح على إيمان أبى طالب وتوحيده .

١٩ - قال : وأخرج أبو نعيم من طريق أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم عن أبيه عن جده قال: سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب أنه رأى فى منامه أن شجرة نبتت من ظهره ، قد نال رأسها السماء وضربت أغصانها المشرق والمغرب ، إلى قوله : فقال عبد المطلب لأبى طالب : لعلك أن تكون هو المولود ، فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد بعث ويقول : كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين ، فيقال له : ألا تؤمن ؟ فيقول : السبة والعار .

قلت : رواه أبو نعيم فى الدلائل (ج١/١٢٠/١٢١) من طريق خالد

ابن إلياس الراوى عن أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم وخالد ضعيف ؛ بل هالك قال البخارى : منكر الحديث ، ليس بشىء ، وقال أحمد : متروك الحديث ، وقال النسائى : متروك الحديث ، وقال مَرَّة : ليس بثقة ولا يكتب حديثه ، وقال أبو نعيم : لا يساوى حديثه فلسين ، وقال ابن حبان : يروى الموضوعات عن الثقات حتى يسبق إلى القلب أنه الواضع لها ، لا يكتب حديثه إلا على جهة التعجب . وقال ابن عبد البر : ضعيف عند جميعهم ، فهل ترى علامة المعقول والمنقول المتضلع من أذواق الأسانيد النبوية لم ير خالد بن إلياس فى الاسناد ، فنحسن به الظن أنه وقف عليه بناء على تلك الأوصاف ، لكن لماذا لم يذكره أو يذكر ما قيل فيه كما هو شأن العلماء الناصحين للأمة ، بخلاف غيرهم فإنك ترى منهم العجائب فى قلب الحقائق وتعميتها على الناس ، غير مبالين أن فى الساحة علماء وطلبة علم يبينون الحقائق ، ويبصرون الناس أمر دينهم ، ويحذرونهم الأحاديث الضعيفة والموضوعة والخرافات والبدع . فانظر يا عبد الله ما يصدر من علامة المعقول والمنقول ، وإمام أهل الفروع والأصول ، الجامع للفنون المتضلع من أذواق الأسانيد النبوية ، فإذا كانت هذى هى بضاعة من وصفوه بتلك الأوصاف ، فما بالك بغيره ممن لم يبلغ مرتبته . فنسأل الله السلامة .

ثم إن سلمنا بصحة هذا الحديث فهو حجة عليهم لا لهم ، وذلك أنه قيل لأبى طالب حين قال : كانت الشجرة والله أبا القاسم الأمين فيقال له : ألا تؤمن ؟ فيقول : السبة والعار .

فهذا يبين عذره ومصيره ، وهو أنه خشى السبة والعار ، فمحله ذلك على أن يقول : هو على ملة عبد المطلب ، فلو أردنا التلبيس لقلنا به ولاحتججنا بهذا الحديث ، ولكن نقول : الحمد لله الذى لم يحوجنا لذلك ، والحمد لله الذى أغنانا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن التعمية والتضليل وعن الأحاديث الضعيفة والموضوعة .

٢٠ - وقال (ص ١٦ - ١٧) من أسنى المطالب : وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دعا بنى عبد المطلب فقال : لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاتبعوه وأعينوه ترشدوا .

أقول : نعم رواه ابن سعد فى الطبقات (ج١/٧٨) لكن من طريق الواقدى محمد بن عمرو وهو هالك لا يحتج بحديثه . قال الحافظ فى التهذيب : وقال البخارى : الواقدى مدنى سكن بغداد متروك الحديث ، تركه أحمد وابن المبارك وابن نمير وإسماعيل بن زكرياء ، وقال فى موضع آخر : كذبه أحمد ، وقال معاوية بن صالح : قال لى أحمد بن حنبل : الواقدى كذاب ، وقال لى يحيى بن معين : ضعيف وقال مرة : ليس بشىء .

أقول أيضاً : وإن صح فليس فيه ما يدل على إيمان أبى طالب فإنه دل على الخير غيره ونسى نفسه ، ولهذا الباب أمثلة من كتاب الله ومن سنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهل كل من دل على خير أو أرشد إليه يكون مؤمناً؟ فهذا عدو الله ابليس ينصح أبا هريرة بقراءة آية الكرسى عند إرادة النوم ، بل قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأبى هريرة : « **صدقك وهو كذوب** » .

٢١ - ثم قال عقب ذكره للحديث : قال البرزنجى : قلت : بعيد جدّاً أن يعرف الرشاد فى اتباعه ويأمر غيره ثم يتركه هو .

أقول : وأى شىء يدعو إلى استبعاد ذلك وقد قال الله تعالى فى شأن فرعون وفى غيره من الكفار : ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً** ﴾ : وقال : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون** ﴾ . وقال سبحانه وتعالى فى محاورة موسى عليه السلام لفرعون : ﴿ **لقد علمت**

ما أنزل هؤلاء إلا رب السمٰوات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً ﴾ فهل نفعهم هذا العلم أو هذه المعرفة فقد استيقنوا وعرفوا وعلموا لكن لم يغن ذلك عنهم شيئاً ، فلا يستبعد من أبى طالب أن يعرف الرشاد ويأمر به ثم لا ينتفع هو بذلك ، وكل هذا لو صح الحديث وقد رأيت أنه ضعيف .

ثم أيضاً فقد أخبر النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن صنف من الناس أنه يؤتى بأحدهم فى ذلك اليوم فتندلق أقتابه فى نار جهنم فيدور بها كما يدور الحمار على الرحى ، فيهرع إليه أهل النار فيقولون له : قد كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول : قد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه . فهذا قد عرف المعروف وأمر به وعرف المنكر ونهى عنه غير أنه لم ينتفع بذلك فى نفسه ، فلا يستبعد أن يصدر مثل هذا من أبى طالب إن صح ما ذكروه عنه .

٢٢ - ولتعلم شيئاً من التعمية أيضاً وأن المبتدعة لا يذكرون الأشياء على وجهتها قال (ص ١٧) : وروى الحافظ ابن حجر فى الإصابة عن على رضى الله عنه أنه لما أسلم قال له أبو طالب : الزم ابن عمك ، وأخرج أيضاً عن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن أبا طالب قال لابنه جعفر : صل جناح ابن عمك ، فصلى جعفر مع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما صلى على رضى الله عنه .

أقول : ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى هذا فى سياق رده لكلام الرافضى القائل بإسلام أبى طالب ولم يذكره محتجّاً به ، ونقل مثل هذا بدون تمييز ولا تبيين لا يحسن بطالب علم فضلاً عن علامة المعقول والمنقول وإمام أهل الفروع والأصول والمتضلع من أذواق الأسانيد ، فأى تضلع هذا ، بل أى ذوق إنه تضلع بالبدع وذوق فى التعمية والتلبيس .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى فى الإصابة فى نقده لهاتين الروايتين : لتعلم أن المبتدعة يذكرون ما يوافق أهواءهم وبدعهم ، ويضربون صفحاً عما سوى ذلك ، قال رحمه الله : وأما الرابع والخامس وهو أمر أبى طالب ولديه باتباعه فتركه ذلك هو من جملة العناد ، وهو أيضاً من حسن نصرته له وذبه عنه ومعاداته قومه بسببه .

قلت : وهذا يلحق بما تقدم من أمره بالمعروف مع عدم اتباعه ودلالته على الخير مع نسيان نفسه .

ثم ما علمت من التعمية المتقدمة فيعقب ذلك بقوله قال البرزنجى : فلولا أنه مصدق بدينه لما رضى لابنيه أن يكونا معه وأن يصليا معه ، بل ولا كان يأمرهما بالصلاة ، فإن عداوة الدين أشد العداوات كما قيل :

كل العداوات قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك فى الدين

فهذه الأخبار كلها صريحة فى أن قلبه طافح وممتلىء بالإيمان بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . انتهى ، وهكذا لم يكتفوا بالاستدلال بالواهيات بل بنوا عليها أحكاماً واستنتجوا منها أموراً ، ثم قوله : فهذه الأخبار صريحة فى أن قلبه طافح وممتلىء بالإيمان ، فمن أين استفدتم الصراحة من هذه الأحاديث التى ليست بصحيحة ، فلا هى صحيحة ولا صريحة ؟ وهل كل الأحاديث التى ذكرت هاهنا فيها دلالة على إيمان أبى طالب؟ ليس فيها شىء من ذلك ، فهما أعنى : دحلان والبرزنجى يحومان حول تعريف جهم للإيمان ، وكأنهما يتخوفان من التصريح به فيكتفيان عن العبارة بالاشارة ، فقد جعلا المعرفة للرشاد والدلالة عليه علامة على الإيمان .

٢٣ - وقال (ص ١٨) : من أسنى المطالب : فهذه الآثار والأخبار كلها صريحة فى أن أبا طالب رأى من الآيات المعجزات وخوارق العادات التى ظهرت للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما أوجب أن يصدقه ويؤمن به إيماناً لا شك فيه ولا تردد .

أقول : وهل عندكم صحيح أو صريح؟! فصحيحكم كما زعمتم ليس بصحيح ، وصريحكم كما ادعيتم ليس بصريح ، فالأحاديث الضعيفة والموضوعة صحيحكم ، والتعمية والتلبيس صريحكم .

وأما مشاهدة الآيات والمعجزات وخوارق العادات فقد شاهد النمرود من ذلك الشيء الكثير .

وهذا فرعون قد شاهد من الآيات وخوارق العادات ما يذهل ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات** ﴾ .

وقال سبحانه : ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون : إنى لأظنك يا موسى مسحوراً ، قال : لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً** ﴾ .

فهذه تسع آيات بينات شاهدها فرعون وهى كما ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسيره بقوله : وهى العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات .

فهل رؤية فرعون لهذه الآيات أوجب له أن يصدق ويؤمن بموسى إيماناً لا شك فيه ولا تردد؟ فإذا كان ذلك لم يحدث له شيئاً فلا يستغرب أن يشاهد أبو طالب آيات وخوارق عادات ثمّ لا يؤمن ، فهذه آيات بينات وتلك كما زعموا آيات وخوارق عادات لكنها جاءت من طرق واهيات ، فهى ما بين ضعيف ومقطوع ومرسل وموضوع ، فقد بنوا كلامهم على شفا جرف هار : ﴿ **فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ .

٢٤ – ثم يواصل قوله ذلك المعروف بالمبالغة كما فى (ص ٢٢) فيقول :

وباطلاعه – يعنى أبا طالب – على تلك الآيات والمعجزات صار قلبه مشحوناً ممتلئاً بالإيمان .

أقول : أو كل من رأى المعجزات وخوارق العادات يكون مؤمناً ! فقد شاهد أبو جهل من المعجزات وخوارق العادات ، وذلك لما أراد أن يثلغ رأس النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو ساجد فرجع القهقرى ، فقيل : ما شأنك ؟ قال : رأيت بينى وبينه خندقاً وناراً وهولاً وأجنحة . فهل شحن قلبه إيماناً عندما شاهد ذلك ، بل ما من نبى بعثه الله تعالى إلا وأيده بمعجزة وخارق من خوارق العادات ، فذاك يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى بإذن الله ، بل ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وينبئهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم ، بل وأعظم من ذلك تكليمه للناس فى صغره ، فهل آمن كل من شاهد ذلك؟ أم أن الأمر كما قال الله تعالى : ﴿ **فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة** ﴾ .

وهكذا غيره من الأنبياء ، فهذا صالح عليه السلام سأله قومه آية– أى علامة– يستدلون بها على صدقه وأنه مرسل من عند الله ، فجاءهم بناقة ليست كالنوق ، إذ لو كانت كذلك لقالوا عندنا نوق كناقتك أو أحسن ، لكنها كانت آية ، فقد ذُكر فى كتب التفسير أنها كانت على خلقة وهيئة عظيمة ، وأنها كانت تخافها أنعامهم ، وأنها كانت تستقبل الشِّعْبَ فى الليل فتحرسهم إلى غير ذلك ، وإن كان من كلام المفسرين فإنه يقويه ظاهر قوله تعالى فى وصفها : ﴿ **لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** ﴾ وقوله : ﴿ **ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر** ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أى يوم لهم ويوم للناقة كقوله : ﴿ **هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **كل شرب محتضر** ﴾ قال مجاهد : إذا غابت حضروا الماء ، وإذا جاءت حضروا اللبن .

ومعلوم أن شيئاً يكون وصفه هكذا يكون عظيماً هائلاً فإنها ترد الماء يوماً ويردونه يوماً ، ومعلوم أن غيرها من الإبل لا يرد الماء بهذه الصفة ، ثم إنها مع ذلك لا تشرب ماء رجل أو رجلين أو أسرة أو أسرتين إنها تشرب ماء قوم لأنها آية وليست فقط مجرد ناقة ، ثم مع ذلك إذا جاء يوم حلبها أغناهم لبنها عن ورّد الماء ذلك اليوم ، ومع هذا كله وكثرتهم عليها وتهاوشهم عندها واختلافهم إلى حلبها وربما طال ذلك فلا تتوقص ولا تتأذى ، بل تحنوا عليهم وتسكن إليهم كالأم الحنون وذلك ليتمكن القوم من حلبها لأنهم كثرة ، ولا يستغرب هذا فإنها آية ودلالة وعلامة على صدق نبوة ذلك النبى ، فهل مشاهدتهم لهذه المعجزة ومباشرتهم لخيرها شحن قلوبهم بالإيمان وملأها تصديقاً ، أم أنهم عتوا عن أمر ربهم وكذبوا رسوله إليهم كما قال سبحانه : ﴿ **فقال لهم رسول الله : ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها** ﴾؟ وقال تعالى : ﴿ **فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا : يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين** ﴾ ومع تلك الآيات والدلائل المعجزات كل ذلك لم يحدث لهم إيماناً .

ثم لاحظ معى إكثار دحلان والبرزنجى من قولهما : مشحون ، ممتلىء ، طافح ، إيماناً ، قطعياً لا شك فيه ولا شبهة ، إيماناً لا شك فيه ولا تردد ، إلى غير ذلك من الألفاظ التى يشم منها رائحة الإرجاء بل هم مرجئة ، فإنهم عرفوا الإيمان بتعريفهم ، والإيمان عندهم شىء واحد ، والناس فيه سواء طائعهم فيه كفاجرهم ، وهذا قول باطل مردود عليهم ، فالذى حملهم على ذلك هو زعمهم كما تقدم أن الإيمان هو التصديق وأن النطق شرط ، ولم يجعلوا الأعمال من جملة الايمان ، بل أخرجوها منه ، وخالفوا فى ذلك الكتاب والسنة وعلماء الأمة ، وقد تقدم بيان غلطهم فى ذلك عند تعريف الإيمان والحمد لله رب العالمين .

٢٥ - وانظر إلى ما اقترف القرافى كما ذكروه عنه (ص ٢٨) : أنه قال

فى شرح التنقيح عند قول أبى طالب :

وقد علموا أن ابننا غير مكذب   لدينا ولا يعزى لقول الأباطل

إن هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان ، وأن أبا طالب آمن بظاهره وباطنه غير أنه لم يذعن للفروع .

قلت : قول القرافى هذا فيه تخبيط وتناقض ، وفيه أيضاً شيء من التعمية ، فليس فى قول أبى طالب : وقد علموا أن ابننا غير مكذب لدينا ولا يعزى لقول الأباطل ما يدل على إيمانه ، فلو كان كذلك فقد كان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم معروفاً عند مشركى مكة وغيرهم بالأمين ، فهل ثبت لهم الإيمان بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسبب ذلك ؟

وقوله : ان هذا تصريح باللسان واعتقاد بالجنان الى آخره ، فعلى هذا يكون فرعون مؤمناً لأن موسى عليه السلام خاطبه بقوله كما أخبرنا الله عز وجل بذلك : ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض** ﴾ .

فقد علم فرعون فهل يكون مؤمناً ؟ .

وهذا يؤيد ما قلناه قبل فى صحيحهم وصريحهم والحمد لله .

***

□ الفصل الرابع □

○ فى بدعة تقسيم الدين إلى أصول وفروع ولباب وقشور ○

ومن التناقض المكشوف قوله : إن أبا طالب آمن بظاهره وباطنه غير أنه ظاهراً لم يذعن للفروع . فكيف آمن ظاهراً وباطناً ثم لم يذعن ظاهراً ، إلا إذا أراد أن الإذعان ليس من الإيمان ، وهذا باطل ، ثم أيضاً قوله : لم يذعن للفروع ، والمعروف أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعاه إلى النطق بلا إله إلا الله ، فأبى ذلك ولم يذعن له ، فهل كلمة التوحيد وعروته الوثقى عند القرافى من الفروع فليت شعرى؟! ما هى الأصول بعد لا إله إلا الله؟ فقد ابتدع فى الإسلام قديماً أولئك الذين قسموا الدين إلى أصول وفروع ، ثم يفسرون ذلك على ما يهوون ، وابتدع حديثاً هؤلاء الذين يقسمونه إلى لباب وقشور .

فإذا دعوا إلى التمسك بالكتاب والسنة قالوا : هذا قشور ، وكذا إذا دعوا إلى التوحيد ونبذ الشركيات قالوا : هذا من القشور ، وإذا دعوا إلى التصفية والتربية قالوا : هذا من القشور ، فلا أدرى ما هو اللباب عندهم ، أهو الركض وراء المناصب والوظائف ، أم هو مداهنة المجتمع وعدم الصدع بالحق والتمسك به ، أم اللباب عندهم هو التجميع والسمر والتمثيل؟ وكم نعدد من مثل هذه الأشياء التى تضر بالإسلام ولا تنفعه ، فتقسيم الدين إلى أصول وفروع ولباب وقشور بدعة من البدع المنكرة وخاصة عندما تقام عليهم الحجة فيقابلونها بهذه البدعة

قائلين : هذا من الفروع أو هذا من القشور ، ثم يخلطون مسائل الاعتقاد بغيرها من المعاملات تعمية وتلبيساً ورداً للحجة اللازمة ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة** ﴾ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى تفسير هذه الآية : يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الاسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره ماستطاعوا من ذلك .

قلت : فالدين الذى رضيه الله تعالى لنا كله أصول وكله لباب ، وهو ما بين مهم وأهم ، فيقدم الأهم على المهم والله الموفق .

وهنا بحث نفيس لشيخنا مقبل بن هادى الوادعى حفظه الله تعالى وبارك فيه فى هذه المسألة أذكره برمته لأهميته قال حفظه الله تعالى :

ثم وجدت بحثاً مفيداً للحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى فيما يتعلق بتقسيم الدين إلى فروع وأصول قال رحمه الله (ج٢ ص ٤١٣) : كما فى مختصر الصواعق المرسلة :

ومنها : إثبات الفروع بأخبار الآحاد دون الأصول وغير ذلك ، وكل تقسيم لا يشهد له الكتاب والسنة بالاعتبار فهو تقسيم باطل يجب إلغاؤه .

وهذا التقسيم أصل من أصول ضلال القوم ، فإنهم فرقوا بين ما سموه أصولاً وما سموه فروعاً ، وسلبوا الفروع حكم الله المعين فيها ، بل حكم الله فيها يختلف باختلاف آراء المجتهدين ، وجعلوا ما سموه أصولاً من أخطأ فيه عندهم فهو كافر أو فاسق ، وادعوا الإجماع على هذا التفريق ، ولا يحفظ ما جعلوه إجماعا عن إمام من أئمة المسلمين ، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين . وهذا عادة أهل الكلام يحكمون الإجماع على ما لم يقله أحد من أئمة المسلمين بل أئمة الإسلام على خلافه ، وقال الإمام أحمد : من ادعى الاجماع فقد كذب ،

أما هذه دعوى الأصم وابن علية[1] وأمثالهما يريدون أن يبطلوا سنن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما يدعونه من الإجماع .

ومن المعلوم قطعاً بالنصوص وإجماع الصحابة والتابعين وهو الذى ذكره الأئمة الأربعة نصاً أن المجتهدين المتنازعين فى الأحكام الشرعية ليسوا كلهم سواء ، بل فيهم المصيب والمخطىء ، فالكلام فيما سموه أصولاً وفيما سموه فروعاً ينقسم إلى : مطابق للحق فى نفس الأمر ، وغير مطابق ، فانقسام الاعتقاد فى الحكم إلى مطابق وغير مطابق كانقسام الاعتقاد فى باب الخمر إلى مطابق وغير مطابق ، فالقائل فى الشىء حلال ، والقائل حرام فى إصابة أحدهما وخطأ الآخر كالقائل أنه سبحانه يُرى ، والقائل أنه لا يُرى فى إصابة أحدهما وخطأ الآخر ، والكذب على الله تعالى خطأ أو عمد فى هذا كالكذب عليه عمداً أو خطأ فى الآخر ، فإن المخبر يخبر عن الله أنه أمر بكذا وأباحه ، والآخر يخبر أنه نهى عنه وحرمه فأحدهما مخطىء قطعاً .

فإن قيل : الفرق بينهما أنه يجوز أن يكون فى نفس الأمر لا حلالاً ولا حراماً ، بل هو حلال فى حق من اعتقد حله ، حرام فى حق من اعتقد تحريمه .

قيل : هذا باطل من وجوه عديدة ، وقد ذكرناها فى كتاب المفتاح وغيره منها : أنه خلاف نص القرآن والسنة وخلاف إجماع الصحابة وأئمة الإسلام .

ومنها : أن يكون حكم الله تعالى تابعاً لآراء الرجال وظنونها .

---

(١) ابن علية هو : إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم جهمى زائغ ، راجع ترجمته من ميزان الاعتدال . وأما أبوه إسماعيل بن علية وهو : إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم أبو بشر فإمام كبير أجاب فى مسألة القرآن ولكنه مكره .

والأصم : هو عبد الرحمن بن كيسان مبتدع ضال ترجمته فى لسان الميزان .

ومنها : أن يكون الشيء الواحد حسناً قبيحاً مرضياً لله مسخوطاً له محبوباً له مبغوضاً .

ومنها : أنه ينفي حقيقة حكم الله في نفس الأمر .

ومنها : أن تكون الحقائق تبعاً للعقائد ، فمن اعتقد بطلان الحكم المعين كان باطلاً ، ومن اعتقد صحته كان صحيحاً ، ومن اعتقد حله كان حلالاً ، ومن اعتقد تحريمه كان حراماً ، وهذا القول كما قال فيه بعض العلماء : أوله سفسطة وآخره زندقة ، فإنه يتضمن بطلان حكم الله تعالى قبل وجود المجتهدين ، وإن الله لم يشرع لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حكماً أمره به ونهاه عنه .

ومنها : أن حكم الله يرجع إلى خبره وإرادته ، فإذا أراد إيجاب الشيء وأخبر به صار واجباً ، وإذا أراد تحريمه وأمر بذلك صار حراماً ، فإنكار أن يكون لله حكماً إنكار لخبره وإرادته وإلغاء لتعلقهما بأفعال المكلفين .

ومنها : أنه يرفع ثبوت الأجرين للمصيب ، والأجر للمخطيء ، فإنه لا خطأ في نفس الأمر عندهم ، بل كل مجتهد مصيب لحكم الله تعالى في نفس الأمر .

ومنها : أنه يبطل أن يوافق أحد حكم الله تعالى ، فليس لقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى الملك » ، معنى ، ولا لقوله : « وإن سألوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تفعل ، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله تعالى فيهم أم لا » ، معنى ، ولا لقوله : « إن سليمان سأل ربه حكمًا يصادف حكمه فأعطاه إياه » ، معنى ، ولا لقوله : ﴿ **ففهمناها سليمان** ﴾ معنى ، إذ كل منهما حكم بعين حكم الله تعالى عندهم ، ولا لقوله : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » . معنى .

وأيضاً فهذا إجماع من الصحابة ، قال الصديق فى الكلالة : أقول فيها برأيى فإن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله برىء منه ورسوله ، وقال عمر لكاتبه : اكتب هذا ما رآه عمر فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمن عمر ، وقال فى قضية قضاها : والله ما يدرى عمر أصاب الحق أم أخطأه ، ذكره أحمد .

وقال على لعمر فى المرأة التى أرسل إليها فأجهضت ذا بطنها ، وقد استشار عثمان وعبد الرحمن فقالا : ليس عليك إنما أنت مؤدب ، فقال له على : إن كانا اجتهدا فقد أخطأ وإن لم يجتهدا فقد غشاك ؛ عليك الدية ، فرجع عمر إلى رأيه واعترف عَلِىٌّ رضى الله عنه بخطئه فى خبر صفين وندم على ذلك وكان مجتهداً فيه.

وقال ابن مسعود فى قصة بروع : أقول فيها برأيى فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان والله برىء منه ورسوله .

وقال ابن عباس : ألا يتقى الله زيد يجعل ابن الابن ابناً ، ولا يجعل أبا الأب أباً ، وقال : من شاء باهلته فى العول .

وقالت عائشة لأم ولد زيد بن أرقم : أخبرى زيدًا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا أن يتوب .

وقال ابن عباس وقد ناظروه فى مسألة متعة الحج واحتجوا عليه بأبى بكر وعمر : أما تخشون أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر .

وكان ابن عمر يأمر بالتمتع فيقولون له : إن أباك نهى عنه ، فقال : أيهما أولى أن يتبع كتاب الله أو كلام عمر .

وقال عمران بن حصين : نزل بها القرآن وفعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، قال رجل برأيه ما شاء ، يعرض بعمر .

وقال ابن الزبير لابن عباس فى متعة النساء : لئن فعلتها لأرجمنك فجرّب

إن شئت .

وقال عَلىٌّ لابن عباس منكراً عليه إباحة الحمر الأهلية ومتعة النساء : إنك امرؤ تائه ، أى : تهت عن القول الحق .

وفسخ عمر بيع أمهات الأولاد وردهن حبالى من تستر ، وفسخ حكم الصديق فى استرقاق نساء أهل الردة ، وكان يضرب على الركعتين بعد العصر ، وكان أبو طلحة وأبو أيوب وعائشة يصلونها ، فتركها أبو طلحة وأبو أيوب مدة حياة عمر خوفاً منه ، فلما مات عاوداها .

وقال ابن مسعود لما طلب منه موافقة أبى موسى فى مسألة بنت وبنت ابن وأخت فأعطى البنت النصف والأخت النصف : لقد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين .

فجعل القول الآخر الذى جعله المصوبة صواباً عند الله ضلالاً ، وهذا أكثر من أن يحيط به إلا الله تعالى .

وأيضاً فالأحاديث والآيات الناهية عن الاختلاف فى الدين المتضمنة لذمه كلها شهادة صريحة بأن الحق عند الله واحد ، وما عداه فخطأ ، ولو كانت تلك الأقوال كلها صواباً لم ينه الله ورسوله عن الصواب ولاذمه .

وأيضا فقد أخبر الله تعالى أن الاختلاف ليس من عنده وما لم يكن من عنده فليس بالصواب قال تعالى ﴿ **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ وهو وإن كان فى اختلاف ألفاظه فهو يدل على أن ما اختلفت معانيه ليس من عند الله إذ المعنى هو المقصود .

وأيضاً فإذا اختلف المجتهدان فرأى أحدهما إباحة دم إنسان والآخر تحريمه ورأى أحدهما تارك الصلاة كافراً مخلداً فى النار ، والآخر رآه مؤمناً من أهل الجنة ، فلا يخلو إما أن يكون الكل حقًّا وصواباً من عند الله تعالى فى نفس الأمر ، أو الجميع خطأ عنده ، أو الصواب والحق فى واحد من القولين

والآخر خطأ ، والأول والثانى ظاهر إلا حالة وهما بالهوّس أشبه منهما بالصواب ، فكيف يكون إنسان واحد مؤمناً كافراً مخلداً فى الجنة وفى النار . وكون المصيب واحداً هو الحق وهو منصوص الإمام أحمد ومالك والشافعى كما حكاه أبو إسحاق فى شرح اللمع له أن مذهب الشافعى أن المصيب واحد ، هذا قوله فى القديم والجديد .

قال القاضى أبو الطيب : وليس عنده مسألة تدل على أن كل مجتهد مصيب وأقوال الصحابة كلها صريحة أن الحق عند الله فى واحد من الأقوال المختلفة ، وهو دين الله فى نفس الأمر الذى لا دين له سواه .

وليس الغرض استقصاء هذه المسألة بل المقصود أن الخطأ يقع فيما سموه فروعاً كما يقع فيما جعلوه أصولاً فنطالبهم بفرق صحيح بين ما يجوز إثباته بخبر الواحد من الدين ومالا يجوز ، ولا يجدون إلى الفرق سبيلاً إلا بدعاوٍ باطلة ، ثم نطالبهم بالفرق بين مسائل الأصول والفروع وما ضابط ذلك ، ثم نطالبهم بين ما يأثم جاحده أهو إثم كفر أو فسوق وما لا يأثم جاحده، ونطالبهم بالفرق بين ما المطلوب منه القطع اليقينى وما يكتفى فيه بالظن ولا سبيل لهم إلى تقرير شىء من ذلك البتة .

قال الجوينى : وقد تكلموا فى الفرق بين الأصول والفروع فقالوا : الأصل ما فيه دليل قطعى والفرع بخلافه .

قلت : وهذا يلزم منه الدور فإنه إذا قيل لا تثبت الأصول إلا بالدليل القطعى ثم قيل : والأصل ما عليه دليل قطعى كان ذلك دورًا ظاهراً .

وأيضاً فإن كثيراً من المسائل العلمية بل أكثرها عليها أدلة قطعية كوجوب الطهارة والصلاة والصيام والحج والزكاة ونقض الوضوء بالبول والغائط ووجوب الغسل بالاحتلام ، وهكذا أكثر الشريعة أدلتها قطعية ، وكثير من المسائل التى هى عندهم أصول أدلتها ظنية .

وهكذا فى أصول الدين وأصول الفقه أكثر من أن يذكر ، كالقول بالمفهوم والقياس ، وتقدمهما على العموم والأمر بعد الحظر ومسألة انقراض العصر وقول الصحابى ، والاحتجاج بالمراسيل وشرع من قبلنا وأضعاف ذلك .

وكذلك فى أصول الدين كمسألة الحال وبقاء الرب تعالى وقدمه ، هل هما ببقاء وقدم زائدين على الذات والوجود الواجب ، هل هو نفس الماهية أو زائد عليها ، وإثبات المعنى القائم بالنفس وغير ذلك ، فعلى هذا الفرق تكون هذه المسائل ونحوها فرعية ، وتلك المسائل العلمية أصولية .

قال : وقيل: الأصل ما لا يجوز التعبد فيه إلا بأمر واحد معين والفرع بخلافه .

قلت : وهذا الفرق أفسد من الأول فإن أكثر الفروع لا يجوز التعبد فيها إلا بالمشروع على لسان كل نبى ، فلا يجوز التعبد بالسجود للأصنام وإباحة الفواحش وقتل النفوس والظلم فى الأموال وانتهاك الأعراض وشهادات الزور ونحو ذلك ، وإن كان نفاة التحسين والتقبيح يجوزون التعبد بذلك ، ويقولون : يجوز أن تأتى الشرائع من عند الله تعالى بذلك ، فقولهم من أبطل الباطل وقد ذكرنا فساده من أكثر من ستين وجهاً فى غير هذا الكتاب ، وإنه مما يعلم بطلانه بالضرورة .

قال : وقيل : الأصل ما يجوز أن يعلم من غير تقديم ورود الشرع والفرع بخلافه ، وهذا الفرق أيضاً فى غاية الفساد ، فإن أكثر المسائل التى يسمونها أصولاً لم تعلم إلا بعد ورود الشرع كاقتضاء الأمر للوجوب والنهى للتحريم ، وكون القياس[1] حجة وكون الإجماع حجة ، بل أكثر مسائل أصول الدين

(١) الذى نعتقده وندين الله به أن القياس والإجماع ليسا بحجة ، قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله** ﴾ وقال سبحانه وتعالى =

لم تعلم إلا بالسمع ، فجواز رؤية الرب تبارك وتعالى يوم القيامة واستواؤه على عرشه بخلاف مسألة علوه فوق المخلوقات بالذات فإنها فطرية ضرورية ، وأكثر مسائل المعاد وتفصيله لا يعلم قبل ورود الشرع ، ومسائل عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين وغير ذلك من مسائل الأصول التى لا تعلم قبل ورود الشرع .

وقال القاضى أبو بكر بن الباقلانى : كل مسألة يحرم الخلاف فيها مع استقرار الشرع ويكون معتقد خلافها جاهلاً ، فهى من الأصول ، عقلية كانت أو شرعية والفرع مالا يحرم الخلاف فيه أو مالا يأثم المخطىء فيه ، وهذا وإن كان أقرب مما قبله فهو باطل أيضاً فإن كثيراً من مسائل الفروع قطعى وإن كان فيها خلاف وإن كان لا يأثم المخطىء فيها لخفاء الدليل عليه وإن كان قطعياً فلا يلزم الاشتراك فى القطعيات وقد سلم القاضى ذلك فيما إذا خفى عليه النص .

وقد ذكر بعضهم فرقاً آخر فقال : الأصوليات هى المسائل العلميات ، والفروعيات هى المسائل العملية المطلوب منها أمران : العلم والعمل ، والمطلوب من العمليات العلم والعمل أيضاً وهو حب القلب وبغضه وحبه للحق الذى دلت عليه وتضمنته ، وبغضه الباطل الذى يخالفها فليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح ، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح ، وأعمال الجوارح تبعاً ، فكل مسألة علمية فإنها يتبعها إيمان القلب وتصديقه وذلك عمل بل هو أصل العمل ، وهذا مما غفل عنه كثير من المتكلمين فى مسائل الإيمان ، حيث ظنوا أنه مجرد التصديق دون الأعمال .

وهذا من أقبح الغلط وأعظمه ، فإن كثيراً من الكفار كانوا جازمين

= **﴿ فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ .**

بصدق النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم غير شاكين فيه ، غير أنه لم يقترن بذلك التصديق عمل القلب من حب ما جاء به والرضا به وإرادته والموالاة والمعاداة عليه .

فلا تهمل هذا الموضوع فإنه مهم جدّاً به تعرف حقيقة الإيمان .

فالمسائل العلمية عملية ، والمسائل العملية علمية ، فإن الشارع لم يكتف من المكلّفين فى العمليات بمجرد العمل دون العلم ، ولا فى العمليات بمجرد العلم دون العمل .

وفرّق آخرون بين الأصول والفروع بأن مسائل الأصول هى التى يكفر جاحدها ، كالتوحيد والرسالة والمعاد وإثبات الصفات،ومسائل الفروع ما لا يكفر جاحدها كوجوب قراءاة الفاتحة فى الصلاة واشتراط الطمأنينة ، ووجوب مسح الرأس كله فى الوضوء ونحو ذلك ، وهذا الفرق غير مطرد ولا منعكس ، فإن كثيراً من مسائل الفروع يكفر جاحدها ، وكثير من مسائل الأصول لا يكفر جاحدها كما تقدم بيانه .

وأيضاً فالتكفير حكم شرعى ، فالكافر من كفره الله ورسوله ، والكفر جحد ما علم أن الرسول جاء به سواء كان من المسائل التى تسمونها علمية أو عملية ، فمن جحد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد معرفته بأنه جاء به فهو كافر فى دق الدين وجله .

وفرَّق آخرون بين الأصول والفروع بأن الأصول ما تتعلق بالخبر ، والفروع ما تتعلق بالطلب ، وهذا الفرق غير خارج عن الفروق المتقدمة ، وهو فاسد أيضاً ، فإن العبد مكلف بالتصديق بهذا وهذا ، علماً وإيماناً وعملاً وحبّاً ورضاً ، وموالاة عليه ومعاداة كما تقدم .

وفرَّق آخرون بينهما بأن مسائل الأصول هى ما لا يسوغ التقليد فيها، ومسائل الفروع يجوز التقليد فيها ، وهذا مع أنه دور ممتنع فإنه يقال لهم :

ـ ما الذى يجوز فيه التقليد ؟ فيقولون : مسائل الفروع والذى لا يجوز التقليد فيه مسائل الأصول وهو أيضاً فاسد طرداً وعكساً ، فإن كثيراً من مسائل الفروع لايجوز التقليد[1] فيها كوجوب الطهارة والصيام والصلاة والزكاة وتحريم الخمر والربا والفواحش والظلم ، فإن من لم يعلم أن لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاء بذلك وشك فيه لم يعرف أنه رسول ، كما أن من لم يعلم أنه جاء بالتوحيد وتصديق المرسلين وإثبات معاد الأبدان ، وإثبات الصفات والعلو والكلام لم يعرف كونه مرسلاً ، فكثير من المسائل الخبرية الطلبية يجوز فيها التقليد للعاجز عن الاستدلال كما أن كثيراً من المسائل العملية لا يجوز فيها التقليد .

فتقسيم الدين إلى ما يثبت بخبر الواحد وما لا يثبت به تقسيم غير مطرد ، ولا منعكس ولا عليه دليل صحيح .

وأيضاً فالتقليد قبول قول الغير بغير حجة ، ومن قبل قول غيره فيما يحكيه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه جاء به خبراً أو طلباً ، فإنما قبل قوله لما أسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذه حجة لكن تقرير مقدماتها ودفع الشبه المعارضة لها قد لا يقدر عليه كل أحد ، فما كل من عرف الشيء بدليله أمكنه تقريره بجميع مقدماته والتعبير عنه ولا دفع المعارض له .

فإن كان العجز عن ذلك تقليداً كان جمهور الأمة مقلدين فى التوحيد

---

(١) التقليد : بدعة حدثت بعد القرون المفضلة لا يجوز للمسلم أن يقلد أحداً فى دين الله قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **ولا تقف ماليس لك به علم** ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون** ﴾ .

راجع (القول المفيد فى أدلة الاجتهاد والتقليد) للشوكانى .

وإثبات الرسالة والمعاد وإن لم يكن العجز عنه تقليداً لم يكونوا مقلدين فى أكثر الأحكام العملية التى يحتاجون إليها ، وهذا هو الحق ، فإن جمهور الأمة مبنى تعبداتها وتحريمها وتحليلها على ما علمته من نبيها بالضرورة ، وأنه جاء به ، ولو سئلت عن تقريره لعجز عنه أكثرهم كما يجزم بالتوحيد ، وأن الله فوق خلقه ، وأن القرآن كلامه ، وأنه يبعث من فى القبور لو سئل عن ذلك لعجز عنه أكثرهم .

انتهى المراد من كلامه رحمه الله تعالى .

* * *

□ الفصل الخامس □

○ فى أن بيان هذه المسألة وتوضيحها ليس من باب السب والأذية لأحد ○

إذ لو كان كذلك لتعطل جانب كبير من جوانب الدين فلا يأتى دليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا ويعترض عليه المغرضون بأن فيه سبّاً للأموات وأذية للأحياء وهلم جرا .

٢٦ – وهل يدخل بيان هذه المسألة تحت السب والأذية لأنه قد وردت أحاديث تنهى عن سب الأموات وأذية الأحياء .

قال فى أسنى المطالب (ص ٦١) : فبغض أبى طالب والتكلم فيه يؤذى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويؤذى أولاده الموجودين فى كل عصر .

قلت : فهذا قول باطل فيه مجازفة ومغالطة فلو كان الأمر كما قالوا لم يقل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين سئل عنه « **وجدته فى غمرات النار فأخرجته إلى ضحضاح منها** » ولو كان كما زعموا لم يقل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **إن أهون أهل النار عذاباً أبو طالب** » بل لو كان ما قالوه صحيحاً لم ترد الأدلة من الكتاب والسنة فى شأن الكافرين وما صاروا إليه من العذاب الأليم ، بل لو كان كذلك لم تنزل سورة تبت يدا أبى لهب وتب لأن فيها على زعمهم أذية فهو من أعمام النبى صلى الله

عليه وعلى آله وسلم وأقرباؤه يتأذون بذكره بسوء ولا نأمن أن يظهر فى المجتمع من يعطل الكتاب والسنة بزعم منه أن هذه الآيات والأحاديث فيها سب للأموات ومن ثم يتأذى الأحياء فيعطلون الدين ويدافعون عن الكافرين بمثل هذه المزاعم .

فلم يبق للمبتدعة شيء سوى التلبيس والتلفيق فإنهم إذا جاءوا بشيء وخافوا عليه من الرد أو النقض التمسوا له ما يصرف الناس عن الخوض فى بدعهم وخرافاتهم ، قال الشيخ عبد الرحمن دمشقية فى كتابه أبو حامد الغزالى والتصوف (ص ٢٢٧) : ولقد عهدنا فى الصوفية أسلوب الترهيب من الإنكار على مخالفتهم لصريح شرع الله وذلك أنهم يلفقون قصصاً لا أصل لها ليخوفوا بها المنكرين .

ثم ذكر أمثلة على ذلك وفى هذه المسألة لما علموا أن الأدلة الصحيحة الصريحة تقف لهم بالمرصاد وتبين ما فى مذهبهم من الفساد ، صاروا إلى القول بأن الخوض فى شأن أبى طالب فيه سب للأموات وأذية للأحياء ، ونحن نقول : إن هذا ليس من باب السب فى شيء وإنما هو بيان لأدلة المسألة وذكر الصواب فيها ، فنحن لم نسب أحداً من الأموات وإنما ذكرنا فيهم ما ذكره الله فى كتابه وما ذكره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى سنته .

وأما قولهم : إن فيه أذية للأحياء نعم فيه أذية للأحياء الذين لم يرضوا بحكم الله ، وأما المؤمنون فهم راضون بحكم الله مستسلمون لقضائه ولا يؤذيهم ما ذكره الله تبارك وتعالى فى كتابه وما ذكره رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى سنته فى شأن الكافرين قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله** ﴾ .

وقال سبحانه ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم**

الظالمين ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

فلا ينبغى للإنسان أن يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسبب قرابته أو نسبه إلى الكافرين وهل ينفعهم دفاعنا عنهم فى هذه الحياة الدنيا وإن نفعهم فلا ينفعهم فى الآخرة ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا** ﴾ .

فالكلام فى شأن أبى طالب بالدليل وبيان ما صار إليه لا يؤذى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وكيف وهو الذى أخبرنا بذلك فلم يبق لهم إلا أن يصرفوا الناس بمثل هذه الأقوال ، وهيهات أن يبقى التلبيس وأن يدوم التدليس .

وعلى بن أبى طالب يقول كما تقدم : إن عمك الشيخ الضال قد مات .

ووصل بهم الغلو فى هذه المسألة إلى الاستدلال بالآية الكريمة : ﴿ **إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة** ﴾ .

ثم لم يقفوا عند هذا الحد بل تجاوزوه إلى أن ينقل دحلان (ص ٦٠) من أسنى المطالب : إن بغض أبى طالب كفر ... قال : وقال أبو الطاهر : ومن أبغض أبا طالب فهو كافر هكذا بدون تفصيل .

ومن أجل أن يطمئن دحلان وغيره من المبتدعين على مؤلفاتهم وما سطروا فيها من مخالفات ومن أحاديث واهيات فقد أفتوا بكفر طالب العلم إذا سأل عن أدلة المسألة أهى صحيحة أم ضعيفة وما ذلك إلا ليُعمُّوا على رعاع الناس من أتباعهم وغيرهم وليخرسوهم بهذه الفتوى عن المناقشة والمساءلة حول ما جاءوا به من أحاديث ضعيفة وموضوعة .

٢٧ – فقد ذكر (ص٨٤) من أسنى المطالب : سؤال : طالب علم ذكر عنده حديث نبوى فقال : أكل أحاديث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم صدق ؟ .

فأجاب بأنه يكفر أولاً بسبب الاستفهام الإنكارى ، وثانياً بإلحاقه الشين بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . أقول : كان الأولى بالسائل أن يذكر الحديث الذى جرى ذكره عند ذلك الطالب لننظر أهو من الأحاديث النبوية كما زعم لأن الزنادقة قد وضعت فى ديننا أحاديث كثيرة لغرض الطعن فيه وكذلك وضع المبتدعة كثيراً من الأحاديث ليقووا بدعهم وكذا أتباع المذاهب المتعصبين منهم وكذا أيضاً وضع أحاديث قوم مغفلون يظنون أنهم يتممون الدين وكأنه ناقص فى نظرهم فيقول قائلهم نحن نكذب له لا عليه وكلهم مفترون فالدين كامل لا يحتاج إلى استحسان ولا إلى تتمات وإنما يحتاج إلى التزام وعمل بما صح عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم . أو لعلهم يظنون أن جميع ما نسب إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو صحيح فقد ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى فى كتابه اختصار علوم الحديث عن بعض المتكلمين إنكار وقوع الوضع بالكلية قال : وهذا القائل إما أنه لا وجود له أصلاً أو أنه فى غاية البعد عن ممارسة العلوم الشرعية . قال : وقد حاول بعضهم الرد عليه بأنه ورد فى الحديث أنه عليه السلام قال : « سيكذب[1] على » فإن كان هذا الخبر صحيحاً فسيقع الكذب عليه لا محالة

---

(١) حديث « سيكذب على » وهو قطعة من حديث : « إذا حدثتم عنى بحديث يوافق الحق فصدقوه وخذوا به حدثت به أو لم أحدث » .

قال الشوكانى رحمه الله تعالى فى إرشاد الفحول (ص ٣٣) : وأما ما يروى من طريق ثوبان من الأمر بعرض الأحاديث على القرآن فقال يحيى بن معين : إنه موضوع وضعته الزنادقة .

وقال الشافعى : ما رواه أحد عمن يثبت حديثه فى شىء صغير ولا كبير وقال =

وإن كان كذباً فقد حصل المقصود– إلى أن قال : وهذا القول والاستدلال عليه والجواب عنه من أضعف الأشياء عند أئمة الحديث وحفاظهم الذين كانوا يتضلعون من حفظ الصحاح ويحفظون أمثالها وأضعافها من المكذوبات خشية أن تروج عليهم أو على أحد من الناس رحمهم الله ورضى عنهم . انظر الباعث الحثيث ص ٨٠ .

فقد ظهر لنا من البحث فى هذه المسألة أنهم يستدلون بأحاديث ضعيفة وموضوعة ويزعمون أنها أحاديث نبوية صحيحة .

وكان الأولى بالعلّامة المجيب أن يفصل القول فى المسألة فيقول : من سأل هذا السؤال ويريد به إلحاق الشين بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم يكون كافراً .

وأما إن كان يريد الحق ومعرفة ما صحّ ليعمل به وما لم يصح ليتجنبه فلا يكون كافراً بذلك بل هذا هو السبيل للتفقه فى الدين ، ولا يريد من سأل مثل هذا وخاصة إذا كان طالب علم إلا معرفة الصحيح ونفى الكذب والشين عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأن الأحاديث المكذوبة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد كثرت والتبست على كثير من الناس فلا بد من السؤال حتى لا يبقى الشخص إمعة تتلاعب به المبتدعة .

فالغرض ليس هو الإجابة عن السؤال فحسب بل المراد من وراء ذلك هو إخراس من أراد أن يناقشهم فى بدعهم وما جاءوا به من قبل أهوائهم والتلبيس بذلك أيضاً على أتباعهم من جهلة الناس ورعاعهم .

= ابن عبد البر : فى كتاب جامع العلم : قال عبد الرحمن بن مهدى : الزنادقة والخوارج وضعوا حديث : « **ما أتاكم عنى فأعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته وإن خالف فلم أقله** » وقد عارض حديث العرض قوم فقالوا : عرضنا هذا الحديث الموضوع على كتاب الله فخالفه لأنا وجدنا فى كتاب الله : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وجدنا فيه ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله** ﴾ ووجدنا فيه ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾ إلى آخر ما ذكره الشوكانى رحمه الله تعالى .

وبقى شىء لا بد من التنبيه عليه وهو أنا لما ذكرنا الأدلة من الكتاب والسنة فى شأن أبى طالب وأنه مات على غير الإسلام وأنه كان فى الدرك الأسفل من النار لولا شفاعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم له فخفف عنه فصار فى ضحضاحها وهذا شىء خاص بأبى طالب حيث لم ينل هذا التخفيف أحد من الكافرين ولا تنفعهم شفاعة الشافعين أى وإن شفعوا .

وهو أيضاً خاص بنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث إنه قد ورد كما تقدم أن الكافر لا تنفعه شفاعة شافع وكما مر أيضاً من شفاعة إبراهيم الخليل لأبيه فلم تقبل شفاعته فيه لكنها قبلت من نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى شأن عمه أبى طالب فخفف عنه بسببها فهى شفاعة خاصة من جهتين .

ولا يعنى هذا إذا ذكرناه أن ننكر ما قام به من النصرة للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحمايته له فإنه لا ينكر ذلك إلا جاهل أو متحامل .

وفرق بين الاعتراف بما قام به من الحماية والنصرة وبين ذكر ما صار إليه من عدم الإيمان والانقياد له كبراً وترفعاً وأنفة . فنحن نذكر ما ورد فى شأنه من الأدلة ونود لو أن الله هداه للإيمان لتقر بذلك عين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولكن الله يحكم ما يشاء ويقضى ما يريد وله فى ذلك سبحانه وتعالى الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولسنا نكره أن يكون آمن وأن يكون من الناجين ، ولم نذكر ما ذكرناه إلا من باب سد الذرائع لئلا يأتى شخص يدافع عن فرعون أو غيره من الكفرة طاعناً فيما ورد فى ذلك من الآيات البينات والأحاديث الصحيحات ويبيض ويصفر وكأن لم يكن فى الساحة أحد يبين ما هم عليه وما جاؤا به وقد ظهر من خلال قراءة أسنى المطالب أن بعض المبتدعين يكتبون من غير خوف من الله ولا حياء من خلقه وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذ يقول :

« **إذا لم تستح فاصنع ما شئت** » .

وقال بعضهم :

إذا لم تخش عاقبة الليالى ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

ولولا ما نحن فيه من التحصيل وما يتطلبه منا لنقضنا كلامه كلمة كلمة لكن قصدنا إلى رؤوس كلامه فهشمناه بالدليل من الكتاب والسنة فأغنانا ذلك عن كثير من العناء .

والحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

□ محتويات الكتاب □

الموضوع | الصفحة

***

○ في هذا الكتاب ○

- التحذير من اتباع الهوى .
- وجوب الانقياد لشرع الله وحكمه وتحريم التقليد .
- تعريف الإيمان نفيًا وإثباتًا .
- ترجمة أبي طالب وتحقيق اسمه وبيان أن أشعاره لو صحت إليه لا تدل على إيمانه .
- أحاديث صحيحة تدل على موت أبي طالب على الشرك .
- ذكر أقوال المفسرين في آيتي التوبة والقصص .
- الشفاعة وأنواعها .
- شبه البرزنجي وابن دحلان حول الشفاعة .
- مناقشات ومؤاخذات لما في «أسنى المطالب» ولكل من قال بإسلام أبي طالب .
- بيان حجج القائلين بنجاة أبوي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعمه أبي طالب وأنها ضعيفة بمرة .
- أدلة القائلين بعدم نجاتهم أدلة قوية صحيحة وصريحة من الكتاب والسنة .
- بيان ضعف مروياتهم وما يحتجون به في نجاة عبد المطلب .
- اختلاط أمر الشرك بالتوحيد عند المبتدعة .
- بدعة تقسيم الدين إلى فروع وأصول ولباب وقشور .
- بيان أن هذه المسألة وتوضيحها ليس من باب السب والأذية .

من مقدمة المؤلف بتصرف